حكايات من التراث الشعبى اليمنى



محمد سبأ



2020 م

محمد سبأ
حكايات من التراث الشعبي اليمني
مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع

حكايات من التراث الشعبى

اليمني



جمع وتدوين: محمد سبأ

حكايات من التراث الشعبي اليمني

الطبعة الأولى

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٤٧٦٣



مكتبة خالد بن الوليد
للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي صنعاء شارع العدل
تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)
ت : (٢٢٧٨٥٥) ص.ب : (٢٣٧٠)
القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)



دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء الدائري الغربي – جولة القادسية
تلفون: (٢١٥٢٤٣)
فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر – الميدان –
تحت فندق العامر فرزة الشيخ
عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)
مركز خالد بن الوليد–
الدائري الغربي–تقاطع شارع
الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)
فرع شميلة – جوار برافو سنتر – ت: (٦١٧٦٦١) .

تصميم الغلاف: د. إيناس فوزي

اللوحة على وجه الغلاف للفنان / ردفان المحمدي

اللوحة على ظهر الغلاف الفنان/ أشيد الحافرة

إهـــداء

إلى كل أطفال وشباب اليمن السعيد
إلى الأجيال المتطلعة للثقافة والفنون
والمحبة والسلام في كل أنحاء العالم.
إلى أسرتي الحبيبة
إلى أمي اليمن
إلى اساتذتي وكل من تعلمت على يدهم
في أم الدنيا مصر

أهدي هذا الجهد



شكر وتقدير

بسم الله والحمدلله الأول والآخر، الكريم سبحانة وتعالى، من أنعم علينا بنعمة الكثيرة، لقد كان هذا الكتاب قبل أكثر من ثلاثة أعوام مجرد مشروع أحلم بتنفيذة وتدوينه في كتاب وبعد دراستي في المعهد العالي للفنون الشعبية في أكاديمية الفنون في القاهرة ابتداءً من العام ٢٠١٧ /٢٠١٨م. لأول عام قضيت أشهر من الإجازة أعمل في تدوين ما جمعت من حكايات بعد أن وثقتها وسجلتها من الكثير من الرواة وقرأت الكثير من الكتب لكي أتمكن من إضافة ما فقد منها ولكي أقوم بتدوينها بهذا الشكل وقد إستفدت من تواجدي في الأكاديمية من محاضرات أستاذي رئيس قسم الأدب الشعبي أ.د صلاح الرواي وهو رائد من رواد الأدب الشعبي في الوطن العربي ولولا جهوده في إدخال محبة الأدب الشعبي إلى قلوبنا وتعليمنا طرق الجمع والتوثيق للحكايات الشعبية وكيفية جمعها وتنقيحها ما كان للباحث أن يقوم بتدوينها وطباعتها في كتاب، وما كان لهذه المعلومات أن ترى النور، وتصل للقارئ العزيز وهي فرصة أنتهزها، لتقديم الشكر إليه وإلى كل أساتذة المعهد العالي للفنون الشعبية، الذين تعلمنا على يدهم طرق البحث والجمع فجزاهم الله عنا ألف خير كما أتقدم بالشكر والتقدير لوزارة الثقافة المصرية وللاستاذ أمير نبية وإدارة العلاقات بالوزارة ممن تشرفت بمعرفتهم وأتقدم بالشكر كذلك ، لرئاسة أكاديمية الفنون في القاهرة، ممثلة بنقيب الفنانين العرب أ.د أشرف زكي، وهي كذلك لأستاذي معالي عميد المعهد العالي للفنون الشعبية.أ.د مصطفى جاد. الذي يقف بجانب طلاب العلم بكل محبة وإقتدار فنعم المعلم ونعم الموجة. وأنتهز الفرصة لتهنئتة بإنجاز أكبر مكنز للفولكلور العربي والذي كان لي شرف المشاركة فيه كما أنتهز الفرصة لتقديم الشكر المفعم بالمحبة الصادقة من القلب للعميد السابق أ.دعطارد شكري، الذي وقف بجانبي كثيراً عند وصولي في فترة تولية العمادة، وهي كذلك لأستاذتي الدكتورة نيفين خليل نائب عميد المعهد العالي

للفنون الشعبية، ورئيس قسم فنون التشكيل الشعبي، والتي تعلم على يدها الباحث الكثير من مهارات البحث والتدقيق ولم تفتأ أن تقدم العون في كل وقت وحين، وهي كذلك لكل أساتذتي في المعهد وعلى رأسهم دكتور سميح شعلان عميد المعهد الاسبق، والذي زار اليمن وحكى لي الكثير عن تلك الزيارة وهي كذلك لأستاذي الدكتور صلاح الراوي رئيس قسم فنون الأدب الشعبي. والذي تعلمت على يده قدرات الموضوعية والحياد والإنصاف والكثير من طرق التحليل والتدقيق للمعلومات وطرق نظمها وتنقيحها وقد ساعدني في تنقيح ومراجعة هذا الكتاب ولا أنسى الدكتور محمد شبانة. مدرس الموسيقى الشعبية وأهنية بتوليه عميد المعهد العالي لفنون الطفل. كما أهني الشعب المصري وكل أطفال العالم بهذا الإفتتاح كما أتقدم بالشكر للدكتورة إيمان مهران لما تقدمه من جهود دائمة في دعمي وتشجيعي وكان لها مواقف طيبة في دراستي منذ قدومي غلى أرض الكنانة مصر ولا يفوتني شكر الدكتوره نهلة إمام أستاذة المعتقدات والمعارف الشعبية. في المعهد والتي تغمرنا دائماً بأخلاقها الكريمة وحبها لليمن وتحكي لي دائماً حكاية البن اليمني والقهوة التي يتناولها اليمنيون من قشور البن. وكم كنت أسعد في محاضراتها تناولها لتنوع الثقافات. كما أتقدم بالشكر للدكتورة علياء شكري وهي رمزاً من رموز الثقافة الشعبية والإنثربولوجيا في مصر والعالم العربي. وكان لي الشرف في التتلمذ على يدها. كما لا يفوتني توجية التحية والمحبة لرئيس الأكاديمة الأسبق أ.د عصمت يحيى رائد علوم الرقص والبالية في مصر. وكان لي الشرف أن تتلمذت على يده. ولا أنسى أستاذي وزير الثقافة المصري الأسبق أ.د شاكر عبد الحميد. وهو عالم كبير في الفنون وله عدد من المؤلفات وكان لي شرف أن تعلمت على يده. وكذلك اشكر أ.د مصطفى عبد الرحيم في كلية الفنون التطبيقية في القاهرة والذي تعلمت على يده تقنيات متعددة في البحث والترتيب للمعلومات وهو من الشخصيات النادرة التي تفيد الباحثين في الكثير من المراجع والمعلومات وقبل الختام أشكر صديقي د.علاء حسب الله وجميع زملائي المحبوبين وكذلك إداريي

المعهد العالي للفنون الشعبية. ولا أنسى صديقي العزيز عمر مصطفى الذي قام بتصحيح ومراجعة الجمل وظوابط اللغة لهذا الكتاب. وهي فرصة لتقديم الشكر كذلك للأستاذ الصديق محمد خليل وطاقم مكتبة الزعيم، في القاهرة لما قدمة من يد العون والمساعدة في تنسيق وإخراج الكتاب بهذا الشكل الجميل، وكم كنت أتمنى أن اذكر في هذه السطور الكثير من شخصيات مصر الحبيبة البلد الحبيبة إلى قلبي وأهلها الكرام وكنت أتمنى ذكر أبطال كثيرون ولا شك أن لهم محبة كبيرة في القلب.

وبعد أن سردت أساتذتي من الجانب المصري بقي أن أتقدم بالشكر والتقدير لأساتذتي وأحبائي من الجانب اليمني وعلى رأسهم أ.د صلاح ردمان قسم التربية الفنية في جامعة إب اليمن وهي كذلك لأستاذي الدكتور ياسر العنسي ولكل عمداء كلية التربية أ.د عبد الله الصلاحي أ.د محمد المخلافي أ.د أكرم عطران والدكتور يوسف الشجاع وغيرهم. من بذلوا جهداً كبيراً في تشجيعي للذهاب إلى مصر بلد الفنون والحضارة. لإكمال الدراسات العليا كما أنتهز الفرصة لأتقدم بالشكر للأخ والصديق معالي وزير الثقافة اليمني د. مروان دماج. والذي لم يقصر معنا ومع كل طلابه في مسيرتهم العلمية وكذلك للدكتورة عائشة العولقي امديرة المركز الثقافي اليمني في القاهرة. لما قدمته من يد العون لي في دراستي. وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير لمعالي سفيرنا في القاهرة د. محمد مارم لتعاونة الدائم معنا. وكذلك للدكتور محمد العبادي ملحق سفارتنا الثقافي في القاهرة، صاحب الشخصية الطيبة والذي لا يألو جهداً في تقديم المساعدة، ولا أنسى من الأصدقاء من الجانب اليمني الأخ والصديق عبد الرقيب منصور مستشار إعلامي سفارتنا لموافقة الكريمة بشراء عدد من لوحاتي ودعم طباعة الكتاب. كما أتقدم بالشكر للصديق العزيز أستاذي البرفسور نزار عبد غانم وهو رائد من رواد الثقافة والفنون القلائل في اليمن. والذي كان عوناً لي في المشورة في الكثير من الموضوعات وهو من الشخصيات المحبوبة إلى قلبي علماً وخلقاً. كما كان لي حظًا بشرف المشورة

والتشجيع من رائدة الثقافة اليمنية وزيرة الثقافة السابقة الأستاذة أروى عثمان رائدة الحكايات الشعبية في اليمن والتي شجعتني لطباعة هذا الكتاب. ولا أنسى االدكتورة ايناس فوزي الزميلة التي درست معها وكانت ومازالت نعم الأخت وهي فنانة تمتلك ذائقة جميلة. وهي من صمم غلاف هذا الكتاب. ولا يفوتني شكر الأستاذ عبد العليم الحزمي. مدير مكتبة خالد بن الوليد، والذي شجع ودعم طباعة هذا الكتاب وقبل أن أختم أشكر عائلتي الحبيبة أبي وأمي وأشقائي وزوجتي. لتحملهم أعباء دراستي وكذلك اشكر كل من ساعد في التوجية والنصح والعمل على إخراج هذا الكتاب وإن وفقت في تقديم الفائدة فمن الله وإن قصرت أو أخطأت فمن نفسي والحمدلله رب العالمين.

تقديم / نجيبة حداد

وكيل وزارة الثقافة اليمنية الأسبق

ترتبط الحكايات الشعبية بالهوية الثقافية والحضارية للبلدان واليمن من أهم الحضارات التي يجب علينا أن نحافظ على تراثها وموروثها الثقافي. وذلك من خلال التوثيق لهذا التراث في كتابات ودراسات تحافظ عليه وتنقله للأجيال القادمة فاليمن بتنوع تضاريسه وعاداته وتقاليده وطقوسه العريقة. يحتاج إلى المزيد من الدراسات التي تظهر مدى ما يدخرة من فنون وثقافات. لقد إجتهد الكاتب محمد سبأ. من خلال البحث والقراءة والمقابلات الشخصية. مع الإخباريين من الرواة وكبار السن في جمع وتدوين هذا النوع من الأدب وهو الحكايات الشعبية اليمنيةالأصيلة. إبتداء من الحكايات التأريخية المرتبطة بماضي وحضارة اليمن. ثم الحكايات التي ترتبط بالأرض والزراعة والحكمة. وكذلك الحكايات التي تمتاز بالفكاهة والدعابة، وهي ميزة من مميزات الشعب اليمني، وعمل على رصد وتوثيق الحكايات التي ترتبط بالمعتقدات والمعارف الشعبية كحكايات الجن والمخلوقات الغريبة والكواكب، وكذلك حكايات حكيم اليمن علي ولد زايد وحكايات أيام الإمام وغيرها من الحكايات التي بلغت مائة وثلاثون حكاية. وقد عمل على جمع حكايات جديده نقرأها لأول مرة، وقد كانت العائلات قديماً لا تستغني عن حكايات الجدة التي ترويها للابناء كل مساء ولهذا أصبح هذا النوع من الأدب يقدم الولاء والإنتماء للوطن ويرتبط بالقيم والمعتقدات والصراع بين الخير والشر والحق والباطل والضعيف والقوي والخائن والوفي الخ.

الذين سبق لهم الفوز في مسابقات إبداعية في القاهرة وقد حضرت ذات مرة لفعاليات حفل تكريمه بالفوز بجائزة لوتس للقصة القصيرة عام ٢٠١٨ لدى مؤسسة لوتس للتنمية الثقافية وهو كذلك فنان تشكيلي أقام عدد من المعارض الشخصية التي حضرتها له في دار الأوبرا في القاهرة ولاقت نجاحاً كبيراً وله لوحات تعبر عن محتوى هذا الكتاب القيم .

إن ثقافة وتجارب وخبرات الفنان والأكاديمي محمد سبأ تحتل مساحة واسعة من الإبداع في ظل واقع صعب وتحدي أصعب تعيشه اليمن ولكن هذا النجاح أضاف إنسان وفنان مبدعاً ناجحاً وهو ما لمسته من خلال عملنا معاً في رسالة الثقافة الوطنية وأنا أنتظر منه المزيد من العطاء في أرض الكنانة التي يدرس فيها حتى العودة بخير هذا العلم إلى بلدنا اليمن السعيد الذي نتمنى أن يعيده الله لنا سالماً أمناً مستقراً ونسأل الله أن يمن عليه بالحكمة والإيمان.

ماما نجيبة حداد .

وكيل وزارة الثقافة اليمنية الاسبق.

القاهرة يناير ٢٠٢٠م

الفنان: محمد سبأ

بقلم فتحي شكري

سفير السلام فى الوطن العربى

هناك...

حيث الأفق البعيد...

في بلادِ العربيةِ السعيدة مُتصدرة رفعةَ الأوطان. فيما بعد الغلاف الجوى لكوكب الأرض. وتحديدًا تحت سقف الكون وفوق تابع كوكب الأرض. الجرم السماوي المنير «قمر الأرض» يتعامدُ شعاعُ أرض الجنتين ليلمقَ على أقطار العالم. بنا ريسَ اليمنِ السعيد. في شتى صنوف العلوم التى تنبثق من الفنون الجميلة. فتهتز ويكأنها تتزلزل لتومئ حياءً بجهر القول. تنفسُ الأرض عن قشرتها لتقدم لملأ أمصار الدنيا. أبا الفنون ومعشوقها الأوحد: الفنان العربى اليمانى الأستاذ/ محمد سبأ ذى الأنامل الألماسية. ومصيب كينونة حدقات العيون. بسهام الفن الراقِ ويكأنه نيزك هوى جامعاً. عنٍ هوى بيرق الحضارة اليمنية وتراثها السحيق. وهو يرفلُ يتلألئ يضادد ضياءه نجم سهيل اليمن. وندًا لكوكبهِ الثريا. بنجومها السَبعْ.

نعم بسيطة الأرض بما رَحُبت. هو الفنان العاكس كمــرآه لجــلٍ جميلٍ تهواه الأفئدة. وترنوا الرشاقة ريشتهُ كل القلوب. تتناغمُ معه كــل الألوان وتتموج الفنون حنانه. بما يسر الخاطر وحلو سوادِ العين ... إنه الفنان والسندسُ الإبداعي والألق البــشري. الــذي تتنــاغم معــه كــل الألوان...وتتموج الفنون هتانةً.... إنه الفنان: «محمد سبأ» لــك الرفعــة والسموق والألق أيها الفنان: الذي أشتق اسمه من حضارة الوطن!!!

فتحي شكري

سفير السلام فى الوطن العربى

مقدمة

أدى ظهور وسائل الإعلام الحديثة ووسائل التواصل المرئية والمسموعة إلى نسيان الكثير من حكاياتنا الشعبية، وكان بداية فقدان هذا التراث عندما احتل الراديو ثم التلفزيون مكان الحكواتى أو السامر أو كبار السن، حيث كان الناس يتجمعون فى السامر وقت فراغهم،ليسمعون الحكواتى يُحيى السهرات الليلية بالحكايات والسير،الشعبية فقد كانوا يحفظون الحكايات المتوارَثة عبر أجيال طويلة وكانت الأجيال الصاعدة تتعلم من خلالها الكثير من القيم النبيلة، وتزرع فى نفوسهم حب الخير والكرم والتعاون والشجاعة، فتحفز الهمم وتوجه الشباب والمجتمعات لعمل الخير وترك الشر. وقد حاولت جاهدًا فى هذا الكتاب أن أجمع ما استطعت من هذه الحكايات الشعبية النابعة من حكمة الشعب اليمنى الأصيل، وقد اعتمدت فى جمعها على عدة مصادر فأعتدمت فى الدرجة الأولى على الرواة والأخباريين، ممن قابلتهم وعايشتهم، ومنها ما جمع من الكتب والمراجع التى هى فى الأساس كتب تاريخية أو كتب رحلات، أو كتب لا يظهر من عنواناتها أن فى طيها حكايات شعبية، وحرصت على قراءة الكثير من الكتب للبحث عنها والتأكد من مصداقيتها من عدة مصادر، ومن ثم تدوينها وجمعها في هذا الكتاب حتى تخرج للعيان ويفيد منها القراء؛ لما لها من أهمية كبيرة فى حياتنا وخشيةً عليها من النسيان والضياع، واستشعارًا لأهميتها.

وقد حرصت على أن لا أكرر ما قد جمع منها فى كتب الحكايات الشعبية اليمنية فى كتابات سابقة، مثل ما جمعه الأستاذ على محمد عبده فى كتابه (حكايات وأساطير يمنية)، ولم أكرر ما جاء فى كتاب (أساطير من تاريخ اليمن) لحمزة على لقمان، أو ما جاء فى كتب الأستاذة أروى عثمان (حزاوى وريقة الحناء) بأجزائه الثلاثة، إلا ما كان منها مختلفاً فى صياغة النص، ورأيت فيه اختلافات كثيرة عما دوَّنه من سبقنى، فأحببت أن أدونها كما سمعتها بصيغتها فى البيئة التى ولدت ونشأت فيها وقد حضيت محافظة إب وسط اليمن وما يجاورها بالنصيب الأكبر منها كونها منطقة عيش وحياة جامع هذه الحكايات.

ونحن ندرك أن هذه الحكايات لم تأتي من فراغ فهي نتاج تجربة وخبرات طويلة صقلتها التجربة الشعبية عبر العصور ، وتحمل في طيها العديد من المفاهيم والأهداف التعليمية والتربوية، وأحياناً ونحن نقرأ هذه الحكايات قد نجد نصوصًا مستفزة لمشاعرنا

فى بعض مقاطعها ، لكن هذا لا يعنى أن الوعى الشعبى لم يكن يدرك ذلك، بل كان على دراية بكل التفاصيل، ولكن أبقى على هذا النوع من الحكايات لما له من تأثير إيجابى، فإذا تعمقنا فى خفاياها أكثر سنجد أن وراءها الكثير من الحكم، فهى خلاصة خبرات طويلة لأجيال سابقة، فنجدها تارة تعلم الأبناء حب الأرض وحب الخير، وتنفرهم من الشر، فعلى سبيل المثال حكاية (وريقة الحناء) التى أوردها الأستاذ على محمد عبده فى كتابه (أساطير وحكايات يمنية)، فقد صور فيها الخيال الشعبى الفتاة (كرام) وهى تذهب لتغتسل فى البركة فتخرج مغطاة بالحيات والثعابين والعقارب، فتعود إلى منزلها على تلك الحالة والحيات على جسمها، وتنادى على والدها لكى يقوم بإحضار أداة القطع (الشريم) لإزالتها عنها، قد يجدها البعض قصة أبعد ما يكون عن أن تقبلها عقولُ أهل هذا الزمان، لكن الحقيقة أن الخيال الشعبى كان يهدف من وراء هذه الرعب و المبالغة إلى صقل وتهذيب عقول الأطفال، فيزرع فى نفوسهم كراهية الشر فى المراحل الأولى من عمرهم، فهو يدرك من خلال الحكمة التى تعلمها عبر العصور أن هذه المرحلة ما زالت بحاجة إلى تهذيب الطفل، فالفتاة كرام يكون مصيرها موحشًا، وكذلك حالُ كل طفل لا يساعد الناس، وعلى العكس من ذلك ، من يفعل الخير سيكون مصيره سعيدًا مثل وريقة الحناء التى كانت تعمل على مساعدة العجوز وتمدها بالطعام وتفلى شعرها، فكانت مكافأتها أن تحولت هذه العجوز إلى جنيةً تحقق لها أحلامها. فالخيال الشعبى يغرس فى نفوس الصغار أن فعل الخير لا يقف أمامه حاجز مهما يكن.

وإذا تعمقنا أكثر فى هذه المفاهيم وقارنّا ما جاء فيها بأساليب التربية وعلم النفس الحديث، لوجدنا أن هذه القيم هى التى ينادى بها خبراء علم النفس فى وقتنا الحاضر، وتقول أحد الدراسات الحديثة إن الطلاب الذين يقدمون لدراسة الطب يجب أن يتمتعوا بسعة الصدر مهما كانت حالة المريض، وهذا يتطابق مع تشجيع الخيال الشعبي لوريقة الحناء والثناء عليها لإستخراج وقتل القمل من رأس العجوز وقد قرأت ذات مرة فى دراسة حديثة صدرت مؤخراً أن الأطفال الذين تربوا فى أسر تعودو فيها على سماع الحكايات الشعبية يصبحون أكثر شجاعة وإقدامًا فى أمور حياتهم من غيرهم، ومن هنا يتضح لنا القيمة الحقيقية التى من أجلها بقي هذا الموروثُ الشعبى حيا متناقلا بين الأجيال ، فهذه الحكاياتُ خلاصة التجربة الإنسانية والخبرات التى صقلت بعد مرورها بعقول الكثير من الحكماء الشعبيين، فهل ننسى هذه الحكمة ونطمس تراثنا، مستعيضين عنه بوسائل التواصل الحديثة وماتقدمه من غث وسمين أم نوثق حكاياتنا الشعبية ونجعل منها وسائل

تعليمية مفيده عبر هذه الوسائل، فنحولها إلى ما شئنا من مسرحيات أو تمثيليات وغير ذلك، بحيث نعلم أبناءنا الحكمة التى توارثناها من بيئتنا الأصلية؟!

من هنا كان الهدف الرئيس من تجميع هذه الحكايات فى هذا الكتاب؛ أولاً للحفاظ على هذه الحكايات من الضياع، وثانيًا للإفادة منها فى الوسائل المختلفة.

وقد حرصت أثناء جمع هذه الحكايات على تدوينها كما هى فى بيئتها دون زيادة أو نقصان لنوصلها كما هى فى طينتها الأصلية نقية من أى تحريف. وعملت على استخدام لغة سلسة تحافظ على مضمون الحكاية ولا تفقدها فكرتها وروحها، كما حرصت على أن تكون اللغة متوسطة بين عامية وعربية تفهمها كل الشعوب العربية أو الأجنبية في حال ترجمت، فهذه الحكايات رويت بعدة لهجات، وتختلف طرق سردها من مكان إلى آخر، وهذا ليس عيبًا، فمن مميزات الأدب الشعبى أن المجال يكون مفتوحًا للإضافة والحذف والسرد بالطريقة التى تتناسب مع المكان والزمان، وربما سقطت أجزاء من الحكاية لدى البعض واكتملت عند آخرين.

وقد جمعتُ فى هذا الكتاب حكايات شعبية يمنية متنوعة في عدد من الموضوعات وقسمت الكتاب إلى سبعة فصول يتناول كل منها نوع من هذه الحكايات، فصل في الحكايات التأريخية وفصل في حكايات الأرض وحكايات حكيم اليمن علي ولد زايد وفصل في حكايات التهذيب والحكمة وفصل في حكايات الجن والكواكب وفصل في حكايات الحب والعشق وفصل في حكايات أيام الإمام وفصل في حكايات الفكاهة والشخصيات والأماكن مع العلم بأن هذا الكتاب لا يوثق سوى جزء يسير منها، فاليمن بلد واسع متعدد التجليات الثقافية، وربما نحتاج إلى عشرات الكتب ومئات الجامعين لتوثيق الكثير من الأسرار فى تراثنا الشعبى فى مختلف ربوع اليمن، والتى تحتفظ بالكثير من الحكايات الشعبية التى تتنوع بشكل كبير، وللأسف ضاع الكثير منها بفقدان رواتها من كبار السن ممن يحملون هذا التراث، وما علينا سوى إنقاذ ما تبقى منها قبل أن تغادرنا للأبد.

محمد سبأ٢٠١٨ م

القاهرة.



الفصل الأول

(الحكايات الشعبية التاريخية فى اليمن)



تمهيد

يروى فى اليمن الكثير من الحكايات الشعبية التى لا تقل أهمية عن الآثار التاريخية، وهي حكايات تعود جذورها إلى أعمق العصور، فمنها ما تدور تفاصيله حول حوادث تاريخية مر بها اليمن، كان لها أثرها على تكوين الخيال الشعبى، ومنها ما يدور حول أبطال وشخصيات تاريخية حكمت اليمن فى فترات مختلفة، ومنها ما يدور حول أماكن أو قصور لها شهرة كبيرة، ومن هنا كان لابد لنا أن نجمع جزءًا من هذه الحكايات فى فصل واحد تحت عنوان (الحكايات الشعبية التاريخية فى اليمن).



صورة لجزء من بقايا عرش الملكة بلقيس في مدينة مأرب في اليمن

هابيل وقابيل وشجرة دم الأخوين

هذه الحكاية أوردها لكم كما سمعتها من بعض الرواة فى محافظة إب[1] وسط اليمن. يقول الراوى معلقا على شجرة دم الأخوين فى سقطرى إنه بعد نزول آدم عليه السلام فى الهند ولد له أربعة توائم، وهم هابيل وقابيل ولكل منهما أخت ولدت معه، فكان شرع والدهم أدم أن يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى، ولكن قابيل رفض ذلك، وكان يريد الزواج من أخته التي ولدت معه ، رافضًا الزواج من توأمة أخيه هابيل التى لم تكن بجمال توأمه ، ونزغ الشيطان فى قلب قابيل أن ينتقم من أخيه، فاشتكاه هابيل إلى والده آدم فحكم بينهم بأن يتقربوا إلى اللّه بقربان، فمن تُقبِّل منه فله أن يتزوج الأخت الجميلة[2]* .

وفى يوم من الأيام، أراد هابيل التقرب الى اللّه بقربان فأخذ ماعزًا من خير أغنامه وقرر أن يبحث عن مكان معزول يتقرب فيه إلى اللّه على انفراد، فسافر فى البحر فلما وجد جزيرة فى منتصف البحر، وهى جزيرة سقطرى اليمنية، أحس أنها مكان مناسب للتعبد وتقديم القربان إلى اللّه بعيدًا عن الأنظار، فوسوس الشيطان إلى أخيه قابيل ، واتجه إلى الجزيرة لاحقًا بأخيه هابيل،وأخذ قربانًا من مزرعته– بعضًا من القمح والشعير ، وكان قربان هابيل من طيبة نفسه مكتملاً لم يأكل منه شيئًا، بينما كان قربان قابيل ناقصًا، فهو لم يختر أفضل ما عنده، كما أنه لما جاع أكل منه، فنزل ضوء من السماء وأخذ قربان هابيل دون قربان قابيل، فعرف أن أخته ستكون من نصيب هابيل، وأنه لن يحظى بالزواج منها، فوسوس له الشيطان قتل أخيه هابيل فى هذه الجزيرة، وكان هابيل قد قدم قربانه تحت شجرة كبيرة أغصانها كثيفة يجلس بجوارها ويستظل بها ويتمسك بجذعها ويتوسل إلى اللّه أن يتقبل منه، وبينما هو يناجى ربه كان

(١) تقع محافظة إب وسط اليمن وهي ثالث محافظة يمنية من حيث عدد السكان وفيها عاصمة الدولة الحميرية القديمة في اليمن وقد سمع الباحث الحكاية من عدة أشخاص سألهم في المدينة وهم من كبار السن .

(٢) سمعت الحكاية من الإخباريين على أكثر من صيغة وللتأكد من ترتيبها وصياغتها قارنتها بالحكايات التي وردت في كتب التراث العربي القديم كون البعض منها كان منقوصاً ولم يكن في صياغته ترتيب منع للقارئ.

قابيل يراقبه من بعيد ويتربص به، فتناول حجرًا حادًّا ورمى به رأس أخيه هابيل، ما أدى إلى قتله، وفر قابيل من الجزيرة وهو على ثقة بأن أحدًا لن يعلم بما حدث فى هذه الجزيرة المعزولة النائية عن والديه.

سالت دماء هابيل تحت هذه الشجرة وشربت من دمائه فتجمعت أغصانها وتشابكت فروعها مرتفعة إلى السماء، وتبدلت عصارتها البيضاء إلى صمغ أحمر يشبه الدم بسبب شؤم هذه الحادثة، وما زالت أغصان هذه الشجرة متشابكة مرتفعة إلى السماء كما هي في شكلها الحالي في جزيرة سقطرى وتفرز صبغة حمراء عند خدش جذوعها إلى وقتنا الحاضر.

مازالت هذه الحكاية تروى بهذا الشكل في بعض مناطق اليمن عند تعليل سبب إفراز شجرة دم الأخوين لهذا الصمغ الأحمر، ويقال سميت فيما بعد بـ(شجرة دم الأخوين) نسبة إلى أول قطرة دم تسيل فى هذا العالم، وبقيت هذه الشجرة واحدة من معجزات الخالق عز وجل على هذه الأرض، ويقال إن لها الكثير من الفوائد العلاجية، ويعتقد البعض أن فوائدها الكثيرة تعود إلى كونها شربت من دم ذلك الولد المطيع المحبوب من الله ووالدية.



صورة لشجرة دم الاخوين في جزيرة سقطرى اليمن

شداد بن عاد وبناء الجنة

يحكى أنه كان هناك فى قديم الزمان ملك يقال له "شدّاد بن عاد" من أبناء عاد ابن سام بن نوح، يسكن اليمن، وكان ملكًا جبارًا، امتد عمره إلى أكثر من تسعمائة عام[1]، ولم يكن يقدر على محاربته أو الوقوف ضده أحد، وبلغ من الملك والقوة أن هابته كل ملوك الأرض.

تجبر شدّاد وعظم ملكه، ودعاة نبى الله هود لعبادة الله ولكنة تكبر ، ورفض الطاعة وصنع الأصنام للناس وأمرهم بعبادتها. وقيل إنه كان كثير الاطلاع على أخبار الأمم السابقة، فسمع بالجنة وأوصافها فقال للناس: سوف أبنى جنة أفضل من جنة الله، وأدخل فيها من يطيعنى من أتباعى، وأرسلَ إلى جميع ملوك الأرض يطلب منهم ما تدخره بلدانهم، فجمع ما لا يحصى من الذهب والفضة والمعادن النفيسة والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والمرجان والعقيق وكل ما هو ثمين، وأمر ببناء مدينة عظيمة جعلها معلقة على أعمدة كبيرة، ويقال إن بناءها استمر أكثر من خمسين عامًا وكسا قصورها بالذهب والفضة والعقيق والمرجان، وزرع فيها حدائق وأشجارًا تنبت من كل الثمرات، وجعل لها أنهارًا تجرى من تحت المنازل..

وعندما أكمل بناء الجنة دعا قومه لإدخال من أطاعوه فيها، فخرج إلى قومه في حشد كبير من حاشيته، وأعد احتفالاً كبيرًا استعدادًا لدخول الجنة والسكنى فيها، وبينما هم فى الطريق إليها نزلت عليهم صيحة من السماء فصعقوا جميعًا، وأضحوا جثثًا هامدة، واختفت الجنة التى بناها بكل ما فيها.

ويقال إن الله أمر الأرض أن تبتلع هذه الجنة، ويقال إنها اختفت كأنها لم تكن، وقيل بل ابتلعتها الرمال ولم يرها أحد بعد ذلك. كما يقال إن موقعها فى صحراء اليمن بالقرب من مدينة حضرموت.

---

(١) يحكي الراوي أن الناس كانوا حينها يتعمرون لآلاف السنين ويعلل ذلك يالقول أن الأرض كانت بحاجة الى أن يتعمر الناس لسنون كثيرة بحيث تُعمر الأرض لكون الناس كانو قلة على عكس عصرنا الحاضر.

وهناك رواية أخرى تقول إن أحد أبنائه لم يشهد هذا الحادث، ورفض الذهاب للجنة معهم، حيث لم يكن موافقًا على ما يفعله والده، فحين علم بهلاك والده وقومه ذهب إليهم فوجدهم وقد صعقوا فى الصحراء، وبينهم جثة والده هامدةً، فأخذه وحفر له قبرًا فى أحد جبال حضرموت على شكل حفرة كبيرة بين الصخور، وكسا تابوته بالذهب وجعله على سرير من الذهب، ودفنَ بجواره أمواله التى لم ينتفع بشىء منها فى حياته، ونقش بجوارها نقشًا كبيرًا يقول فيه:

اعتبر أيها المغرور بالعمر المديد

أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد

ملكت الشرق والغرب بسلطان شديد

فأتى هود وكنا فى ضلال قبل هود

فدعانا لو قبلنا كان بالأمر الرشيد

فعصيناه ونادى مالكم هل من محيد

فأتتنا صيحة تهوى من الأفق البعيد

فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد

وقد قرأت فى كتاب أساطير مقدسة للكاتب وليد فكرى[1] حكاية أخرى تقترب من هذه الأفكار والتصورات، حيث يقال إنه فى عصر الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان، جاء رجل يدعى عبد الله بن قلابة، إلى مجلس الخليفة حاملاً معه بعض الآثار، وحكى لهم قصة غريبة؛ يقول عبدالله إنه كان يبحث عن إبل له ضلت فى الصحراء بالقرب من مدينة عدن، وبينما هو يبحث وجد مدينة عظيمة حولها حصن

(١) وليد فكري أساطير مقدسة– اساطير الأولين في تراث المسلمين — الطبعة الأولى– القاهرة — الرواق للتوزيع والنشر ٢٠١٨م

وعليها أعلام طويلة، فحسب أن بها من يدله على إبله، وكان لها بابان من خشب فاخر طيب الرائحة مزين بياقوت أصفر وأحمر، فلمع ضوء أضاء المكان، فدفع أحد البابين فوجد نفسه فى مدينة بها قصور عظيمة معلقة على أعمدة من زبرجد وياقوت، وبكل قصر منها غرف من الذهب والفضة والياقوت ، وقد فُرشت باللؤلؤ والزعفران والمسك، لكنه وجدها خالية من السكان ففزع، واستجمع قواه وشجاعته وطاف بها، فوجد بها قنوات للمياه مصنوعة من الفضة تروى أشجارًا مثمرة، فوقع فى نفسه أنه قد دخل الجنة التى وصفها الله فى القرآن، فحمل معه بعض اللآلئ والمسك وعاد إلى بلده وباعها بمال كثير حتى بلغ الوالى فى صنعاء أمره فقبض عليه، وأرسله إلى الخليفة معاوية في دمشق ، فقص عليهم هذه القصة، فبعث الخليفة إلى أحد من كعوب الأحبار يسأله، فقص عليه هذه القصة العجيبة، فقال كعب الأحبار إن هذه هى مدينة إرم ذات العماد، ووصفها بنفس الأوصاف، فقال معاوية بن أبى سفيان: هى والله جنة شداد بن عاد التى ذكر القران أنه لم يخلق مثلها فى البلاد.



صورة لجزء من مدينة حضرموت التي يقال ان قوم عاد كانوا بالقرب منها

عود بن عنق

تعتبر أسطورة عود بن عنق من الأساطير المشهورة فى اليمن([1]) والتى تعود إلى عصور قديمة، فربما ترتبط هذه الأسطورة بحكايات وقصص قوم عاد الذين سكنوا فى اليمن، حيث يقال إن أجسامهم كانت كبيرة وعملاقة. ويروى اليمنيون أسطورة عود بن عنق بعدة أشكال؛ فمنهم من يقول إنه كان يمشى فى اليمن بين الجبال والسهول بخطوات متباعدة وواسعة، وإن جبال اليمن المنخفضة والمرتفعة تكونت جراء آثار أقدامه حين كان يمشى عليها فتصعد وتهبط التربة تحت رجلية مكونة الجبال ([2])، وإن المنخفضات تكونت جراء التقاطه الطينَ منها وديان اليمن. كما يعتقد بعض الناس أنه كان يلتقط الأسماك من بحر عدن ويشويها فى عين الشمس ثم يأكلها. ويقال إن أمه كانت بحجم البشر العاديين، وإنه ذات مرة نام وتسلقت أمه على جسده، فشعر بمشى على جسده فظنها حشرة ففركها بيده فقتلها، واكتشف بعد ذلك أنها أمه. ويروى اليمنيون أنه مات بعد أن غضب الله عليه بسبب هذه الحادثة.

العرب البائدة

كثيرًا ما نسمع هذا المصطلح ولا ندرى بالضبط ما يعنيه؛ هل هى قبائل انقرضت ولم يعد لها أى أثر؟ أم بقي من نسلها القليل؟ وبالصدفة قرأت حكاية فى كتاب أساطير وفولكلور العالم العربى للمؤلف شوقى عبد الحكيم ([3])، فيخبرنا بالآتى..

(١) أسطورة عود بن عنق موجودة أيضاً في تراث الكثير من البلدان العربية وقد قرأت ذات مرة أسطورة لبنانية قريبة من هذه الأسطورة وتسمى عود بن عنف أيضاً.

(٢) عندما كنت صغيراً كنت أسأل أصدقائي عن سر ارتفاع وانخفاض الجبال في اليمن ونحن نطل على أحد الجبال القريبة من سكن الباحث وكانو يعللون ذلك بأن عود بن عنق مشى بقدميه بين الجبال وتكونت هذه الارتفاعات النخفاضات بسبب آثارر أقدامه العملاقه.

(٣) – شوقي عبد الحكيم – مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية– القاهرة – دار ابن خلدون – ١٩٧٤.كان الكاتب– على ما يبدو– قد تعمق فى البحث عن تاريخ هذه القبائل البائدة.

هذه القبائل سكنت الجزيرة العربية، ويقال إنها أبيدت وانتهى أمرها ولم يبق لنا ما نعرفه من آثارها إلا القليل من الأخبار والحكايات، مثل قبائل عاد، وثمود، وطَسم، وجديس، وجرهم، ويقال: منها سومرًا فى العراق وآرام فى الشام وغيرها من القبائل التى انقرضت لأسباب مختلفة تحفظها الكثير من الحكايات.

ويقال إن قبائل عاد انقرضت عندما دخلت فى حرب مع قبيلة بنى عفير بن لقيم، وذلك بسبب إذلال سالم بن هزيعة لزوجته، وهى شقيقة لقمان بن عاد، فغضبت لذلك قبائل عاد ونشبت الحرب بين القبيلتين، وهزمت قبائلُ عاد قبائلَ لقيم حتى أفنوهم عن آخرهم ولم يتركوا منهم أحدًا إلا امرأة يقال لها صنيعة من بنى عمرو بن لقيم، كانت متزوجة فى قبيلة ثمود رجلاً من أشرافهم، فولدت له (الوضيع وغانمًا)، ولما صارا رجلين أخذت هذه المرأة تفكر فى الانتقام لقبيلتها التى أبيدت، فحملت معها ولديها وسارت لاجئة إلى قبائل جناح من أبناء ثمود بن عابر بن سام، حيث كانت لها أخت متزوجة هناك، وكانت قبيلتهم من أقوى العرب وأمنعهم، فتسببت هذه المرأة فى نشوب حرب جديدة بين عاد وثمود، فقتَّلت ثمود كل قبيلة عاد حتى أفنوها. لكن بعض العلماء والمؤرخين يرون أن هذه القبائل لم تنقرض كليًّا، ويستدلون على ذلك بأن جرهم من نسلهم، وهى من سكن مكة، وأيضًا العماليق الذين سكنوا الشام، وأيضا أبناء سام بن نوح الذين سكنوا صنعاء اليمن.

أول من نطق العربية

يقال إن أبا اليمن يعرب بن قحطان كان هو أول من تكلم اللغة العربية، وهو الذي جاء من نسله تبابعة اليمن القديم، ثم تفرعت منهم كل القبائل العربية.

ويقال إنه قد آلت إليه الصحيفة التى أنزلها الله إلى آدم ثم انتقلت إلى نوح ثم سلمها نوح إلى ابنه سام وسلمها سام إلى ابنه عابر، ومنه إلى ابنه يعرب، قائلاً له: يا بُنىَّ سيقال لك يومًا من الأيام وتقول، أى تتكلم، فاضرب بما فى يديك. فلما أن ذهب إلى بابل قيل له ففعل ذلك، فانقسمت الألسن إلى اثنين وسبعين لسانًا.

وقيل تبلبلت الألسن وسميت ببابل لهذا السبب [١]، وأجرى جبريل على لسان كل أمة لغتَها، فنطق الناس بالألسن الأعجمية والعربية، وأفصح يعربُ بالعربية وهود أبوه وكذلك عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق ورائش، فأدركتهم بركتها وتغلبوا على جميع الألسن، وكان أن نطق يعرب بقصيدة من الشعر فى أول ما نطق فكانت سببًا فى أن يكون نسله من العرب يقولون الشعر إلى وقتنا الحاضر.

ويقال إن نبى الله هود وجد منه ريح المسك، فقال له اذهب واسكن أرض اليمن فإنها لك خير وطن[٢].

حكاية سبأ الأول

يقال إنه من أحفاد سام بن نوح، وجاء حكمه لليمن بعد الطوفان، بعد أن تكاثر نسل سام فى اليمن من الأبناء والأحفاد. حيث كان عمر الإنسان منهم يطول إلى أكثر من ألف سنة حتى أن الرجل كان يملك قبيلة كبيرة من نسله، ويقال إن اسمه سبأ بن عامر، وكان له الكثير من الأبناء والأحفاد الذين توزعوا وانتشروا فى بقاع كثيرة فى اليمن والجزيرة العربية، فمنهم من ذهب إلى حضرموت ومنهم من ذهب إلى تهامة ونجران واليمامة ودمون، وعمان وافريقيا وغيرها.

كما يقال بنيت فى عهده المنازل والقصور الفخمة واخترعت فكرة السدود لحجز السيول والأنهار، وزُرعت الأراضى وعاش الناس حياة كريمة. ويقال إن مدينة صنعاء بنيت فى ذلك العصر، وكانت أول مدينة فى الكون تتجمع فيها المنازل والأسواق فى مكان واحد، وكانت تسمى حينها بمدينة سام. ويقال: بناها سام بن نوح لأبنائه وأحفاده عندما كثر عددهم، ولتكون محل معيشته وإقامته الدائمة، وجمع فيها شئون أحفاده فى مكان واحد فكان يأتى إليها أحفاده من الرجال والنساء ويتبادلون فيها

(١) يقصد هنا مدينة بابل في العراق.

(٢) أساطير وفولكلور العالم العربى، شوقى عبد الحكيم، ص (٣٢).

المحاصيل فى كل حين. وعندما توفى سام بن نوح ذهب حفيده سبأ [1] إلى مأرب للعيش هناك وبنى فيها سدًّا كبيرًا تجتمع إليه الأنهار من كل أنحاء اليمن، فتحولت الوديان إلى حدائق تنتج أنواع الثمار المختلفة. فكانت النساء تخرج إلى البساتين فتمشى تحت الأشجار فتتساقط عليها الثمار، فتملأ الأطباق دون الحاجة إلى قطفها، وكان الناس يأتون إلى مأرب من كل مكان ليأخذوا من زروعها وثمارها. ويقال كان هناك عرافة تدعى (طريفة) تنبأت وحلمت ذات مرة بتهدم سد مأرب وخراب المدينة (وسنورد قصتها مفصلة فى الصفحات القادمة) فما كان من سبأ الأكبر إلا أن وزع أبناءه فى أقطار الأرض وهاجروا منها قبل أن يتهدَّم السد.

وهناك حكاية أخرى عن سبأ وردت فى الكثير من المصادر، حيث يقال إنه كان ذات مرة قد خرج فى رحلة صيد فى الجبال لصيد الغزلان، وبينما هو فى طريقه إذ وجد غزالة يحاصرها عدد من الأسود، فأشفق عليها وأنقذها منهم وتركها لحال سبيلها، بينما استمر فى البحث عن صيد آخر حتى ظهرت أمامه فجأة مدينة كبيرة تمتلئ بالقصور والحدائق الغنّاء، فاستعجب من وجود مثلها فى هذا المكان وأنه لم يعرف عنها شيئًا من قبل، فقال فى نفسه: سأدخل إليها وأتعرف على أهلها. فظهر له فى منتصف الطريق ملك هذه المدينة، فسأله سبأ: أمن الجن أنت أم من الإنس؟ فقال: بل من الجن، وهذه مدننا نعيش فيها إلى جواركم، وهي لا تظهر لأحد من البشر.

ولاحظ سبأ فتاة جميلة تمر من خلف ملك الجن، وكانت تنظر إلى الملك سبأ بإعجاب ولهفة، فأعجب بجمالها أشد إعجاب، فسأل من هذه؟ فقال له ملك مدينة الجن: إنها ابنتى، وهي الغزالة التى أنقذتها من الأسود– وقد كانت حينها فى صورة غزالة. فقال له سبأ: أتزوجنى إياها؟ فوافق ملك الجن وحدد موعدًا للزواج وطلب من الملك سبأ أن يعود إلى قومه ثم يأتى مع كبارهم لأخذ عروسه. فعاد الملك سبأ وبعد أيام

(١) يعتقد الكثير من الباحثين أن سبأ لم يكن رجل أو حاكم واحد وربما كان الأسم لأكثر من ملك وكذلك سد مأرب يقال بأنه بني في أكثر من فترة كما تهدم لأكثر من مره وكان كلما تهدم هاجرت القبائل اليمنية حتى يأتي زمن يعود أحد الحكام ببنائه.

عاد ومعه حشد كبير من كبار قومه، ودخل المدينة وتقدم إلى عروسه ورجع بها إلى مأرب [1].

عرف الناس جميعًا أنه سبأ تزوج من الجن وأصبح بينه وبين الجِنّة نسب وصهر، فعاونوه وبنوا له القصور والسدود والحدائق. وأنجبت له زوجته فتاة واحدة سماها بلقيس، وهي التى حكمت اليمن إلى عصر نبى الله سليمان، ويقال إن والدها عندما كان على فراش الموت دعا كبار قومه إلى القصر ووصاهم أن يولوا عليهم ابنته بلقيس من بعده، فقال له بعضهم: كيف نوليها علينا وهناك ذكور من أبناء عمها؟! فقال لهم إن بلقيس حفيدة لملوك الجن والإنس وليست كغيرها من البشر العاديين ولا قوةَ لأحدٍ بها، وإن أخوالها من الجن، ويمكنكم الاستعانة بهم فى حمايتكم وفى بناء مدنكم وقصوركم، فوافق الجميع، وحكمت الملكة بلقيس اليمن، وبلغ حكمها أقطارًا عديدة من الأرض المجاورة لليمن فى الجزيرة العربية، ويقال بل بلغت الحبشة وأجزاء من إفريقيا، واستعانت بالجن فبنوا لها أعظم الحدائق والقصور والسدود واستخرجوا لها كنوز الأرض حتى أصبحت تحفة من العمارة والفنون والهندسة، فصنعوا ما لم يصنعه أحد من قبلهم. واستمر حكم بلقيس حتى جاء نبى الله سليمان الذي أرسله الله وسخر له الجن والمردة وكل ما فى الأرض، فعرفت أن ما تملكه ما هو إلا شيء يسير مقارنة بما يملكه نبى الله سليمان، وأن لا قبل لهم بقوة سليمان، فذهبت إليه وأعلنت إسلامها ودخلت فى دينه ومن معها من الجن والإنس. ويقال عادت إلى اليمن بامر منه وحكمت وتزوجت، ويقال تزوجها سليمان الحكيم وعاد معها إلى اليمن لفترة ثم عاد إلى فلسطين وكان يزورها بين الحين والآخر.

(١) يبدوا من هذه الحكاية انها تأثرت بالأساطير اليهودية وربما كان ليهود اليمن دوراً في تناقلها بين الأجيال وقد سمعتها من بعض الرواة في أكثر من إخباري كما قرأت شبيهاً لها في كتب التراث العربي القديم.

بلقيس ملكة اليمن فى حكايات الآباء

تروى قصة الملكة بلقيس فى اليمن بأكثر من صيغة، فهناك من يحكيها على هيئة أسطورة يختلط فيها عالم البشر مع عالم الجن كما سنوردها لاحقًا، وهناك من يحكى قصتها على أنها ملكة من البشر العاديين، فارسة ذات حكمة وبأس شديد. وهناك أيضا حكايتها فى التوراة والأساطير اليهودية وأيضًا فى الإنجيل، كما وردت قصتها فى القرآن.

ونحن هنا لا نلتزم الروايات الدينية بقدر ما يهمنا أن نورد الحكاية الشفوية التى احتفظت بها الذاكرة الشعبية اليمنية، ويهمنا أن نسجل كيف تحكَى أسطورة الملكة بلقيس فى أكثر من مكان من اليمن، لذا سوف أذكر حكايتها التى سمعتها من عدد من كبار السن، وأعتقد أننى لم أجدها فى كتب الأديان أو التاريخ [1]، وأعتقد أن هذه الحكاية سنجدها أقرب إلى الحكى الشعبى الذي ربما يكون له جذور قديمة هى أقرب للحقيقة، فمن سياقها تبدو لنا نابعة من التراث الشعبى المتناقَلِ شفويًّا وله بعد جمالى فى نفس الوقت.

تقول الحكاية على لسان الأخبارى- وهو من كبار السن فى مدينة إب- إن الملكة بلقيس كانت وحيدة والدها الذي كان ملكًا قويًّا لم ينجب من الذكور أحدًا طوال حياته، وكان معروفًا بحكمته وشجاعته وحبه لشعبه الذين بادلوه نفس الحب. وكانت بلقيس ملكة جميلة ساحرة الجمال تفتن كل من يراها من النظرة الأولى، وإضافة إلى جمالها كانت شجاعة وقوية تحب الفروسية منذ طفولتها، وكان والدها ينظر إليها كما لو كانت عوضًا له عن الأبناء الذكور. وعندما كبر فى السن احتار الناس فيمن سيرث الحكم، وكانت بلقيس تحضر المعارك مع الجنود وكانت شجاعتها وقوتها فى القتال تفوق مائة فارس، وتتفوق على أكبر قادة الجيش. كما كانت تحضر المجالس مع والدها وتقوم

(١) ربما أنها لم تدون من قبل، فهى من المرويات الشعبية التى سمعتها من كبار السن فى منطقتنا فى محافظة إب،

بحل الكثير من المشاكل التى تواجه البلاد، وكان أبوها يحبها حبًّا شديدًا لما يراه فيها من الذكاء والفطنة والقوة. وعندما شعر والدها أن أجله قد اقترب جمع عقلاء اليمن وأشار عليهم بأن تتولى ابنته بلقيس من بعده الحكم لما لها من القوة والحكمة. وكان كبار القوم يعرفون مالها من القوة والبأس والحكمة فوافقوا جميعًا وبايعوها لتكون ملكة عليهم.

توفى والدها وتولت الحكم، واجتمع الناس حولها إلا ابن عمها الذي رفض الخضوع لها، وكان يرى أنه أولى بالحكم منها لأنها امرأة، فعارضها وطالب بأن يكون الحكم فى نسل حِمير، وهم أبناء عمومتها، فتبعه من كان يرى من قومه أنه لا يصح أن تتولى الحكم عليهم امرأة، كما أقنع ابن عمها بعضَ القادة من الجيش، فخرجوا عن الطاعة وفر بجيشه إلى منطقة ظفار وسط اليمن [١]، وأعلنها عاصمة لدولته الجديدة وأسماها (حمير) نسبة إلى حمير بن سبأ، وأعلن الحرب على بلقيس وأبناء عمه من سبأ. وعند ذلك أعدت الملكة بلقيس العدة لقتاله وإعادة الأرض إلى سيطرتها وأعدت جيشًا لا يقدر عليه أحد، إلا أن حكمتها جعلتها تفكر فى حل لا يزهق دماء اليمنيين، فهم لا يستحقون الموت بسبب خلاف بين أبناء عمومة، وكان قد عرض عليها الزواج من قبل ورفضت لما رأت فيه من الخداع والمكر، فأرسلت إلى ابن عمها رسولاً تعرض عليه توحيد اليمن، ولو كان ذلك بالزواج منها على أن تكون هى الملكة وهو الملك، فلما رأى رسالتها ظن أنها قد غيرت رأيها فيه وأنها قد أذعنت له، وقرر فى نفسه أن يتزوجها ويقتلها ثم يستولى على حكم اليمن ويرجع الحكم إلى أبناء حمير[٢] بدلاً من سبأ، فأرسل إليها أنه موافق على الزواج، ولكنها اشترطت عليه شروطًا، كان أهمُّها أن يأتى بجيشه معه فى حفل كبير، وأن يجتمع الجيشان ويصبحا جيشًا واحدًا فى يوم العرس أمام مرأى الجميع، وأن يأتى على رأس جيشه بالكامل إلى مأرب، وألا يقاتل أحدًا فى الطريق.

(١) جاء حكم الدولة الحميرية بعد الدولة السبئية وربما بعدها بقرون ولكن كان لابد من توثيق الحكاية الشعبية حسب ما وردت من الرواي.

(٢) جاء حكم الدولة الحميرية لليمن بعد الدولة السبئية ويرى الكثير من الباحثين والرواة أنا حمير وسبأ كانو أبناء عم وقد ورد ذلك في بعض النقوش وقد روى الإخباري أن الصراع بين ابنا العم كان في عهد بلقيس وربما يكون ذلك نوع من الخيال الشعبي لأن الصراع جاء متأخراً في النقوش.

وصل ابن عمها إلى مأرب على رأس جيشه العظيم الذى حاول من خلاله استعراض قوته بأكملها، وعندما وصل إلى الساحة التى تقرر فيها الحفل خرج جيش بلقيس أيضًا لاستقباله بحفاوة كبيرة، وقد ملأت الاحتفالات والراقصات الجميلات الشوارع، وجهزت لجيشه الولائم التى ملأت الطرق ، فشعر بالأمان واطمئن إلى أنها قد أدركت قوته وحقه فى الحكم لما رآه من حفاوة الاستقبال، وعندما وصل إلى الساحة الكبيرة أمام الجيشين نادته الملكة بلقيس من المنصة التى تشبه المسرح وهى فى رداء ساحر جميل، وطلبت منه أن يصعد إلى المنصة لبداية مراسم الزفاف، وحين صعد نادت على قادة الجيش والحكماء ورؤساء القبائل للمباركة من حول المنصة، والتفَّ الجميع من حولهما، فإذا بها تفاجئ الجميع بخطاب سمعه كل القادة والجند، قالت فيه إنها ترغب فى مَحْو الخلاف بينها وبينه ابن عمها ولكن ليس بالزواج بل بمعركة يخوضها الاثنان فقط، أمام الجميع على أن يكون ملك اليمن للمنتصر منهما، وأن يطيع قادة الجيشين المنتصرَ أيًّا كان، وألا يتدخل أحد فى معركتها مع ابن عمها، وبررت لهم ذلك بأنها لا تريد أن تتزوجه وإنما اضطُرت إلى هذه الخطة كى تكفى البلاد ويلات الصراع والحرب، فالجنود لا ذنب لهم فى خلافها مع ابن عمها. ففرح ابن عمها وضحك مستهزئًا وقال إنه سيقضى عليها بضربة واحدة، وما عليها سواء توجيه الأوامر إلى قائد جيشها بأن يطيعه بعد موتها [1].

وبعد أخذ الميثاق على قادة الجيشين بالطاعة للمنتصر بدأت المعركة بينهما فى المنصة، واصطكّت سيوفهما، واشتد القتال بينهما، حتى تفاجأ الجميع ببلقيس ترفع رأس ابن عمها على حدّ سيفها، فأعلن الجيش والقادة الولاء لها والطاعة. وهكذا قضت على الفتنة دون أن تهدر دم جندى واحد من الجيشين، وبسطت نفوذها على جميع بقاع اليمن، ووصلت حدود مملكتها إلى الجزيرة العربية بل وخارجها، فجمعت إليها

(١) ترد الحكاية باللهجة العامية بمصطلحات لا يمكن لغير اليمنيين فهمها بل لليمنيين أنفسهم كون للهجات اليمنية تختلف من قرية إلى أخرى ومن بلد لآخر فكان من الصعب تحليلها بلهجات الجميع فكانت اللهجة الوسطى أنسب في حال الحكايات لترايخية حسب ما يرى الباحث.

أمهر البناة والمهندسين والعلماء من كل المجالات، وبنت السدود والقصور والمدن والجنان والحدائق والبساتين لم يسبق لأحد أن رأى مثلها فى كل أنحاء الأرض. وكانت قصورها تطلى بالذهب والفضة وتزين بالياقوت واللؤلؤ، وتغطيها الحدائق الغناء، وبنت لها عرشًا جدرانه من الذهب والفضة، وأقامت فى مملكتها معابد غاية فى العظمة لم يسبق أن شهدت مثلها الأرض، وطبقت شهرتها الآفاق، فكان الناس من جميع أنحاء العالم يسافرون إلى اليمن لشراء ما تكتنزه من كنوز وما تزرعه ما تزرعه حدائقه الغناء، وما تنتجه مصانعه من الأمتعة المختلفة.

وجاء ملك نبى الله سليمان فأرسل رسالة قرأتها وعرفت بها الحق، فذهبت إليه بكنوز تحملها قافلة أولها فى فلسطين وأخرها فى اليمن، ولكنها وجدت لديه من الملك ما لا يسعه الخيال– أيقنت أنه على دين الحق، فآمنت وأسلمت لله رب العالمين (١).



لوحة متخيلة للملكة بلقيس من أعمال الكاتب

(١) هكذا اختتم الرواي الحكاية الشعبية بالخلط بين الحكاية الموروثة والحكاية الدينية التي وردت في القرآن الكريم.

أسعد الكامل

ينسب إلى الملك اليمنى أسعد الكامل كثير من الحكايات البطولية، منها هذه الحكاية.. بعد أن فتح الكثير من أقطار العالم قيل له إن هناك أرضًا لم يستطع أحد من قبلك إخضاعها، تقع وراء بحر الظلمات، فقرر أن يذهب بجيشه إلى ما وراء بحر الظلمات، ويقال إنه كان يُقصَد بها أرضُ الروم، فجمع الجيش وأعد له العدة وانطلق به إلى البحر لغزوا هذه الأرض. ويقال إنه أخذ مع جيشه مجموعة من الأُتُن (إناث الحمير) حديثة الولادة، فكان يضع على كل مسافة من الطريق رضيعًا واحدًا منها كى تدله على الطريق فى العودة، إذ من المعروف أن الأتان لها مهارة فى معرفة أماكن أولادها فتعود إليها، وهكذا يعرف الملك والجيش طريقهم خلال العودة فى الصحراء [1].

وصل الملك إلى ساحل بحر الظلمات، ووقف مع جيشه يتأملون البحر فوجدوه مظلمًا ثائر الأمواج تسكنه وتحميه الجن، ولم يسبق أن عاد أحد خاض هذا البحر طلبًا لما وراءه، فأمر الملك جنوده بتجهيز سفنهم وحمل خيولهم ومعداتهم عليها استعدادًا لخوض البحر، فركب الكثير منهم السفن ورفض البعض الركوب لما شاهدوا من أهوال البحر وتلاطم أمواجه، فأمرهم بالعودة إلى اليمن شرط أن يمارسوا بعض المهن وأن لايتزوجوا من القبائل التي تتميز بالشجاعة، فوافقوا على ذلك. وقيل مارسوا بعدها المهن التى تخدم الناس، وقيل هى المهن التى يمارسها بعض اليمنيين والتى أصبحت لاحقًا تميز بين القبائل الى وقتنا الحاضر.

أما الملك أسعد فخاض البحر مع جنوده الشجعان دون خوف، وعندما تعمقت سفنهم فى البحر تصارعت مع أمواجه الهادرة، فعصفت بالجند وغرق الكثير ووقع سيف الملك أسعد فى البحر. فأمر أسعد جنوده أن يغوصوا فى البحر حتى يخرجوا السيف من أعماقه، فقفز نصف الجيش فى البحر، وبقي مجموعة من الجنود رفضوا

(١) مع ن هذه الحكاية تبدوا غريبة على الخيال الشعبي في اليمن إلا أن الباحث قد قارنها بحكاية التبع اليماني أو الملك حسان أو اسعد الكامل في كتب الأساطير العربية القديمة.

القفز بحجة أنهم لا يريدون أن يغرق الجميع أو يموتوا فى البحر، وبعد لحظات عاد أحد الجند بالسيف إلى الملك وأضاءت السماء حتى رأى كل من فى السفينة أرض ما وراء بحر الظلمات.

وصل الجيش الأرض المنشودة، فوجدوا فيها جيشًا جرّارًا ينتظرهم، فحاربوه حتى قضوا عليه، ووصلوا إلى قلاعهم وحصونهم لجمع الغنائم فلم يجدوا شيئًا كما كانوا يتوقعون! ! ومروا بأرض جدباء كثيرة الأحجار والحصى شبيهة بالفحم، تصدر خشخشةً حين تدوسها خيولهم، فقال لهم الملك أسعد إن عليهم جمع هذه الأحجار وحملها على ظهور الخيل ليعودوا بها إلى اليمن، وأمرهم أن يحملوا منها ما يقدرون. فحمل فريق منهم الأحجار بقذارتها على جمالهم وعلى ظهورهم، ورفض آخرون، وهم الفريق الذي رفض الغطس لإخراج السيف من قاع البحر، وتحججوا بأنهم جاءوا لجمع الغنائم لا لجمع الحصى القذرة، وعادوا معه إلى البحر وركبوا سفنهم.

وبعد أن اجتاز الجيش بحر الظلمات إلى الناحية الأخرى منه، فوجئ الجنود بأن الفحم قد تحول إلى ذهب[1]، فندم كل من لم يحمل معه شيئًا منه، فكانت مكافأة الملك للجنود الأوفياء الذين أطاعوه إلى آخر لحظة بأن يأخذ كل منهم ما حمل من الذهب، وأما من لم يطع أوامره فيكفيه من العقاب ما أصابه من الندم.

الكاهنة طريفة

عاشت هذه الكاهنة فى عصر الملك سبأ. رأت ذات مرة حلمًا أن سحابة سوداء أمطرت مطرًا شديدًا تصاحبه الرعود، يغرق كل البلاد. وعندما خرجت من المنزل ذاهبة إلى الملك رأت ثلاث حيوانات من الجربوع تضع أيديها على عيونها فتشاءمت أكثر. ورأت سلحفاة مستلقية على ظهرها وتحاول العودة إلى وضعها الطبيعى وكأنها تغرق فتشاءمت أكثر. فذهبت إلى الحاكم سبأ وأعلمته بأن الهلاك سيحل باليمن، وأنها رأت

(١) في التراث اليمني كثيراً ما نجد قصص مشابهة عن تحول الفحم الى ذهب وخاصة في قصص الكنوز التي يخفيها الجن على شكل فحم.

رؤيا تنذر بذلك، وأن تفسيرها للرؤيا هو سقوط أمطار شديدة تهدم السدود، ومنها سد مأرب. فقام الملك بوضع الخطط لتفادى تلك الكارثة، فأقام وليمة كبيرة دعا إليها كل القبائل، وأبلغهم بالأمر، فهاجر من هاجر منهم، وخرج سبأ مع أبنائه وأخذوا معهم الكاهنة طريفة.

وفى منتصف الطريق توقفوا، وقال لهم والدهم: عليكم أن تتفرقوا فى كل الأرض، فجمعتهم الكاهنة طريفة فى ملتقى طرق ونادت فيهم: "من منكم له القدرة على الصبر وتحمل جلدات الدهر فليذهب إلى مكة" فاختار أحدهم ذلك وتحرك باتجاهها.

"من منكم له هم بعيد، وصبر شديد، ولبس جديد، فليذهب إلى عمان" فاختار أحدهم ذلك وذهب.

ثم قالت: "من منكم يملك القوة والجلد، والصبر والعضد، فليذهب إلى ما وراء هذا البلد" فذهب منهم فريق باتجاه أفريقيا.

ثم قالت: "من منكم يريد الراسيات فى الوحل، المطعمات فى المحل، فليذهب إلى يثرب بلد النخل" فاتجهت طائفة منهم إلى هناك.

ثم قالت: "من يرد الخمر والخمير ولبس التيجان والحرير فليذهب إلى البصرة أو غوير" فذهب إليها جزء منهم.

ثم قالت: "من يرد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، والدم الصداق، فليذهب إلى العراق" [1]

فذهب جزء منهم.

وهكذا تفرقوا، كل فى طريق، ومن بقى منهم قيل لهم: اسكنوا هنا فى أماكنكم فى حضرموت وتهامة، وهكذا.

(١) وردت هذه الحكاية في العديد من كتب التراث والأساطير العربية القديمة وقد قارنتها ببعض منها فكانت مقاربة لها.

مرت الأعوام والسنوات وتهدم السد وهلك من هلك، وهاجر من نجا إلى أبناء عمومتهم، وهكذا تفرق اليمنيون فى أنحاء الأرض.



صوره لسد مأرب في الوقت الحاضر بين جبلين في مأرب

الفأر وتهدُّم سد مأرب

كانت بلاد اليمن وعاصمتها مأرب قديمًا بحاجة إلى حفظ السيول التى تتدفق إليها من الوديان، فقرر الملك سبأ أن يبنى سدًا كبيرًا بين جبلين تمر بينهما هذه الوديان كالأنهار، فقام بتكليف أهل مأرب ببناء السد من الأحجار العملاقة، وأمر أن يُصَبَّ النحاس بينها. وكان له جدار سميك كحاجز لمياه السيول التى تتجمع من الأمطار صيفًا لتُروى بها الأرض شتاءً. وبعد أن تم إنجاز السد وجاء الصيفُ موسمُ الأمطار، وملأت السيول السد وأصبح كالبحر العظيم يسقى كل وديان مأرب، وعاش الناس حياة رغيدة حتى كانت الأشجار تترك وفاكهتها عليها دون أن تجد من يقطفها، فكان العرب يأتون من البقاع المجاورة ويحملون ما يشاءون من ثمار، وكانت المرأة من مأرب تمر بطبقها تحت الأشجار فيمتلئ من الفواكه التى تسقط عليه [1].

(١) كثيراً ماكنت أسمع من كبار السن والإخباريين حكاية المرأة التي تمشي بالطبق الفارغ فتخرج من الجانب الآخر والطبق ممتلئ بما لذ وطاب .

ويقال إن أحد الجنود ممن كان مكلفًا بحراسة السد، وجد مرة فأرًا ينخر فى جداره، فأبلغ الملك بذلك، فذهب ذات يوم مع المهندسين والمعاونين إلى السد فرأوه صامدًا قويًا وضحكوا من ذلك، استخفافًا بفأر صغير قد احتفر له بيتًا صغيرًا بين الصخور، وقالوا: فأر كهذا أهون من أن يؤثر فى جدار بهذه الضخامة، ولا قدرة له على نخر الأحجار والنحاس المصبوب بينها. ومرت الأيام وسقطت أمطار غزيرة وصب في السد سيل غشوم، فتسرب الماء من فتحة دخول الفأر وتوسعت الفجوة حتى انجرفت المياة وزحف الجدار معها . وهكذا سبب الفأر في نهاية أعظم سد فى التاريخ، وعلى يد هذا الفأر الصغير!

حكاية التبع اليمانى

تقول بعض كتب التاريخ إن لقب التبع كان يطلق على كل الملوك، وهو يقابل لقب الملك التابع أى التابع لنفس الأسرة، كما كان يلقب ملك مصر بالفرعون، وإثيوبيا بالنجاشى فيقال نجاشى الحبشة الأول والثانى وهكذا. استمر حكم التبابعة قرونًا طويلة إلى أن جاء الإسلام، ويهمنا هنا أن نورد الحكاية كما يتناقلها الناس شفويًا عن التبع اليمانى [1]، وهى تختلف فى تفاصيل سردها من مدينة إلى أخرى، بل ومن قرية إلى أخرى، ولكن سوف نسرد ما سمعناه من عدد من الأخباريين فى اليمن.

يقال إن تبع اليمانى كان ملكًا عظيم الشأن، ولديه من القوة والعظمة مالم يصل إليه أحد قبله ولا بعده، بل إنه استطاع أن يفتح ويهز عروش الملوك فى بلدان العالم من حوله، فوصل إلى الصين وأخضعها له، ويقال: خضعت له كل بلدان العالم، وكانت تدفع إليه الخراج. ويقال إنه كان موحدًا مؤمنًا بإله واحد يسميه رب السماوات والأرض على خلاف الكثيرين من قومه.

---

(١) –يقال إنه هو الملك ذمار على يهبر، ويعتقد البعض أنه هو سيف بن ذى يزن نفسه، ويقول آخرون إنه ملك آخر، ربما يكون والده أو جده. ويقال هو الملك أسعد الكامل المشهور ذكره فى اليمن.

وذات مرة مر على مكة فخرج إليه أهلها يحملون أسلحتهم وهم لا يرومون إلى قتاله لما عرفوا عنه من القوة، وخرج إليه بعض حكمائها ورهبانها وقالوا له: إن كنت قد جئت لقتال فإننا سنقاتلك ولا نرهبك، ولكن عليك أن تعرف شيئًا واحدًا وهو أنك ستقاتل شبابًا فى ظهورهم (أي سيكون من أصلابهم) نبيٌّ آخر الزمان، فإن قتل هؤلاء الشباب فلن يظهر هذا النبى- وكانوا على علم ودراية بتوحيد تبع وإقراره بالكتب السماوية وما جاء فيها- فقال لهم تبع: وهل قد اقترب مولد هذا النبى؟ فقالوا: نعم. فقال: والله لا أقاتل رجالاً فى ظهورهم نبى آخر الزمان، وإنى لو أدركته لكنت أول من يؤمن به. ولنصرته بالجند والمال. وطلب منهم أن يسمحوا له بالصلاة فى الكعبة، ثم أمر أن تُكسَى بأجود منسوجات اليمن، وأمر بتطريزها بالذهب والفضة، فكان أول من كسا الكعبة وظل كل عام يكسوها حتى وفاته.

وعندما بعث رسول الله صلى الله علية وسلم سُئل عن تبع [١]، فقال: إن تبع اليمانى أسلم بى قبل أن يرانى. وحكى لهم رسول الله قصته ودخوله إلى مكة وتراجعه عن قتال رجالها احترامًا وإيمانًا به. وقال لهم: لا تسبوا حمير ولا تسبوا تبع اليمن فقد أسلم بى قبل أن يرانى، وهو أول من دخل الإسلام وأول من كسا الكعبة. ويروى أنه كان قد مر على الحادثة عشرات السنين.

رحلة الملاح المصرى إلى اليمن القديم

جاءت فى الأساطير المصرية القديمة حكايات عديدة عن اليمن وعن الرحلات التى كان يقوم بها المصريون القدماء إلى أرض اليمن لجلب البخور والمر ومواد التحنيط. وقد كانوا يسمون اليمن بأرض الإلهة أو الأرض المقدسة [٢]، واعتنى المصريون عناية كبيرة بالحكايات التى تربطهم بالرحلات إلى اليمن، وتقول الأسطورة المصرية إن الإله

(١) يروى هذا الحديث في السنة النبوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تبع اليماني كان أول من أسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان على معرفة بالتوحيد وكان له قصيده مشهورة يبشر فيها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

(٢) وردت هذه التسمية في الكثير من مصادر حضارة مصر القديمه..

(حورس) كانت أصوله من اليمن جنوب الجزيرة العربية أرضِ البخور واللبان. وقد دونت بعض هذه الحكايات ومنها على سبيل المثال. قصة بعثة المصريين إلى أرض بونت فى جنوب الجزيرة العربية والقرن الأفريقى، حيث رُسمت أحداثها على جدران معبد الملكة (حتشبسوت)[1] وهي أول حكاية مصوَّرة فى التاريخ.

أما حكاية الملاح الغريق فهى حكاية قديمة جدًّا تؤكد مدى ترابط العلاقات التاريخية للحضارتين اليمنية والمصرية، وقد أورد هذه الحكاية الكاتب محمد فهمى عبد اللطيف بعنوان (الملاح الغريق) فى العدد الأول من مجلة الفنون الشعبية المصرية للعام ١٩٦٥م[2].

وتقول الحكاية إنه كان هناك ملاح شجاع أُوكِلت إليه قيادة رحلة لجلب البخور والمر واللبان والأبنوس من أرض اليمن، فخرج يقود سفينة طولها مئتان وخمسة وعشرون قدمًا، وعرضها ستون قدمًا، وفيها مائة وخمسون ملاحًا من الملاحين الأقوياء الأشداء، فانطلقت الرحلة عبر البحر الأحمر تواجه العواصف والأمواج العاتية حتى إذا وصلوا إلى مكان قريب من أرض اليمن اشتدت عليهم العواصف والأمطار فأغرقت السفينة وغرق كل من فيها، ولم ينجُ سوى هذا الملاح القوى الذى تمسك بلوح من الخشب وظل يقاوم الأهوال والأمواج والحيتان، حتى رسا على جزيرة وسط البحر، فوجدها مليئة بالفواكه والحبوب والطيور، فاصطاد وأكل حتى شبع وارتوى، ثم أوقد النار شكرًا للآلهة على النجاة من الموت.

ولم تلبث الجزيرة أن ارتجت رجة عنيفة، ودوَّى صوت كالرعد، وإذا بثعبان ضخم طوله خمسون قدمًا يخرج منها ويقف أمام الملاح الشجاع منتصبًا قائلاً له: من أين أتيت أيها الشيء الصغير؟ فوقف الملاح يقص عليه قصته باطمئنان. فأشفق عليه الثعبان

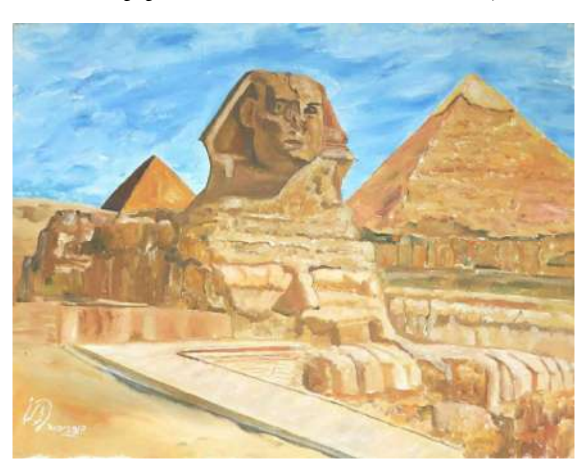
---

(١) الملكة حتشبسوت من أشهر الملكات في حضارة مصر القديمة وقد دونت رحلتها الى ارض بلاد بونت على جدار معبد الدير البحري في مدينة الأقصر جنوب مصر.

(٢) مجلة الفنون الشعبية تصدر عن وزارة الثقافة المصرية منذ الستينات وقد قرأ الباحث الحكاية فى العدد الأول من مجلة الفنون الشعبية المصرية للعام ١٩٦٥م.

وحمله فى فمه إلى داره وأغدق عليه من الخيرات، وأخبره أنه يعيش فى الجزيرة مع أسرته المكونة من خمسة وسبعين ثعبانًا، وأنه سيكون آمنًا معهم وسيفرح به أولاده وزوجته، وسيعيش بينهم سعيدًا، وأنه بعد أربعة أشهر سوف تمر من هنا سفينة مصرية فتحملك إلى وطنك.

فعاش الملاح مع الثعابين فى حب ووئام، وبعد مرور أربعة أشهر وصلت السفينة المصرية حسب الموعد، فأغدق الثعبان على الملاح الشاب من الكنوز والهدايا الغالية، وحاول الملاح أن يشكر الثعبان لما قدمه له من عون، وقال له: سوف أخبر الفرعون بما قدمته لى من مساعدة، ولأعودنّ إليك بالكثير من الهدايا من مصر فى الرحلة القادمة. فقال له الثعبان: لا تفعل؛ فإنك إن عدت فلن تجد هذه الجزيرة إلا لجة من الماء [1].



لوحة من أعمال الكاتب لأبو الهول في مصر

(١) ربما أن هذه الحكايات نشأت في التراث المصري نتيجة للرحلات التي كان يقوم بها المصريون القدماء الى اليمن لجلب البخور حيث يرى كثير من الباحثين أن المقصود ببلاد بونت في رحلات المصريين القدماء هي اليمن وليست الصومال كما ذهب البعض.

سيف بن ذى يزن

تروى فى اليمن العديد من الحكايات الشعبية حول الملك سيف بن ذى يزن، الذي سَطرت الكتب الكثيرَ من بطولاته، ولكن– كما قلنا سابقًا– حِرِصُنا دومًا منصَبٌّ على ما هو شعبى منها، فهو غالبًا مختلف تمامًا عن السير الشعبية المعروفة عربيًا وعالميًا، ولذلك أورد هنا ما كنا نسمعه فى القرى من الآباء وكبار السن.

يقال إن والد الملك سيف ذى يزن كان أحد الملوك التبابعة الأقوياء، إلا أنه ضعف فى آخر عمره فهجم الأحباش على اليمن، وقاومهم اليمنيون، إلا أن الأحباش استطاعوا أن يستولوا على اليمن. وكان ابنه سيف مايزال فتى صغيرًا، وحينهاتم تهريبة إلى قصر أحد الملوك فى مكان آخر من الجزيرة العربية[1]، وتعلم هناك الفروسية والقتال حتى أيفع، وكان يتدرب بجهد لكي يستطيع إستعادة وتحرير بلاده.

وعندما كبر سعى في سبيل غايته فطاف بين القبائل فى السر يزورهم ويطرح عليهم فكرة التعاون لتحرير اليمن، فتعاهدت معه القبائل على مساعدته، ولكنّ ضَعف هذه القبائل وقلةَ حيلتها جعل من الإقدام على هذه الخطوة أمرًا صعب المنال؛ فهم بحاجة إلى من يدعمهم بالمال والسلاح وسط قبضة الأحباش القوية. فذهب سيف يبحث فى أرجاء الجزيرة العربية عمن قد يساعدهم فى تحرير اليمن، فتوجه إلى الحجاز وطلب من قبائله التعاون، فلم يجد لديهم بغيته، ثم إلى ملك الشام فاعتذر عن مساعدته، ثم ذهب إلى ملك العراق فاعتذر أيضًا عن مساعدته. ثم ذهب إلى ملك الروم فأعتذر منه أيضا ثم ذهب الى ملك فارس فقابل الملك وعرض عليه مساعدته فى تحرير اليمن، فعرف الملك الفارسى أن سيف ابن عز مغلوب، فقال له: إن بإمكانى إعطاءك المال ولتشتري الرجال، وأمر له بهبة كبيرة من المال والذهب، فأخذها سيف وذهب إلى وسط السوق ونادى على الناس حتى تجمعوا إليه، وأخذ ينثر المال والذهب على رؤوسهم. فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا الشاب لأمرًا عظيمًا، فأمر باللحاق به وإرجاعه إلى القصر، وعندما

(١) يقال انه تربى على يد ملك في شمال الجزيرة العربية الأردن حالياً ويقال على يد ملك الحبشة.

عاد سيف إلى القصر سأله الملك: ما بالك تهدِر الذهب والمال على رؤوس الناس ولم تأخذ ما وهبناه لك! فرد عليه سيف: إن جبال اليمن مليئة بالذهب والفضة ولا حاجة لى بذهب ولا مال، إنما أنا بحاجة إلى الرجال. فأمره بالبقاء فى القصر واستشار وزراءه فأشار عليه أحد الوزراء بأن يخرجِ مَن سجون بلاد فارس كل من فيها من قُطاع الطرق والقتلة واللصوص وكل من لا يرغبون ببقائهم فى بلد فارس، وأن يولى عليهم بعض قواده ويعطيهم السلاح والمال، ليصنع منهم جيش لتحرير اليمن من الأحباش، وأشار عيه بقوله: إن هم فشلوا وقتلوا فهم يستحقون الموت ، وإن هم أفلحوا فلهم طيب العيش هناك، على أن نتفق مع سيف أن يوليهم مناصب فى الحكم، ونكون بهذا قد كسبنا ولاء دولة جديدة تقوِّى من نفوذ فارس فى بحر العرب وتأتينا بالخراج من هناك.

أعجب الملك بالفكرة، فأمر بتجهيز جيش من المسجونين فى عموم مدن فارس، وأن يُعطَى لهم مراكبٌ كبيرة تنقلهم عبر البحر إلى اليمن، وأن يدرِّبهم سيف هناك فى سواحل اليمن بعد وصولهم، فخرج سيف بهذا الجيش وهبطوا على سواحل عدن، واتخذوا لهم معسكرًا للتدرُّب هناك. وأرسل سيف إلى القبائل التى تدين له بالولاء فأرسلوا شبابهم سرًّا إليه. حتى تجمع الكثير ممن يرغبون فى تحرير اليمن، وهجموا على الأحباش، ومازالوا يمرون على مدن اليمن ويحررونها واحدة تلو الأخرى مخلفين وراءهم مئات القتلى والأسرى من الأحباش، حتى وصلوا إلى صنعاء وقتلوا قائد الجيش الحبشى. وتهافتت القبائل لنصرة سيف من كل مكان، وقُتل من الأحباش ما لم يسبق لهم أن خسروا مثله، وهرب الكثير منهم ولم يبق إلا مجموعة من الأسرى ممن سكنوا اليمن وطاب لهم المقام فيها، فقال لهم سيف: إن شئتم العيش هنا فستعملون خدمًا لليمنيين ولرجال القبائل، فبقي الكثير منهم وظلوا يعملون كعبيد وخدم [1].

مرت السنوات وسيف يحكم اليمن حتى بلغت من الشأن ما لم تبلغه من قبل، فغار منه معاونوه من الفرس، فأجمعوا رأيهم سرًّا على قتله والاستيلاء على اليمن وملكه– وكان سيف صعب المنال لا يقدر عليه أحد– فنصبوا له كمينًا لا يقدر فيه على

(١) حكم الفرس اليمن قبل الإسلام فعلاً وقد بقي منه الكثير بعد الإسلام وقد أسلموا مع اليمنيين وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى حاكمهم أميراً على اليمن بعد الإسلام.

الإفلات، فدعوه إلى نزهة صيد فى إحدى غابات اليمن، فوافق سيف على ذلك وخرج معهم وقد جهزوا عشرة من الحرس ووكلوا إليهم قتله، فخرجوا معه وهو على ثقة بهم حتى بلغوا وسط الغابة، فعمد سيف إلى شجرة ليرتاح قليلاً فوضع سلاحه بجانبه ونام تحتها، فأمر وزراؤه من الفرس- الخونة من الحرس برميه بسهامهم مرة واحدة، فشكلوا دائرة من حوله ورموه بسهامهم مرة واحدة فاخترقت السهام جسده وثبتت فى جذع الشجرة.

وبهذا انتقل الحكم إلى وزرائه من فارس، فولوا ملكًا منهم على اليمن وأضافوا البلاد إلى مملكتهم، وظل اليمن تحت الحكم الفارسى حتى جاء الإسلام واعتنقه اليمنيون، وانتهى حكم فارس بدخول ملكهم باذان الإسلام. وامتزجوا باليمنيين وسكنوا صنعاء وما حولها من المدن، وأصبحوا جزءًا من اليمن. ويقال عاد البعض منهم إلى فارس. وأما بقايا الأحباش فيقال إن منهم الفئة الموجودة فى اليمن حاليًا ويطلق عليهم (الأخدام) أو (المهمشين)، وقيل بقي من هؤلاء الأحباش الكثير وخاصة فى الجنوب وسهل تهامة، وسكن منهم البعض فى تجمعات وقرى وما زالوا هم أصحاب البشرة السمراء المعروفة بأخدام اليمن نسبة إلى عملهم كخُدام فى فترة من الفترات. وأما من دخل منهم فى الإسلام فقد تم تحريرهم من العبودية وأصبحوا جزءًا من المجتمع اليمنى، وأما من تمسك بدينه- وقيل هو النصرانية- فلم يتمكنوا من الاندماج مع القبائل أو التزوج منهم فاتخذوا لهم أماكن بعيدة عن غيرهم للعيش فيها كالجبال والسهول البعيدة. وظلوا على حالهم يعملون فى خدمة الناس ولم يندمجوا مع اليمنيين إلى وقتنا الحاضر [١].

(١) يوجد في اليمن أكثر من خمسة مليون من ذوي البشرة السوداء يطلق عليهم المهمشين يعيشون ضروفاً صعبة وقد حاولت الدولة دمجهم بالمجتمع بعد الثورة اليمنة التي ساوت بين اليمنيين إلا أن التخلف الذي كان قد ساد اليمن في فترة حكم الإمامة الذي هجرهم للسكن حول السوائل وأبعدهم عن القرى جعلهم يعيشون في عزلة ولم يلتحق الكثير منهم بالمدارس مما زاد من جهلهم وحرمانهم.



جدارية يمنية وجدت على أحد جدران القصور القديمة في مدينة شبوه

الجدل الأعلى اللى تحت الأسفل

يروى فى اليمن الكثير من الحكايات حول الكنوز المدفونة فى الشعاب والجبال فنسمع من الألغاز والأمثال الكثير حول أماكن هذه الكنوز، ومنها هذه الحكاية..

يقال إنه كان هناك ملك من ملوك اليمن القديم يعيش فى إحدى القلاع الكبيرة على قمة أحد الجبال، وكان هذا الملك قد ورث أملاك أجداده من قبله، وآلت إليه الكثير من الأموال والكنوز من الذهب والفضة والياقوت وغيرها، ولكنه لم يرزق بالأولاد، وعندما كبر فى السن واقترب أجله آمر عمالة بحفر نفق كبير ووضع فيه أمواله وكنوزه، وقام بقتل كل من ساعد فى إخفاء الكنز حتى لا يعرف أحد مكانه بعد موته، وعند وفاته ترك لهم الملك لغزًا قال فيه: (قَبَرتُ مالى فى شِعب حلحل.. فى الجدل الأعلى اللى تحت الأسفل) [1].

(١) توجد فيس اليمن الكثير من الحكايات الشعبية المماثلة لهذا اللغز فقد التقيت ذات مرة بمدير مكتب الأثار بمحافظة إب في قريتنا ووثقنا مجموعة من القطع القديمة وحكى لي حينها أن هذه الحكايات قد وردت على مسمعه في أكثر من قرية من قرى اليمن على طولها وعرضها.

ويقال إن كمية الكنوز التى دفنها ستظهر فى يوم من الأيام وإن آخر رجل يأتى من العراق سيحصل على مِلء العمامة ذهبًا، وشعب حلحل فى محافظة إب منطقة أعلى جبل المحمول، ويحكى أصحاب القرى المجاورة أن هذا الملك كان يسكن قمة جبل المسواد، وأنه عندما دفن هذا الكنز دفنه فى هذا الشعب، وعندما سأله الناس قبل وفاته عن مكان أمواله وكنوزه قال لهم هذا البيت من الشعر كأحجية، وهنا احتار الناس إلى وقتنا الحاضر؛ إذ كيف يكون الأعلى تحت الأسفل، بينما تتصاعد المدرجات الزراعية فى الجبل بشكل سلم.

هي بذي عنتر

تحكى هذه الأحجية فى منطقة العود فى محافظة إب، والأحجيته تقول (هى بذى عنتر أو بذى جنتر أو بذى تحتها أو بذى فوقها أو بشق الجبل الذى مجاور لها والمغير من مصر يحصل على ملء كفيه ذهب) فهذه المناطق توجد فيها بقايا آثار تظهر أنها كانت عبارة عن تجمعات لمدينة فخمة، وفى هذا المكان يوجد نقش باللغة اليمنية القديمة مكتوب بخط المسند اليمنى القديم ذكر فيه عبارة "أنت فى طريق طحسيس" (أنت فى مدينة الكنوز) ومازال ذلك المكان يسمى إلى الآن (طحسيس)، ويروي أبناء المنطقة حكايات تقول أن الكثير من الكنوز المدفونة فى هذه الجبال، وأن هناك مدنًا مدفونة لملوك قدماء حصل لهم زلازل أو غرق مفاجئ في هذا المكان . والعجيب في الأمر أنه عندما وجدت آثار العود في هذه المنطقة عام ٢٠٠٧م وجد معها تماثيل بملامح مصرية من الذهب[1]، وهذا يدل على أن بعض الحكايات الشعبية والأحجيات ربما تدل على حقائق تاريخية، ولذلك يوصف علم الفلكلور أو علم التراث الشعبى بأنه موازٍ لعلم الآثار، ويحفظ أبناء المناطق الأثرية فى اليمن أينما ذهبت أحجيات على شكل ألغاز ربما تخفى وراءها الكثير من الكنوز والتاريخ. فقد كان اليمنيين القدامى يدفنون كنوزهم فى

(١) عثرت بعثات التنقيب في اليمن على الكثير من الأثار في منطقة العود محافظة إب والتي بني لها متحف هناك ومنها تمثال على هيئة أبو الهول المصري.

الجبال وكانت لهم أسرار مثل أسرار الفراعنة، وكانت كنوزهم تدفن فى أماكن غامضة ولا يترك لها أثر إلا أحجية تدل عليها، وفي هذه الأحجية دليل على علاقة اليمن بالحضارة المصرية، فقد الأحجية حافظت على إسم مصر فى كلماتها ليس عبثًا بل لمدلولات أوسع، وهذا ما يستدعى الحفاظ على هذه الأحجيات بشكلها وتوثيقها كما هى من الموثقين دون تغيير.

الملكة أروى

تروى الكثير من الحكايات حول الملكة أروى التى حكمت اليمن فى فترة ما بعد الخلافة العباسية تقريبًا، وهي أشهر ملكات اليمن بعد الإسلام، وتضاهى الملكة بلقيس ملكة سبأ فى عصر النبى سليمان. تحوي كتب التاريخ كثيرًا من سيرتها، لكنى سوف أروى لكم حكاية من الحكايات سمعتها ذات مرة من أحد كبار السن فى مدينةجبلة التاريخية[1]، وهذه الحكاية لم أجدها فى أى كتاب، وهي بعيدة كل البعد عما يحكى فى كتب التاريخ، والغريب أن أثار ماورد في الحكاية موجودة إلى الآن، وهذا سر إعجابى بهذه الحكاية. وقد قمت ذات مرة بالبحث فى خفاياها وتفاصيلها فوجدت أن فيها الكثير من الحقيقة، وتطابق الكثير من تفاصيلها الأماكن التى ذُكرت، ومنها الساقيتان اللتان مازالت واحدة منهما تصب الماء في جوامع جبلة إلى وقتنا الحاضر منذ أكثر من ألف عام، وأما الساقية الأخرى فهى سر الحكاية التى أنا بصدد حكايتها لكم والتي مازالت أثارها باقية أيضاً [2].

---

(١) مدينة جبلة التاريخية عاصمة الدولة الصليحية التي اختارتها الملكة أروى عاصمة لها والملكة أروى أشهر من حكم اليمن من النساء بعد الإسلام وتقارن بملكة سبأ في العصر القديم وقد حكمت ما يقارب خمسة واربعون عاماً ومازال قصرها قائم الى وقتنا الحاضر وفيها الكثير من المنازل والقصور التي تعود الى ذات العصر..

(٢) قمت بتصوير الساقية الثانية وهي فعلا موحودة تحت الجبل والوادي الى وقتنا الحاضر ويمكن للزوار رؤيتها من مكان الوادي بالقرب من عين حلم بوادي شبان حيث كان يقوم جسر قديم بني في عهد الملكة أروى في مجرى السيل لحمل الساقية ومنه يعبر الناس الى الجهة الأخرى من الوادي عند هطول الأمطار وارتفاع مياعه السيول في مجرى الوادي.

يقال إن الملكة أروى بعدما أكملت بناء المسجد الكبير فى جبلة، والذى يسمى الآن بمسجد الملكة أروى، إعترضتها مشكلة كبيرة وهى توفير الماء لهذا المسجد فبعثت إلى المهندسين والمعماريين في كل اليمن، لإيجاد حل لتوصيل الماء، بحيث يبقى متوفرًا فى المسجد طوال العام دون انقطاع، وأمرتهم بالبحث عن أقرب عين ماء لا تنقطع، على أن يكون بالإمكان توصيل مائها إلى المسجد، فبحث المعماريون والمهندسون عن بديل فلم يجدوا إلا عينًا واحدة بعيدة تسمى (عين حلم) وهى كثيرة الماء تجرى كالنهر لا تنقطع، ولكنها فى مكان يستحيل إيصال الماء منه؛ حيث يفصلها عن مدينة جبلة جبل كبير. فظل هذا الموضوع يشغلها لأنها كانت فى أمس الحاجة إلى الماء، فقد كانت مهتمة بتوفيره لعاصمة البلاد وجوامعها وقصرها العظيم الذى يتكون من ثلاثمائة وخمس وستين غرفة على عداد أيام العام، وكانت تنام كل يوم فى غرفة، حتى قررت إعطاء مكافأة كبيرة لمن يجد حلاً لتوصيل الماء إلى الجامع من هذه العين الماء، فقدم المهندسون من كل اليمن إلى عاصمة الدولة مدينة جبلة طمعًا فى المكافأة، وبحث إمكانية توصيل الماء ، وكان كل من يأتى يصطدم بعلو الجبل الذي يفصل المدينة عن عين الماء، فمن المستحيل أن يصعد الماء للأعلى، فيئست الملكة من توصيل الماء وحزنت حزنًا شديدًا على حال المسجد الذى لم يكتمل فلا مسجد بدون توفير الماء حتى تدب الحياة لهذه التحفة المعمارية، فقررت عرضًا أكبر من سابقه، وأعلنت أن من يوصل الماء إلى الجامع فسوف تقبل به زوجًا لها وهي التي رفضت أكبر الملوك المتقدمين للزواج منها.

فأعلن الخبر وتناقله الناس فى أنحاء اليمن، وجاء مشايخ وأشراف اليمن من كل مكان بهدف تحقيق طلب الملكة والحصول على هذا الشرف، فقد كانت تملك من الأرض والمال ما لا يحصى ولا يعد. وجاء الطامعون من كل مكان وصدموا بانخفاض العين والماء وارتفاع الجبل، وظل الحال هكذا حتى قيل إن الجامع لن يُفتَح دون الماء.

وذات يوم جاء رجل يهودى من يهود اليمن [1]، وكان قد طاف بالجبل وبعين الماء، فبعث إليها أنه يستطيع إيصال الماء إلى المسجد إذا هى نفذت وعدها بالزواج منه، ووفرت له مطالبه، فاحتارت الملكة فى الأمر؛ إذ كيف تتزوج يهوديًّا وهي على دين الإسلام، فعجب الناس لذلك وأكدوا لها أنه لن يستطيع توصيل الماء. وكانت الملكة أروى تعتقد أن الأمر مستحيل وأن اليهودى سيعجز عما يقول، وقد عجز عن ذلك كبار المهندسين، فشرطت عليه الملكة أنها لن تنفذ وعودها إلا بعد أن توضع تفاحتين فى منبع سواقى الماء واحدة فى عين الماء فى جبل التعكر واحدة فى عين الماء فى عين حلم في وادي شبان، فإن وصل الماء ووصلت التفاحتان بوقت واحد تزوجته. وكانت على ثقة بأنه لن يفى بكل الشروط، ومنها أن تصل تفاحتان سباحة على الماء إلى الجامع وفي وقت واحد، نظرًا لبعد المسافة بين منابع عيون الماء والجامع، ناهيك عن الجبل الذي يرتفع كثيرًا عن الوادى.

فوافقت على عرض اليهودى ونفذت له طلبه وجمع له أكثر من ألف عامل من الشباب الأقوياء، ووفرت لهم كل ما يحتاجون من أدوات وعمال وحدادين مهرة لصنع أدوات الحفر ومقاطع الأحجار ومواد البناء، بالإضافة إلى أجود أنواع الطعام والشراب.

وشرع اليهودى فى العمل، وعلى قدر ما كانت تأمل وصول الماء كانت خائفة من تحقيق اليهودى كلَّ الشروط وتفاجأ الناس بأفكاره، فقد حفر مئات الأمتار حتى شق الجبل من الأعلى إلى الأسفل، ثم شق الوادى حتى بلغ به مستوى أدنى من منبع الماء، ثم بنى ساقية من الحجر الصلب وجعل العمال يكسونها بمادة القضاض الصلبة التى كانت تطحن من الأحجار، وهي أشد صلابة من الإسمنت، وكان كلما أكمل مرحلة خفَّض الأخرى حتى ينساب الماء بيُسر، ويدفن ما أنجز منها. وكانت الأخبار تصل إلى

(١) روى لي والدي ذات مرة أن اليهود كانو يسكنون القرى التي تعلو مدينة جبلة قديماً في القرى التي تعلو جبل التعكر ومناطق الربادي وما جاورها فوق مدينة جبلة التاريخية وقد أكد لي ذلك بعض كبار السن من أهالي تلك المناطق.

الملكة، فقال الناس: إن تمكن من إيصال الماء فلن تصل التفاحتان التى اشترطت عليه الملكة لتنفيذ وعد الزواج.

وهكذا استمر العمل فى الساقيتين حى جاء اليوم الذي تقرر الاحتفال فيه بتنفيذ الشروط وافتتاح الجامع، ووسط انتظار الناس وصل الماء من السواقي، وبدء الناس يهللون ويفرحون لوصوله ويتخوفون من أن تصل التفاحتان، وبالفعل وصلت التفاحة الأولى والثانية في وقت واحد وصُدم الجميع من ذكاء وهندسة اليهودى. وهنا طلبت الملكة من الجميع الانتظار حتى تصلى ركعتين فى المسجد الذي طالما انتظرت افتتاحه والصلاة فيه، ودخلت إلى المسجد وصلت فى قبلته ركعتين ومازالت على حالها والناس ينتظرون خروجها من صلاتها ويقال لم تقم من سجودها، فتعجب حراسها من تأخرها فدخلت عليها بعض وصيفاتها. فوجودنها قد توفيت ساجدةً فى محراب المسجد. ويقال إنها دعت الله أن يقبض روحها قبل أن تتزوج يهوديًّا ليس على دينها، فاستجاب الله لها، ودفنت فى المسجد فى موضع سجودها [1].



لوحة للملكة أروى من صفحة الدكتور مصطفى خالدالهمداني

(١) قبر وضريح الملكة أروى موجود في مسجده المشهور بمسجد السيدة أروى في جبله وهو من أهم المزارات السياحية في اليمن حالياً.



صورة حديثة لمدينة جبلة القديمة يتوسطها مسجد الملكة أروى.

الملكة لميس الحِميَريّة

يقال إن لميس الحميرية كانت أميرة جميلة من أبناء التبابعة الحميريين فى اليمن، وكانت تحب شابًّا تواعدت معه على الزواج والوفاء مهما كانت الظروف. ومرت الأيام وسافر هذا الشاب إلى بلده واختار له أهله فتاة أخرى وزوجوه، وأخفى أهله عن الناس خبر زواجه، فمضى فى حياته دون أن تعرف الملكة لميس سبب تأخره عن العودة إليها، وظل بعيدًا عنها وهى تذوق مرارة الانتظار حتى شاب ونسى وعده لها [1].

طيلة تلك السنوات حاول أهلها تزويجها لكنها ظلت على وفائها له حتى ترك الناس التقدم إليها واتهموها بأن بها عيبًا يمنعها من الزواج. ولم يهنأ للشاب الذى كبر وشاب عيشُه مع زوجته التى اختارها له أهله، وتذكر ليسًا وأيامها الجميلة، فسافر وعاد إليها، وقد ظهر عليه التقدم فى السن، وحين جاء لخطبة لميس كانت قد عرفت بأنه خانها وتزوج من غيرها، وجاء إليها بعد أن أصابه الشيب، فما كان من الملكة لميس إلا أن خرجت إلى مجلس أهلها وأنشدت قصيدة مطلعها:

(١) وردت الحكاية في كتاب فنون الأدب الشعبي للبردوني. في فصل العادات في لأمثال الشعبية.

أتركـتنى حتى إذا عُلقت أبيض كالشطن

أنشأت تطلبُ وصلنا فى الصيف ضيعت اللبن

وكانت تقصد فوات زمان الحـب، كمـا يفـوت موسـم اللـبن آخـر الـصيف، وقـد أصبحت قصيدتها بمرور الزمن مثلاً يقال فى كل من فاتـه أوان مطلبـه، ثـم هـو يبحـث عنه بعدُ (فى الصيف ضيعت اللبن)



لوحة تعبيرية للفنان التشكيلي اليمني ناصر مرحب

مدينة عدن الغارقة

يقال إنه فى قديم الزمان كانت هناك مدينة تسمى (خلاد)[1] وأنها كانت بالقرب من مدينة عدن حاليًا، ويقال كانت كالجزيرة داخل البحر فأصابها زلزال فغرقت، بالقرب من صيره، ويروى أن هناك من الغواصين من وجد في البحر بقايا لمنازل غارقة. ويقال إن هناك مكانًا فى البحر يظهر مختلفًا عندما يكتمل القمر ويلمع كالذهب فى الليل بالقرب من صيره والمعاشيق، ويتداول كبار السن بأن اسمها (خلاد) ويعتقد

(١) يسميها ابنا عدن الى وقتنا الحاضر من كبار السن مدينة خلاد ولا نعرف لماذا يتوارثون هذا الإسم.

الكثير من الناس أنها مدينة إرم ذات العماد الغارقة والتى كان لها ألف عمود من الذهب وبناها شداد بن عاد عندما قرر بناء جنة فى الأرض، فأغرقها الله وأصبحت جزءًا من البحر. ويقال شاهدها بعض الغواصين عند سكون البحر وإكتمال القمر [(١)]، تلمع ببريق كلون الذهب تحت الماء. ويرى البعض أنها ربما حكاية حقيقية ويؤكدون ذلك بكتابات ابن بطوطة الذى يقول إنه كان هناك مدينة بالقرب من مظيقي باب المندب اختفت فى البحر. ويستشهدون كذلك بقول كتاب المستبصر إنه كان هناك مدن بالقرب من البحر يمر عليها المسافرون ويأتون بعد سنوات فلا يجدونها حيث يخطفها البحر وتصبح جزءًا منه.



لوحة للكاتب للقوارب والبحر في مدينة عدن وتظهر في الخلفية قلعة صيرة

قصر غمدان

تروى الكثير من الحكايات والقصص الشعبية حول قصر غمدان وخاصة فى مدينة صنعاء. ويقال إن أول من بناه وخططه هو سام بن نوح، حيث تقول الحكاية إن سام بن

(١) روى لي أحد الغواصين من عدن كان في زيارة للقاهرة للعلاج انهم يرون شيئأ يشبه مدينة غارقه في البحر في معظم أيام السنة.

نوح أصيب بعلة فقيل له إبحث عن مكان يكون فيه الهواء معتدلا والماء عذبا، فبحث في الجزيرة العربية كلها ولما أن وصل الى صنعاء أعجب بهوائها ومائها، وقرر أن يبني له قصراً فيها، فأختار منطقة في صنعاء ليحتفر أساس لقصرة، فجاء طائر وأختطف منه المقرانة[1]، وهي الخيط الذي يختط ويقيس به الأرض ليحتفرها، وحينما اختطف الطائرٌ منه المقرانةَ وتبعه سام لينظر أين يوقعها الطائر، وجده يوقعها فى هضبة صغيرة مطلة على صنعاء- فعرف أن الطائر أراد منه أن ييبني القصر هناك، فبنى فيها قصر غمدان- فاحتفر بها سام بئرًا ثم بنى فيها أول قصر فى تاريخ الأرض، ويقال إن قصر غمدان فى اليمن كان من عجائب الدنيا، وكان يتكون من خمسة وعشرين طابقًا فى كل طابق عجائب من الزخارف والتماثيل والتحف المصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكانت مساحته كبيرة تزينه النوافذ الزجاجية وتعلو أركانه الأربعة فى الدور الأخير أربعة أسود من الذهب تفتح فمها للهواء وتصدر زئيرًا يشبه زئير الأسد بفعل تيار الهواء، وكانت هذه الأصوات ترهب كل من يقترب من القصر. وقيل إن هذا القصر كان مبنيًّا من الأحجار الملونة فكان له واجهة باللون الأحمر وواجهة باللون الأخضر وواجهتة باللون الأسود وواجهة باللون الأبيض، وكانت نوافذه وأبوابه من الذهب، وكانت المياه والنوافير تزين بستانه الواسع.

وقد بقي هذا القصر قائمًا كما هو يزين مدينة صنعاء ويتفاخر به اليمنيون كما يتفاخر المصريون بالأهرامات، وعندما جاء الحكم الإسلامى لليمن علم عمر بن الخطاب بتفاخر اليمنيين بهذا الصرح فسأل عن أوصافه، فقيل إنه ليس ببناء البشر وإنهم يعتقدون أن الخالق هو من بناه. وقيل كان وُصفة تماثيل فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدمه وبناء المسجد الكبير فى صنعاء من أحجاره. ويؤكد الكثير من الناس هذه الحكاية ويستدلون عليها بالأعمدة والأحجار التى مازالت موجودة فى الجامع الكبير فى صنعاء، والتى يوجد عليها الكثير من الكتابات السبئية.

(١) المقرانة يقال الخيط الذي يقيس به البناء العمارة وقد وردت هذه الحكاية في كتب التراث العربي القديم بكثرة وقرأتها في أكثر من مصدر.

طائر العنقاء

تقول الحكايات والأساطير القديمة إن هناك طائرًا كان يزور اليمن فى فترات متباعدة جدًّا، ويعد هذا الطائر من الطيور المقدسة التى لا تظهر للعيان إلا نادرًا([1]). ويقال إنها طيور بيضاء لها عنق طويل، أسفله تاج أبيض، وكانت تأتى لليمن للحصول على اللبان والبخور من الأشجار المنتشرة فيها، فتتصارع مع الثعابينَ المجنحة التى تحمي بخور الآلهة.

وقد وردت هذه الحكاية ووثقها الرحالة الإغريق واليونان، فذكرها المؤرخ الإغريقى هيرودوت فى كتب رحلاته فى القرن الخامس قبل الميلاد، وذكر فيها وجود هذا الطائر فى أماكن تواجد الشجرة المقدسة فى كل من ظفار وحضرموت وجزيرة سقطرى اليمنية، وأشار إلى الإعتقاد السائد بأرض تسكنها الآلهة، وأن هذه الطيور تسكن فيها.

وتقول الأسطورة الفينيقية إنه طائر يظهر كل خمسمائة عام، وسمى بطائر الفينق نسبة إلى رحلته إلى أرض فينيقيا (أرض لبنان) وقيل يعيش الطائر في أرض الآلهة في اليمن ثم يحمل معه حبات البخور ويسافر إلى لبنان ثم يذهب إلى مصر ليموت عند الإله رع فى معابد مصر القديمة، ويتحول إلى رماد ثم تخرج دودة صغيرة من بين هذا الرماد وتنمو حتى تصبح طائر عنقاء جديدًا لعيد نفس الرحلة مرة أخرى إلى أرض الآلهة فى اليمن ثم إلى فينيقيا ثم إلى مصر.

هذه الحكاية تبدو عليها التأثيرات الفينيقية والمصرية القديمة، ويقول العرب القدماء إن "هناك ثلاثة مستحيلات: الغُول، والعَنقاء، والخل الوفى"، ولكنه مجرد مثل قد لا ينطبق على الحقيقة، فيعتقد الكثير من الباحثين أن الغول ربما قصَدَ بها العرب الغوريلا الكبيرة التى كانت تعيش فى جبال الجزيرة العربية، وأن هذا الطائر ربما كانوا

(١) – تقول العرب في الأمثال الشعبية ثلاثه أشايء من المستحيل الوصول لها والحصول عليها– الغول والعنقاء والخل الوفي.

يقصدون به نوعًا من الطيور المهاجرة التى تنتقل من بلد إلى آخر فى فترات متباعدة، ومنها طيور نادرة لا تظهر إلا كل دهر، وربما كان الناس قديمًا يرون هذه الطيور فى رحلاتها فينسجون لها هذه الأساطير، وجزيرة سقطرى اليمنية من الجزر التى تحتوى على عدد كبير من الطيور النادرة التى لا توجد فى مناطق أخرى من العالم.

حكاية اكتشاف البن فى اليمن

يقال إن شجرة البن كانت موجودة فى اليمن منذ قديم الزمان، ولكنها لم تكن معروفة للناس، وكانت كغيرها من النباتات المنتشرة تنمو فى جبال اليمن ولا يعرف الناس قيمة ثمرها. وفى يوم من الأيام كان هناك راعٍ يرعى أغنامه فى الجبال فذهب يومًا للرعى فى مكان مغاير من الجبل تنتشر فيه هذه الشجرة، وكان ذلك فى موسم بذور البن، فأكلت الأغنام من ثمارها فإذا بها تنهض فى نشاط غريب فتقفز مرحة وتصعد فى الجبال بنشاط لم يعهده منها من قبل، فظل يطارد الأغنام مستغربًا ما حل بها، وعندما عاد إلى المنزل اكتشف أن الأغنام التى رعت فى ذلك الاتجاه من الجبل لم تنم طوال الليل، على عكس غيرها من الأغنام، فقال فى نفسه: لابد وأن لتلك الشجرة مفعولاً على الأغنام، ويبدو أنها تساعد على النشاط والسهر [1] .

فذهب إلى هذه الأشجار فى اليوم التالى وقطف من ثمارها، وتناول منها فوجد أنها زادته نشاطًا، فتناول منها أكثر فشعر برغبة فى الغناء وصعود قمم الجبال، فأنشد يغنى أبياتًا من الشعر حتى سمعه الرعاة من كل مكان وظنوا أنه قد جُن. ولما عاد إلى منزله حمل معه بعضًا من بذورها. وتركها في المنزل وفى يوم من الأيام كانت زوجته تطهو الطعام فوقعت بعض البذور الجافة على آنية الطهي فاحترقت فى النار ونتجت عنها رائحة زكية، فقامت زوجته بتحميص البعض منها وأعطته لزوجها، فجرَّب تناولها فلم ترُق له، فقال لها: اغليها فى الماء، فشرب ماءها فاستلذّه، فكان إذا أراد السهر مع أهله تناولو منها.

---

(١) تتشابه حكاية اكتشاف البن مع حكاية إكتشاف القات في الين والتي سنوردها لاحقاً في الصفحات القادمه.

أذاع الراعى الفكرة بين جيرانه فى القرى والجبال، ومن حينها انتشر خبر المشروب العجيب، وبدأ الناس بالذهاب إلى الجبال لجلب حبوب البن وتجفيفها فى المنازل، ثم طحنوها وشربوا القهوة وأصبحت هى شرابهم المفضل، خاصة فى مواسم البرد التى يحتاج فيها إلى الكثير من المشروبات الساخنة. وعندما كان التجار يأتون إلى اليمن ويقيمون بعدن وموانئها كان البن يقرَّب إلى الضيوف، وكانت الجاليات الوافدة تتناول البن اليمني ويشتاقون إليه عند عودتهم لبلدهم الأم، فيعودون إلى عدن ويطلبون منه ليحملوه معهم إلى بلدانهم، فقد كان يخفف عنهم الصداع والإرهاق والتعب. ويقال إن أحد التجار كان لا يشتكي الصداع والإرهاق أثناء بقائه فى عدن، فإذا عاد إلى بلاده شعر بالصداع والإرهاق، فقيل: هل تتناول هناك شيئًا آخر؟ فتذكر المشروب الذى يقدمه له اليمنيون. ولما كانت الرحلة الثانية أخذ منه الكثير ونشره فى بلده، وانتقلت القهوة أيضًا إلى تركيا أثناء الاحتلال العثمانى لليمن. ثم انتقلت عبر تركيا إلى دول أوربا والى الهند وإفريقيا عبر عدن. وهكذا كان كل من يأتى إلى عدن للتجارة يشترى البن، وأصبح أفضل هدية لزوار عدن التى كانت ومازالت ملتقى التجارة العالمية. وقد احتلتها الكثير من الدول بداية من البرتغال وتركيا إلى بريطانيا فقد كان الاحتلال يهدف أيضًا إلى الحصول على الثروات ومنها البن باعتباره ثروة تدر الدخل الكثير، فكانوا يجمعونه من المزارعين فى كل البلاد ويصدرونه إلى بلدان العالم بغرض التجارة. وهكذا انتقلت القهوة من الراعى إلى كل أنحاء العالم.

ويقال إنه عندما جاء الإسلام اعتقد بعض الناس أن البن مشروب محرَّم لما يعطيه من نتائج تشعر الشارب بالارتياح والسهر، فمنعه بعض العلماء، فاستبدل اليمنيون بقهوة لُبَّ البن قهوةَ قشورِها، وكانوا يصدرون اللبَّ، ومازال اليمنيون إلى الوقت الحاضر يتناولون مشروب القشور ويسمونه (القشر)، أما لبّ البن فلا يتناوله إلا القليل.



لوحة من أعمال الكاتب لفتيات يقطفن البن ١١٠على١٠٠ سم زيت على قماش

الأزهر والبن اليمنى

وهناك حكاية ظريفة مرتبطة بوصول مشروب البن إلى مصر ويقال لاحظ طلاب الأزهر أن الطلاب اليمنيين الذين يدرسون معهم يتناولون مشروبًا داكن اللون فائحَ الرائحة مرَّ المذاق، وأنهم يحرصون على تناوله أوقات الامتحانات فيساعدهم على السهر والمذاكرة، فطلبوا من اليمنيين توفيره لهم، فجلبوا منه وأعلموهم طريقة تحضيره، فأصبح غالبية الطلاب يشربونه ليساعدهم على السهر، كما انتشر فى المقاهى المجاورة للأزهر وفى القاهرة القديمة [(١)] .

ويقال إن أن مشكلة كبيرة حصلت، حين بلغ هذا الأمر مشايخَ الأزهر وقيل لهم إن غالبية الطلاب أصبحوا يتناولون البن اليمنى ليساعدهم على الدراسة والسهر، وإن الكثير من المقاهى فى القاهرة أصبحت تعرفه وتقدمه للناس، فأصدر شيخ الأزهر آنذاك

(١) تشتهر هذه الحكاية في أوساط المثقفين في مصر وقد أد لي الزميل الأستاذ محمد جمال سباق الحويطي الحكاية وأنه قرأ عنها في كتب التراث الديني والأزهر حول المسكرات ووردت في الكثير من المصادر كما هي في هذه السطور.

(وهو أحمد السنباطى) فتوى بمنع تناول البن بأى صورة مهما كانت الظروف، واستدل على ذلك بأنه يؤثر على العقل، وتحول البن إلى موضوع للمناقشةِ والجدال، واشتهر أمره حتى بلغ خُطَب الجمعة ودروس المساجد، وأصدر الأزهر قرارًا بمنعه، وأمر بتحطيم المقاهى التى تقدمه للطلاب، واعتبره من المحرمات. فكانت هذه الفتوى سببًا فى حدوث شغب أقفلت على أثره كل المتاجر التى كانت تبيع البن، وحُطمت بعض المقاهى، وأفلست تلك المقاهى التى كانت معتمدة على القهوة لجلب الزبائن، واحتج الناس والزبائن الذين كانوا يتوافدون إليها، ونددوا بشيخ الأزهر. ويقال إن أحد طلاب الشيخ أقدم على قتل أحد التجار المصريين الذين كانوا يجلبون البن من اليمن ويبيعونه، فانتفض التجار وثارت ثورتهم واعتبروا أنه مشروب عادى لا يستحق كل هذا المنع، ولم يجدوا منه شيئًا يؤثر على العقل، وأعدوا مكانًا للاعتصام وعزاءً للتاجر كذلك أمام بوابة الأزهر.

وأثناء العزاء أحضر التجار البن وشربوه وتبادلوه بينهم، وأصروا على أنه مشروب عادى لا حرام فيه، وقيل إن الوالى التركى آنذاك وصله الخبر وأمر بعزل شيخ الأزهر السنباطى وأمر بتعيين والٍ جديد للأزهر خلفًا له، وعندما جاء شيخ الأزهر الجديد أفتى بأن القهوة والبن مشروب عادى لا ضير فيه، وبذلك عاد انتشاره فى المقاهى، وجربه غالبية المصريين لما رأوه من شهرة قصته على الملأ، فأعجبهم واستجادوه ووجدوا أنه لا يذهب العقل ولا ضررَ منه. ومرت الأيام وأضافوا إليه السكر المنتشر بكثرة فى مصر وأصبح شرابًا يقدم للضيوف فى الزواج والأفراح والمناسبات المختلفة. ومنذ ذلك الحين أصبحت القهوة شيئًا أساسيًا فى حياة المجتمع المصرى.

حكاية دخول القات إلى اليمن

يحكى فى اليمن عدد من الحكايات حول بداية زراعة القات فى اليمن، وقد نسجت حول دخول القات إلى اليمن العديد من الحكايات، منها ما هو للدعابة، ومنها ما يروى كقصة حقيقية. فعلى سبيل الدعابة يروى البعض أن القات دخل إلى اليمن من

الحبشة، وذلك عندما غزا الأحباش اليمن وجلبوا معهم هذه النبتة الغريبة. فيقال إن الأحباش مضغوا القات وتناوله الجنود الغزاة فى الطريق إلى اليمن لتساعدهم على تحمل الطبيعة الصعبة فى جبال اليمن للانتصار على اليمنيين الذين عرف عنهم صدهم لكثير من الغزاة، فلم يسبق لأى جنس فى العالم احتلالهم قبل الأحباش، وأنهم غلبوا اليمنيين لأنهم تناولوا مضغة القات التي لها قدرة على تنشيط الجسم، وأنه لولا تناولهم إياها ما غلبوا اليمنيين؛ لأنها تجعل المقاتلين لا يشعرون بالتعب أو الألم. ويقال إنه بعد دخول الأحباش زرعوا القات فى اليمن وبمرور الزمن تناوله اليمنيون ومضغوه فشعروا بالنشوة والنشاط وردوا الكيل، وطردوا الأحباش من اليمن. وهذه من حكايات نجد أنها من باب الفكاهة فقط.

وتروى حكاية أخرى إن أحد اليمنيين قديمًا ذهب إلى الحبشة للعمل بالتجارة هناك، وظل يعمل فيها لفترة طويلة، وذات مرة تشاجر مع أحد الأحباش فقتل اليمنى الحبشى، فأخذه الأحباش إلى أسرة المقتول، ووافقت أسرته على مسامحة اليمنى مقابل الدية، واشترطت زوجتُ القتيل أن يخرج من الحبشة ويأخذ معه شجرة القات ويزرعها فى اليمن. وهدفت المرأة بهذا إلى الانتقام من اليمنيين بشكل عام عبر هذه الشجرة التى تدمر الزراعة والمزارعين، فعاد هذا اليمنى وزرعها فى اليمن وقام بتعليم الناس زراعة ومضغ القات، وبهذا انتقمت هذه المرأة من كل اليمن. وما زالت تلك اللعنة ترافق اليمنيين إلى وقتنا الحاضر حيث اقتُلِعَ الكثير من أشجار البن ليُزرَع مكانها القات [1].

وهناك حكايات أخرى حول القات ودخوله إلى اليمن، تشبه حكاية إكتشاف البن تقول: إن شجرة القات كانت موجودةً فى اليمن، وكان أن رأى أحد الرعاة قسمًا من أغنامه تأكل هذه الشجرة فتنشط ولا تنام فى الليل، وعندما يرعاها فى مكان آخر لا تتوفر فيه هذه الشجرة لا يحدث لها شيء، فعرف أنها لهذه الشجرة مفعول غريب،

(١) وردت الحكاية على لسان بعض الإخباريين حيث وهناك تبادل تجاري كبير الى وقتنا الخاضر بين اليمن وبلدان القرن الافريقي والحبشة.

فذهب يرعى أغنامه فى أماكن تواجد هذه الشجرة، وبدأ فى تجريب مضغ أغصانها فدب فيه النشاط فكان يجرى إلى قمة الجبل دون كلل أو تعب، وأنشد يغنى ويقول الشعر ما جعل الناس يستغربون حاله ويسألونه عن سر نشوته فأخبرهم السر وأعلمهم مكان تواجدها فصار الناس إلى أماكن تواجدها يقطفونها ويمضغون أغصانها.



صورة لشجرة القات في اليمن



الفصل الثانى

حكايات الأرض

وعلي ولد زايد



تمهيد

يحتفظ اليمن ضمن تراثه العريق بالكثير من الحكايات الشعبية التى تدل على حب هذا الشعب لأرضه وقدرته على التعامل مع الظروف المحيطة به، فنسَج حكايات شعبية تناسب هذه الظروف، فنجد منها ما يدعو إلى حب الأرض وما يحفِّز على العمل. ولأن اليمن بلد زراعى فقد نسجت الكثير من الحكايات التى تشجع الفلاح والمزارع اليمنى على الاستمرار فى العطاء لهذه الأرض التى تبادله نفس الحب. كما نجد حكايات حول تربية الحيوانات التى تساعده فى حراثة الأرض والعمل فيها، ويستفيد من منتجاتها المختلفة فى حياته اليومية. وقد كان لليمنيين باع كبير في التجارة مما ساعد على توارث حكايات شعبية تعبر عن العمل والتجارة والذكاء وإليكم بعضًا من تلك الحكايات.

حبة الذرة العملاقة

هذه الحكاية من الحكايات الشعبية اليمنية القديمة جدًا، ذكرها لنا البردونى فى كتابة (فنون الأدب الشعبى) [1]، ويستدل البردوني على قدمها أنها صورت نطق الحيوان، ومن المعروف أن تصور الإنسان لنطق الحيوان من أقدم التصورات البشرية والخيالات الإنسانية، فهى تقدم لنا صورة عن التفكير البدائى للإنسان القديم، هذا التفكير الذي ربما نشأ منذ عهد نبى الله سليمان أو قبله، حيث يقال إنه كان يتحدث إلى النمل والحيوانات.

ويبدو أن اليمنى بحكمته تناقل هذه الحكاية وأبقى عليها للأجيال اللاحقة، وكان يقصد من ورائها التشجيع على العمل، والاجتهاد فى العناية بالأرض وإصلاحها. وكانت هذه الحكاية تتردد على ألسنة الأخباريين فى اليمن الى وقت قريب، وآندثرت برحيل كبار السن؛ إذ لم نعد نسمع بها، ومن حسن الحظ أنى وجدت شرحًا لها فى

(١) عبدالله البردوني – فنون الأدب الشعبي في اليمن — ط (٥) –بيروت — دار البارودي– ١٩٨٩م

كتاب فنون الأدب الشعبى للبردونى، فقررت أن أضمها إلى مجموعة الحكايات التى يجمعها هذا الكتاب؛ لما لها من خصوصية تعبر عن أرضنا اليمنية والزراعة التى أحبها اليمنى وصاغ عنها الكثير من الحكايات الشعبية. وإليكم ماجاء فيها..

مر جماعة من المسافرين على أحد الطرقات بين الجبال التى تتخللها الوديان، فشاهدوا سربًا من النمل يجر إلى وكره حبة ذرة عملاقة، فتعجب المسافرون من حجم هذه الحبة وتساءلوا: من أى مزرعة جاءت هذه الحبة العملاقة؟! وما حجم السنبلة التى أنبتتها؟! وما حجم القصبة التى تحملت سنبلة بهذا الحجم؟! وعندما أكثروا من التساؤلات سمعتهم إحدى النمل فصعدت على حجر بجوارهم وراحت تقص عليهم قصة هذه الحبة العجيبة..

فقالت النملة :"إنها حبة من ذرة ذلك الوادى"، وأشارت إليه فوجد المسافرون أن حجم سنابله عادية، فقصت عليهم تحولات الزمان منذ القِدم، حيث "كان أهل هذا الوادى قديمًا يعتنون بالمزارع فيحرثون الوادى فى العام ست مرات، ولحمايته من الدواب والسيول الجارفة كانوا يحوطون مزارعهم بأسلاك من الذهب، فكان الوادى ينبت الحبة أكبر من هذه التى أمامكم مرتين!! ولما انتهى ذلك الجيل أتى الجيل آخر فكان يحرث المزرعة فى السنة خمس مرات، واستبدلوا أسوارها بالأسلاك الفضية، فصغرت السنابل وصغرت حباتها، وأصبحت حبة الذرة بحجم هذه الحبة التى يجرها النمل أمامكم. وجاء جيل من بعدهم فكانوا يحرثون الأرض أربع مرات فى السنة، ويحوطون المزارع بأسلاك الحديد بدلاً من الفضة، فصغرت الحبة وتناقصت بحجم ثمار القرع [1]. وجاء جيل من بعدهم فكانوا يحوطون الأرض بالأحجار بدلاً من الحديد فصغرت السنابل، فأصبحت الحبة بحجم الكف. وجاء جيل آخر، فكان يحرث الأرض مرة واحدة فى العام ويحوط المزارع بالتراب وفروع الشجر بدلاً من الأحجار، فتناقصت

(١) القرع : ثمرة اليقطين بحجم البطيخ أو الحبحب باللهجة اليمنة ويستخد ثمار القرع في اليمن في عمل أوعية للطعام وخظ اللبن.

الثمار وصغرت السنابل حتى صارت بحجم رأس الأصبع. وجاء بعدهم جيل أهمل السواقى ولم يسور الأرض بشيء ولم ييحرث الأرض إلا مرة واحدة وقتَ البذر، فجاء سيل عظيم فملأ المزارع وأفسد هذا الوادى، وانتقل أهل القرية إلى جبل آخر للعيش فيه، وأصبح هذا الوادى مهجورًا كما ترون، وهذه الحبة التى ندحرجها من بقايا السنابل التى كانت فى الوادى منذ أكثر من مائتى سنة".

فساعد المسافرون النمل وكسروا الحبة إلى خمسمائة قطعة، وكانت تفوح لها روائح كالعبير بعد المطر، وأخذ النمل ينقل القطع الصغيرة[1] وهم يتفرجون منبهرون مما رأوه وسمعوه، واستأنفوا طريقهم لينقلوا القصة إلى البلد الذي يقصدونه.

لون الذرة الحمراء

هذه الحكاية تدور حول سبب تلون الذرة باللون الأحمر، وهي نوع من أنواع الذرة القانية التى تزرع فى اليمن بكثرة، والتي تلتف سنابلها بشكل نصف دائرة. تقول الحكاية..

كانت الذرة قديمًا إما بيضاء أو صفراء، ولم يكن هناك ذرة حمراء، ولم يكن الناس يعرفون غير هذين اللونين. وكان هناك فلاح مجتهد لديه مزرعتان يزرع واحدة منهما كل عام، ويجدد تربة المزرعة الثانية ويعتنى بها حتى يأتى العام التالى، وفى إحدى السنوات زرع واحدة منهما بالذرة البيضاء، وسقطت عليها أمطار غزيرة منذ بداية العام حتى أنبتت الأرض زرعًا لم يسبق له مثيل، فطالت سيقانها واخضرت أوراقها حتى أخرجت سنابلها أكبر ثلاث مرات من ذى قبل، وإذا بالأمطار تنقطع عنها آخر العام، وبدأت سيقانها وأوراقها الخضراء بالإصفرار قبل خروج الحب من السنابل، فحزن هذا الفلاح حزنًا شديدًا ولم تكتمل سعادته بالحصاد، فظل يراقب السحب كل يوم، وكلما مرت سحابة ناشدها أن تتوقف وتمطر فى مزرعته. وذات يوم كان يراقب السماء والسحب ويناشدها ألا تترك المزرعة بهذا الحال وأن تنزل عليها قطرات المطر، حتى جن عليه الليل وأظلم، فجلس يراقب النجوم حتى فاجأه مشهد أفزع سرائره، فقد وجد نجم الثريا قد تجاوز القران وانتقل إلى قران نجم العقرب، ومعروف لدى الفلاحين

(١) وردت هذه الحكاية فى كتاب فنون الأدب الشعبى للبردونى ص ١٥، ونقلناها بتصرف.

أن هذا يعنى انتهاء موسم الأمطار فى اليمن ودخول موسم الحصاد، فناشد الثريا أن تعود إلى نجم سهيل حتى لا يتوقف المطر ويفقد محصوله، وأخذ الشريم الذى يستخدمه لقطع الزروع وقطع ثلاثة من أصابعه قربانًا للسماء وللثريا كى تعود إلى نجم سهيل وينزل المطر على مزرعته، وأخذ يصرخ وينادى فى المزرعة، وانتظر سقوط الأمطار حتى نزفت دماؤه وسقط الكثير من قطرات الدم على الأرض، ولكن دون جدوى، واستمر يناشد حتى طلوع الشمس، فهبت سحب خفيفة فتناثرت قطرات من الندى والمطر الخفيف الذى لا يغنى الزرع ولا يفيده، فعاد إلى منزله حزينًا يطئطئ رأسه ويبكى حاله وحال مزرعته وأصابعه، وكان الناس يشاهدونه على الطرقات ويظنون أنه قد أصابه الجنون.

ظل الفلاح فى منزله أيامًا لا يريد الخروج وذات يوم ذهب المزرعة ليرى ما حل بها، فتفاجأ وهو يقترب منها بأن أوراقها قد اخضرت، فتعجب كيف اخضرت المزرعة من تلك القطرات الخفيفة! واقترب من الزروع فوجد سنابلها قد أخرجت الحبوب حمراء لا بيضاء كالمعتاد، فتعجب كيف تغير لونها إلى الأحمر! لكنه حصد سنابلها ووزع من خيرها على كل القرية، ومن ذلك الحين والناس يزرعون من الذرة التى أعطاهم إياها، وأصبح هناك ذرة حمراء فى كل مكان، وعلل الناس هذا بأنها تلونت بالأحمر بسبب تضحيته بأصابعه وتقربه بها إلى نجم الثريا كى يعود إلى سهيل وينزل المطر على المزرعة.



ألوان الذرة فى اليمن

بنت البيضة

يروى فى محافظة إب وسط اليمن حكاية شعبية كانت ومازالت الأكثر تداولاً بين الناس، وقد سمعتها كثيرًا من والدتى وجدتى، وعندما كنت أذهب إلى الجيران كنت كثيرًا ما أسمع هذه الحكاية [1].

يقال إنه كان هناك أخوان: شابٌ وفتاة يتيمان، وكانت الفتاة وأخوها يعيشان فى بيت والديهما وحيدين، وكان الولد يحب أخته حبًّا جمًّا لدرجة أنه لا يسمح لها بالعمل خارج المنزل أو الخروج للاحتطاب أو جلب الماء كبقية الفتيات. وكانت هى أيضا تحب أخاها حبًّا شديدًا فتجهز له أفضل الطعام وتغسل وترتب ملابسه كأنه أمير عصره، وكانت تخاف عليه خوفًا شديدًا من كل ما يحيط به.

ومع مرور الأعوام شعر الشاب أنه بحاجة إلى زوجة تملأ عليه حياته وتكتمل بها حياتهما، وكان الأخ قد اختار فتاة من القرية، فعرض الفكرة على أخته التى سعدت بهذا الخبر الجميل، وملأت السعادة قلبها، فذهبت وخطبت له الفتاة التى اختارها.

تزوج الشاب وعاش مع زوجته وأخته فى منزلهما، فكان أن شعرت زوجته بالغيرة من حبه لأخته، وشعرت أن هذا الحب من حقها وحدها، فكان يحز فى نفسها ذلك، وأحست أن أخته سوف تحصل على جزء من أرضه وممتلكاته، وهي وأولادها في المستقبل أحق بهذا من أخته، فقررت أن تفرق بينهما.

كان الزوج يخرج إلى العمل فتتفرغ الزوجة وتعامل الفتاة معاملة قاسية جدًّا وتوكل إليها كل أعمال المنزل، وتتحمل الفتاة المسكينة كل مجهود البيت، وعندما كان أخوها يعود من العمل يجد كل شىء مرتبًا وجاهزًا فتدعى زوجته أنها من قامت بكل شىء. وإذا حل المساء اختلت به تحرضه على أخته بإتهامها بأنها لا تعمل شيئًا،

(١) طالما كنت أنا وإخوتى نطلب منهما قص الحكايات، وكانت هذه الحكاية تحتل محل الصدارة دومًا بين تلك الحكايات.

فيصحو فى الصباح ويوبخ أخته، ويحثها على المزيد من الجهد والعمل. وكانت أخته لا تريد أن تخبره بشيء مما يحصل، فهى لا تستطيع أن ترى أخاها فى خلاف مع زوجته، فكانت تتحمل من أجل أخيها، وتستغل ذلك الزوجةُ الخبيثة، فتطلب منها الخروج لإحضار الحطب من الجبال وجلب الماء بالإضافة إلى أعمال المنزل. وكان الشاب يلاحظ على أخته هزالها ونحول جسمها كل يوم واصفرار لونها، فسأل ذات مرة زوجته عن حال أخته لماذا هى على هذا الحال، فقالت له إن هذه علامات الحمل، وإن أخته ربما تعرفت بأحد الشباب وحملت منه، وربما حدث ذلك عند ذهابها لجلب الماء والحطب من الجبال.

بدأ الشاب يشك فى أخته إلا أنه لم يصدق ذلك فى بداية الأمر، حتى أقنعته زوجته بأنها سوف تتولى المهمة وتكشف السر وتأتيه بالدليل. وذات يوم ذهبت الفتاة لجلب الماء، وعندما عادت جهزت زوجة أخيها لها مكيدة فعمدت إلى طعام الفتاة ووضعت لها نوعًا من الأعشاب يجعلها تنام لساعات، فتناولت طعامها وظهر عليها التعب وغدت إلى غرفتها ونامت. وعندما اطمأنت زوجة أخيها لأمرها خرجت إلى المناطق المجاورة للمنزل واصطادت(عردان)[1] وعادت إلى المنزل وسلخت جلده ووضعته فى كيس، وعندما جاء زوجها قالت له إنها اكتشفت حمل أخته ودرأت الفضيحة وأجهضت الجنين بينما مازال فى بداية تخلُّقه كى لا تجلب أخته له العار، وأطلعته على العردان المسلوخ وقالت له: هذا الجنين، وأختك الآن متعبة ونائمة فى غرفتها فاتركها إلى الغد ثم اطردها من المنزل.

وفى الصباح الباكر استيقظت الفتاة كعادتها تنظف المنزل واستيقظ أخوها فطلب منها مرافقته إلى الوادى لجلب الماء من عين في الجبل، وهناك طلب منها النزول فى حفرة بين الصخور مدعيًا أنه لا يريد أن يراها أصدقاؤه المارون بالقرب من الطريق،

(١) حيوانات زاحفة تشبه السحلية تنتشر بكثرة في امناطق الصخرية من الجبال.

فنزلت الفتاة إلى الحفرة فأنهال عليها التراب والأحجار ودفنها حية حتى تأكد من إحكام دفنها، وعاد إلى منزله وأبلغ زوجته بأنه تخلص من عار أخته إلى الأبد.

ومع مرور الأيام نبتت شجرة، في هذه الحفرة. وكانت ترتوى من ماء البركة المجاورة لها، وتنمو بسرعة وكانت النساء تأتى لجلب الماء وغسل الثياب فكانت تعلق الملابس النظيفة على هذه الشجرة لتجف في الشمس، ومع مرور الأيام طالت الشجرة وارتفعت فكانت الفتيات تطلب منها النزول لتعلق الملابس عليها وتقول لها: "يا شجرة دنى دنى"، فتنزل الشجرة كمن يسجد إلى الأرض وتضع الفتيات الثيابَ عليها، ثم تقول لها: "يا شجرة قومى قومى"، فتصعد الشجرة للأعلى، وعندما تجف الثياب تقول لها الفتيات: "ياشجرة دنى دنى"، فتنزل الشجرة وتأخذ الفتيات الثياب، وهكذا كانت علاقة الفتيات بالشجرة فكن يحببنها حبًا شديدًا ويروينها بالماء بين الحين والآخر.

وفى يوم من الأيام جاءت زوجة أخيها إلى البركة وكانت قد سمعت بأمر الشجرة التى تنزل برأسها، فقررت أن تذهب لجلب الماء فخلعت ثيابها وغطت نفسها في بركة الماء وطلبت من الشجرة النزول، فانخفضت الشجرة ووضعت عليها ملابسها ونزلت إلى البركة للاغتسال، ثم طلبت من الشجرة النزول لتعود بالثياب الجافة، لكن الشجرة لم تستجب كما هى عادتها كل مرة، فعادت الفتيات إلى القرية وحكين القصة لأهلنّ، فاستغربوا لأمرها وقرروا قطع الشجرة وإنزال الملابس، وعندما جاءوا إليها بأحد العمال لقطعها وتقدم إليها الرجل بالفأس وضربها تألمت الشجرة، وأصدرت نشيجًا يشبه البكاء، فارتعب الرجل وتركها مغادرًا المكان، فجاء أهل القرية برجل آخر أكثر قساوة فضربها بالفأس مرة وثانية والبكاء يشتد، والصوت يثير فى نفسه الحسرة والألم، فتركها ورفض قطعها ففكر أهل القرية بأن الحل الوحيد هو أن يأتوا بشخص أصم لا يسمع ليقوم بقطعها فلا تأخذه الشفقة كسابقيه، فجاءوا برجل أصم لا يسمع فقطع الشجرة حتى سقطت على الأرض، فأخذوا الملابس التى كانت عليها وعادوا إلى القرية.

مرت ساعات ثم قدمت امرأة عجوز إلى المكان لجلب الماء فوجدت الشجرة مقطوعة ووجدت فيها عشًا كعش الطيور فيه بيضة غريبة [1]، فأخذت البيضة إلى منزلها ووضعتها على أحد رفوف المنزل بجانب إحدى النوافذ العالية، وتركتها دون أن تفكر فى طبخها أو الاستفادة منها لاختلافها، وبمرور الأيام نسيت العجوز شأن البيضة. وكانت عادتها أن تخرج لجلب الماء أو العمل فى الحقل، فتعود فتجد الطعام جاهزًا والمنزل مرتبًا ونظيفاً، وكان هذا يتكرر يوميًا، فقررت ذات يوم أن تدَّعى المغادرة للعمل وتختبئ خلف الباب لتراقب المنزل، فجاء الصباح الباكر وادعت العجوز مغادرة المنزل واختبأت فى أحد أركانه تشاهد، فإذا بفتاة جميلة كالبدر تخرج من البيضة فتشرع فى كنس البيت وترتيبه وتنظيمه، ثم تتجه إلى المطبخ لطهي الطعام، فأسرعت إليها العجوز وأمسكت بها وقالت: من الجن أنتِ أم الإنس؟! ولماذا تساعديننى؟! فسردت الفتاة حكايتها مع زوجة أخيها بكاملها إلى أن نبتت الشجرة ثم قطعت، فهَرَبت الفتاة أثناء قطع الشجرة إلى البيضة، ففرحت العجوز وطلبت من الفتاة البقاء وترجتها أن تعيش معها وألا تعود إلى البيضة، وأن تكون ابنة لها فهى تعيش وحيدة منذ أن فقدت إبنها الذي سافر ولم يعد من رحلاتة منذ زمن بعيد، فوافقت الفتاة على ذلك.

ومرت الأيام والفتاة تخرج يوميًا إلى سطح المنزل لكنسه وتنظيفه، وكان أخوها يسكن فى بيت مقابل ويراها كل يوم من النافذة، فأعجب بها وبجمالها وظن أنها ابنة تلك العجوز، فذهب إلى منزلها وطلب خطبتها، فرفضت العجوز وقالت له: ليس لدىّ فتيات. لكن أخاها أصر على ذلك وأتى فى يوم آخر وأحضر معه الكثير من المال لإغرائها، وبينما كان يجلس مع العجوز وهي على وشك أن توافق، نطقت الكراسى التى يجلسان عليها، فقد كان أحد الكراسى من زجاج والآخر من رقع، فكانت تردد:

(١) وردت الحكاية على لسان بعض الرواة بأن الفتاة وجدت في ثمرة قرع على الشجرة فأخذتها الى المنزل وليست في البيضه.

كرسى زجاج وكرسى رقع زواجـة الإخـوة لا تقع [1]

وكررت الكراسى العبارة عدة مرات، ولم تسكت الكراسى عن الكلام حتى خرجت الفتاة وعرفت أن الشاب هو أخوها وحكت لهم قصتها، وعرف أخوها أنه قد ظلمها كثيرًا، فعاد إلى المنزل وطلق زوجته الشريرة. وهكذا ظهرت الحقيقة وعادت الأوضاع إلى طبيعتها وتزوج أخوها بامرأة أخرى، وعاشت الفتاة مع العجوز حتى عاد ولدها المسافر وقد أصبح فارساً شابا وجميلا وغنيا لما حققه في رحلاته فأعجب بالفتاة وأعجبت به وتزوجت منه وعاشا فى حب ووئام.



لوحة من أعمال الكاتب لفتاة بالزي اليمني زيت على قماش ٥٠ في ٧٠سم

أصحاب الجنة

هذه الحكاية مما يتوارثه الناس فى اليمن عن أرض الجنة التى وردت فى القرآن الكريم، فيقال إنه كان فى قديم الزمان رجل لديه خمسة أبناء، وكان له جنة تؤتي من كل الثمرات، ولا مثيل لها فى اليمن كله. وكان الناس والفقراء يأتون إلى هذا الرجل من جميع الأنحاء فى أيام الحصاد فيعطيهم من ثمارها ولا يبخل على أحد منهم. وكانت

(١) جاءت الحكاية على لسان زوجتي الحبيبة أم شهاب أيضاً عندما استشرتها فأوردتها لي كما سمعتها من والدتها وجدتها بشكل مختلف قليلاً ولكن هذا البيت من الشعر كان بنفس الصيغة.

الجنة تزداد اتساعًا وبركة وخيرًا كل عام عن ذى قبل، ويقال إنهما كانتا بين صنعاء وعمران. وعندما كبر هذا الرجل فى السن وشعر أن الموت قادم إليه لا محالة دعا إليه أبناءه ووصاهم بأن يستمروا على نهجه بالزكاة وفعل الخير وإعطاء الفقراء، وألا يمنعوهم شيئًا مما كان يعطيه من الزكاة.

ولكن الأبناء بعد وفاة والدهم تغيروا عن طباعه، وكان أن ابتلاهم الله فى ذلك العام بأن أثمرت الجنة أكثر مما كان فى عصر والدهم، فأخذهم الغرور وقالوا: لقد أفسد والدنا بخرَفِه بركة هذه الجنان، ولم يكن يحسن إدارتها كما فعلنا نحن. وأقسموا ألا يعطوا أحدًا من الفقراء شيئًا من المحصول، وتشاوروا فيما بينهم حول بيع هذه الثمار فى الأسواق والاحتفاظ بأموالهم واتفقوا أن يحصدوا ثمارها فى اليوم التالى مع طلوع الفجر، وأن يبيعوا الثمار، فإذا جاء الفقراء لا يجدون شيئًا فيعودون إلى ديارهم خائبين[1].

طلع الفجر واستيقظ الإخوة لقطف ثمارها قبل أن يخرج الناس من منازلهم، وتوجهوا إلى بساتينهم وهم يسترقون الخطوات حتى لا يسمعهم النائمون من أهل القرية، وعندما اقتربوا من الجنة شاهدوا أعمدة من الدخان ونارًا تشتعل وتتصاعد من ناحيتها، فأسرعوا مهرولين فإذا بها تحترق، والنار تتقاذف بين أشجارها، وسرعان ما أتت على كل ما فيها وأصبحت كقطعة من النار أشبه بالبركان. فقال لهم أخوهم الذى نصحهم: لقد عاقبكم الله على طمعكم وسوء نواياكم بإهلاك الجنتين. فندم الإخوة، ولكن حيث لا ينفع الندم.

(١) هذه الحكاية وردت في لقرآن الكريم في قصة أهل الجنه وقد تداخلت فيها القصة القرآنية الحكاية الشعبية.



صورة لتربة أرض الجنتين حاليا في اليمن (أرض الصريم)

الفلاح والأسد

تحكى هذه الحكاية الشعبية فى المناطق الجبلية. ويعتقد أنها تعود إلى مدينة حجة [1]، ويبدو أنها تحكى فى مناطق أخرى ولها أصول قديمة، تجمع بين المعتقدات الدينية بعد الإسلام وبين المعتقدات البطولية القديمة التى عرفت بها حكايات اليمن القديمة، حيث كان الإنسان يحارب الحيوانات ويقبض عليها ثم يسخرها لمساعدته كما فى الجزء الأخير من هذه الحكاية. والمعروف عند رواد الأدب الشعبى أن الحكاية الشعبية قابله للتغيير والحذف والإضافة لتتناسب مع الزمان والمكان، مثلها مثل بقية عناصر التراث الشعبى، وربما تعود هذه الحكاية إلى أصول قديمة أضيف إليها طابع دينى لاحقًا.

يقال إنه كان هناك رجل فلاح متدين وملتزم يملك أربعة من الثيران يحرث بها الأرض للفلاحين الآخرين، فكان هذا الفلاح إذا جاء موسم الصيف يقوم بنقل هذه الثيران إلى الوادى للعمل بها نهارًا ثم يتركها ليلاً تبيت فى الوادى لصعوبة طريق العودة وبعد المسافة إلى القرية التى يعيش فيها، فى قمة الجبل، والطريق إليها ملتوية

---

(١) أوردها الكاتب يحيى جحاف فى كتابه (الأدب الشعبى فى حجة).

وعرة، فكان يربط الثيران فى مكان ما بين حقول الوادى ويرسم بإصبعه أو بعصاه دائرة بالتراب عليها ويقرأ بعض التعويذات لحفظها الأخطار، ثم يتركها وينطلق عائدًا إلى منزله فى أعلى الجبل.

وكان يعود صباح اليوم التالى فيجدها فى أحسن حال، وكان الناس يستغربون كيف أن الوحوش لا تهاجمها، فقد كان الوادى معروفًا بوجود الأسود والضباع التى تهاجم البشر والحيوانات فى الليل.

وفى يوم من الأيام أكمل عمله متأخرا فأوصل الثيران إلى المكان المحدد، ونسى رسم الخطوط والتعويذات حولها، وعاد إلى المنزل، وفى منتصف الليل خرج إلى سطح منزله ينظر إلى الوادى فإذا به يسمع خوار الثيران وكأنها تستنجد به، فتذكر على الفور أنه لم يرسم الخطوط ولم يقرأ الحرز من الآيات القرآنية التى كان يقوم بها كل يوم فأدرك أن الماشية فى خطر، فنادى على أولاده وقال لهم إن الوحوش لا شك قد هجمت على الثيران، فجهزوا الحبال والسيوف لنزول الوادى لإنقاذها ، فلما وصلوا إلى المكان الذى تُربط فيه الثيران وجدوا ثلاثة ثيران فقط، واختفى الرابع، فبحثوا عنه فوجدوا أن أسدًا كبيرًا قد اصطاده وبدأ فى افتراس لحمه، فما كان منهم إلا أن ألقوا حبالهم على الأسد وقيدوه بها، وربطوه إلى إحدى الأشجار.

استيقظ الناس فى اليوم الثانى وطلبوا من الفلاح إكمال حراثة الحقول الموكلة إليه، فوقف مع أبنائه فى حيرة شديدة، فكيف يكملون العمل وقد نقص ظمدهم[1] ثورًا ! ! فاقترح أحد الأبناء أن يكون عقابُ الأسد قيامَه بمهمة الثور فى حراثة الأرض، ففكر الجميع فى حلول أخرى فلم يكن هناك بديل سوى أن يعمل الأسد مكان الثور الذى افترسه، فهم بحاجة إلى حراثة الأرض قبل أن ينتهى موعد بذر الحبوب، فما كان منهم إلا أن أخذوا لجام الثور وألبسوه للأسد ليأمنوا فكَّيه وقرنوه بالثور الآخر،

(١) الظمد اسم يطلق على ثورين يُقرَنان معًا بمحراث واحد لإنتاج عمل أفضل وتخفيف الجهد عن الثور المضمد قطعة من الخشب تربط بين الثورين.

ووضعوا عليه ضِمد الخشب وتناول الفلاح العصى واقتاد الأسد إلى وسط الأرض، وبدأ بترديد الهجلة التى يرددها المزارعون فى أثناء قيامهم بالحراثة:

يا ثورى يا أبيض يا جليل الساعد

... انزع يمينك واسمع حنين الراعد

الصيف صيفين والفتى من صاده

.... والنذل والجمال يقول عاده

فكان الأسد مجبرًا على المشى بجوار الثور فى حراثة المزرعة حتى تعوَّد ذلك وبمرور الأيام أصبح حيواناً أليفاً يعمل بهدوء، فكان الناس والفلاحون يمشون بجوار الفلاح متعجبين كيف استطاع أن يسخر الأسد الذى يرتعبون منه فى لياليهم، وكيف انتقم منه وجعله يعمل بدلاً من الثور لسنوات!! وقد أحب الناس هذا الفلاح واعتبروه حكيم القرية، فأصبح الناس يلجأون إليه لحل مشكلاتهم، وفى حال استعصى عليهم ضبطُ أحد المخالفين بالقرية من سارق أو مؤذٍ يذهبون إليه ويقولون له:

يا ضامد السبع قبل زهران

...أنصفنا من ابن فلان

بمعنى "يا من استطعت إخضاع السبع (وهو الأسد) قبل زهران (وهو اسم الثور الذي يملكه) أنصفنا من الظالم فلان" ويذكرون اسمه.



صورة فلاح يحرث الارض بالثور كما هي العادة في اليمن

الثور والحمار الكسول

كان هناك فلاح لديه مزرعة كبيرة وثور وحمار، وكان الثور يعمل بالمحراث كل يوم فى الحقل بينما يقوم الحمار بنقل بعض الأشياء فى الصباح إلى الحقل فقط ثم يستلقي تحت الشجرة وينام حتى يحل آخر اليوم، فيعود مع الفلاح والثور إلى المنزل، وفى الليل يربط الفلاحُ الحمارَ فى الإسطبل، ويأتى صباح اليوم التالى فيأخذ الثور للعمل باكرًا، وهكذا كان هذا المشهد يتكرر طوال العام.

وفى يوم من الأيام كان الثور متعبًا جدًا، فشكا حاله للحمار وطلب منه المشورة لإيجاد حل يخفف عنه هذا الجهد، فقال له الحمار: إذا جاء الفلاح إليك فى الصباح فتظاهر بالمرض؛ فسوف يتركك ويذهب إلى الحقل ويستأجر غيرك. سمع الثور لمشورة الحمار وعندما جاء الفلاح اليوم التالى ليفك رباط الثور تظاهر الثور بالمرض وعدم القدرة على النهوض، فقال الفلاح: يبدو أن الثور مريض، ففك رباط الحمار وأخذه معه إلى الحقل كالعادة، وعندما وصل إلى الحقل فكر باستغلال الحمار لحراثة الأرض بدلاً من الثور، فربطه بالمحراث وبدأ بضربه ليقوم بالحراثة، فاضطر الحمار للحراثة طوال اليوم بدلاً من الثور.

عاد الحمار إلى الإسطبل نهاية اليوم فسأله الثور: كيف كان يومك؟ فقال: كان

اليوم جميلاً لولا أنى سمعت خبرًا أزعجنى... وادّعى أنه سمع الفلاح يقول لزوجته إنه ينوى فى حال ظل الثور مريضًا أن يذبحه؛ خشية أن يموت إذا ما طال به المرض. ففزع الثور للخبر وقرر النهوض فى اليوم الثانى إلى العمل بنشاط، وهكذا استطاع الحمار أن يتغلب على الثور بالحيلة، وعاد كل منهم إلى حالته الأولى[1].

الحمار المخادع

نجد الكثير من الحكايات المشابهة لهذه الحكاية عند شعوب أخرى وإن تغيرت الأسماء، فهى تعبر عن حال معظم الشعوب بحسب المكان الذي تعيش فيه، ولها حكمة وغاية مهمة فى تعليم وزرع حب الخير والصدق فى نفوس الأبناء.

تقول الحكاية إنه كان هناك حمار مخادع كسول، وحمار آخر طيب نشيط، عرض عليهما تاجر حمل بضاعة إلى قرية أخرى، فاختار الحمار الكسول حمل الإسفنج لكونه خفيفًا، واضطر الحمار الآخر المسكين إلى حمل أكياس الملح الثقيلة، فكان الحماران يمشيان من قرية إلى أخرى والكسول المخادع يضحك ويسخر من الحمار المحمل بالملح، ويعايره بأن الملح قد مزّق ظهره.

لكن الرحلة مرت بأحد مجاري السيول فاضطر الجميع إلى الخوض وسط الماء، فذاب الملح على ظهر الحمار المتعَب واغتسل جسمه من الملح وخرج خفيفًا فارغًا، وتشرَّب الإسفنج الماء على ظهر الحمار المخادع وكاد أن يغرق فى الماء، ولم يخرج إلا محمّلاً بحمل ثقيل، وواصل الحماران السير إلى السوق وقد انعكست الأمور وأصبح الحمار المخادع فى حال يرثى لها جزاءً لمكره وخداعه[2].

نلاحظ من هذه الحكاية سهولتها ومناسبتها للأطفال، فهى تدعو إلى الأخلاق النبيلة وتنذر بأن عاقبة الخداع والمكر وخيمة، وهذا يدل على أن محتوى هذه الحكايات

---

(١) وردت الحكاية على لسان والدي العزيز وبعض كبار السن في طفولتي ولكني وجدت الكثير من الشبه بينها وبين الحكايات المماثله لها في اغلب البلدان العربية وغير العربية كذلك.

(٢) وجدت الكثير من الشبه بينها وبين الحكايات المماثله لها في اغلب البلدان العربية وغير العربية كذلك.

يعكس حكمة الشعوب فى التعليم عن طريق الحكاية الشعبية المسلية والحكيمة فى نفس الوقت.

السلطان العقيم

يبدو أن هذه الحكاية تعود إلى عصور قديمة من تاريخ اليمن حيث يظهر عليها الاعتقاد بنطق الحيوانات. وهذه الحكاية من الحكايات التى أشار إليها أديب اليمن الكبير عبد الله البردونى فى كتابه (الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل).

كان فى قديم الزمان سلطانٌ يملك من الأموال ما لا يعد ولا يحصى، يجمع فى بيته أكثر من عشرين زوجة، ولكنه كان عقيمًا، لم ينجب أولادًا لكونه خصيًّا، لكن هذه الحقيقة الأخيرة لم تجرؤ إحداهن على البوح بها، سوى همسًا؛ خشية غضب الأمير أو طرده لهن من النعيم اللاتى يعشن فيه. وكان الأمير يرجع العيب دومًا إلى نسائه، حتى تزوج بشابة جديدة، فكانت تهمس كل صباح لطائر يقف على النافذة قائلة:

زوجى مثلى يا طاير ... لا تخبر أهل الداير

وبعد فترة تزوج الأمير بشابة أخرى، وكانت تلك الشابة تطل من النافذة فترى بقرة تُربَط تحت نافذتها، وكانت هذه البقرة تلد كل عام رضيعًا جديدًا، والشابة تراقبها كل عام حتى تكاثرَ أولادها، فكانت تهمس إليها من النافذة قائلة:

زوجى مثلى يا بقرة ... يهنا لك يا أم العشرة

وبمرور الأيام سمع الناس الطيور تحلق فى الحقول وتردد قائلة:

زوجى مثلى يا طاير ... لا تخبر أهل الداير

وكذلك سمع الفلاحون الأبقار فى المراعى تردد:

زوجى مثلى يا بقرة ... يهنا لك يا أم العشرة [1]

(١)انظر: البردونى، الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل، ص ٢٢.

وهذه الحكاية نجد لها شبهًا فى حكايات الشعوب الأخرى كما فى حكاية الحاكم صاحب أذنى الحمار، والذي كان يرتدى التيجان الكبيرة لتغطى هذا العيب الخلقيّ فيه، وكان حلاقه هو الوحيد الذي يعرف بهذا السر، وعندما ضاق صدر الحلاق ذهب واحتفر حفرة فى الغابة يصيح فيها بأعلى صوته بهذا السر ثم يدفن الحفرة، وبمرور الأيام نمت أشجار فى هذه الحفر وأصبحت الأشجار تردد صوت الحلاق قائلة: أذُنا الحاكم كأذنى الحمار. ولأن اليمن بلد زراعى فقد كانت البطولة فى هذه الحكاية للأبقار والحقول والحمام المنتشرة فى سمائها، وهذا يدل على أصالة الحكاية اليمنية وانتمائها لوطنها الأم.

رابية وعنتر

قد يتساءل البعض: لم أوردت أكثر من ثلاث حكايات من كتاب عبد الله البردونى؟ وهل من داعٍ لتكرارها هنا؟ فالجواب أن هذه الحكايات وردت مكتوبة على هامش الشرح بغرض التحليل، وقد قمت بنقلها بحيث تكون متاحة للقارئ بغرض الحفظ والجمع خوفًا عليها من الضياع، كما أننا بحاجة لتوثيق تراثنا فى أكثر من كتاب [1].

يحكى أن فتاة اسمها (رابية) كانت وحيدة والديها، وقد أحبها شاب اسمه (عنتر) يعمل نجارًا فى دكان بالقرية، وكان معروفًا بالصدق والوفاء والطيبة، غير أنه كان فقيرًا، وقد أحبته رابية، فكانت تلتقي به فى أماكن معهودة، وكان عنتر يعلم أن والدها لن يقبل بتزويجها له كونها الوريثة الوحيدة لأملاكه، ورغم ذلك كان عنتر يهُم بمفاتحة أبيها بشأنهما، لكنه كان خائفًا من رفضه ومن فراق محبوبته، فكلما قرر الذهاب إلى دارها وكاد يقرع الباب أخذه الخوف الشديد، فيقرر العودة من حيث أتى.

(١) وردت هذه الحكاية فى كتاب الأديب اليمني عبد الله البردونى (فنون الأدب الشعبى).

وذات ليلة طال به الوقوف أمام منزل رابية حتى بزغ الصبح وخرجت الطيور تزقزق وتحوم فوق رأسه وهي تنشد قائلة:

يا طيور يا عالية..... خبرى لى رابية

يا طيور يا عاليه..... خبرى لى رابية

ففزع منها ورجع إلى منزله هاربًا. وبعد غروب الشمس خرج والد رابية إلى شرفة منزله ورابية بجواره، فأنشدت الطيور تقول:

يا رابية بنت عكبر ... تزوجى عنتر

يا رابية بنت عكبر ... تزوجى عنتر

ولاحظ والدها احمرار وجهها واستحياءها من الموقف، فسألها: ماذا قالت الطيور؟ فتلعثمت وقالت إنها لم تفهم شيئًا مما قالته. فقصد والدها حكيم القرية ليفتح لابنته الكتاب ويرى حظها فى الزواج، فقال له الشيخ إن ملك الجان قد مات وإنهم الآن فى حالة انفلات. وأشار على والد الفتاة بأن يدهن باب منزله وأظلاف أبقاره وأغنامه بالقطران. وحين شاهد الناس كبير القرية يدهن منزله دهنوا جميعًا منازلهم حتى عنتر النجار دهن أخشابه ومنشاره الذي يعمل به، ولكن ذلك لم يمنعه من التفكير بالزواج من رابية، وقرر الذهاب إلى والدها ومشاهدة الطيور التى رآها تنشد خبر حبهما، وعندما وصل إلى باب الدار أشار إليها بيده وأنشد يقول:

يا طيور يا عالية.... قولى لأبو رابية

وعاد هاربًا إلى منزله.

بعد مرور عدة أيام ذهب والد الفتاة إلى الحقل ليبذر الحبوب، وكانت الطيور تحوم فوق رأسه، فسمعها وهى تردد وتنشد قائلة:

زوجها عنتر ... وإلا أصرب حنذر

زوجها عنتر... وإلا أصرب حنذر

فتشاءم والد الفتاة من هذه الطيور التى تلاحقه فى كل مكان، وخاف على نفسه من فراق ابنته رابية، وانتظر ستين يومًا حتى موسم الحصاد، فتفاجأ بالسنابل قد أصبحت حنذر، وتحققت مقولة الطيور التى سمعها، فلم تثمر السنابل حبًّا كما عهدها كل عام، فأصابه الخوف واعتبر ذلك نذير خطر، فعاد إلى ابنته رابية وأخبرها الخبر، فأعلنت له حبها لعنتر فوافق على زواجها منه. وذهبت رابية إلى عنتر وحكت له موافقة والدها فتجاوز خوفه وذهب إلى دار والدها وخطبها منه، فوافق عليه بالرغم من فقره.

الفلاح والخضر

يقال إنه كان هناك فلاح فقير لديه قطعة من الأرض بجوار منزله يعمل فيها هو وأسرته طوال العام، وكان هذا حاله وحال كل أبناء قريته، فقد كانت الأرض التى يزرعونها بالكاد تأتى لهم بما يكفيهم من الحبوب والمحصول، ولم يكن فيهم من الأغنياء إلا القليل. وكان يقول فى نفسه دائمًا: لماذا لا يجعل الله كل الناس أغنياء! ولماذا لا يكون غنيًا مثل أولئك الذين يعيشون فى القصور الفخمة ويأكلون ما يشتهون ويحصلون على كل ما يريدون!

وذات يوم كان يحرث الأرض فى موسم البذر وينظر إلى ثوره المغلوب على أمره وهو يمشى أمامه بصبر وأناة، ونظر إلى الأرض فوجد الخطوط التى أحدثها المحراث وقال فى نفسه: إن حالى كحال هذا الثور، أقوم بهذا العمل طوال العام، وفى النهاية أحصل على القليل من المحصول الذي تتعهدنى به هذه الأرض دون فائدة، كالثور الذي يعمل دون أى تجديد فى حياته، فقط يأكل ويشرب ويعمل. فأكمل بذر الأرض وترك الثور والقرية وأخذ معه بعض الزاد إلى أحد الكهوف فى الجبال، وظل يتعبد فيها ليالى

طويلة، وظل هذا حاله لعدة شهور، يرجع إلى القرية ويجلب ما يكفيه من الزاد والماء ويعود إلى الكهف يتعبد ويطلب من الله أن يغنيه [1].

وفى ذات ليلة كان يصلى ويدعو بخشوع، فمر عليه نبى الله الخضر وقال له: من أنت؟ ولماذا أنت هنا؟ فشكى له الفلاح حاله وحال أهل قريته وما بهم من الفقر والجوع. فقال له الخضر: اطلب منى ما تريد وسوف أحققه لك. فقال له الفلاح: أريدك أن تجعل كل أهل القرية أغنياء دون استثناء. فدعا له الخضر وقال له: عد إلى منزلك وسوف يصبح كل أهل القرية أغنياء فى الصباح. فودعه الفلاح وعاد إلى القرية.

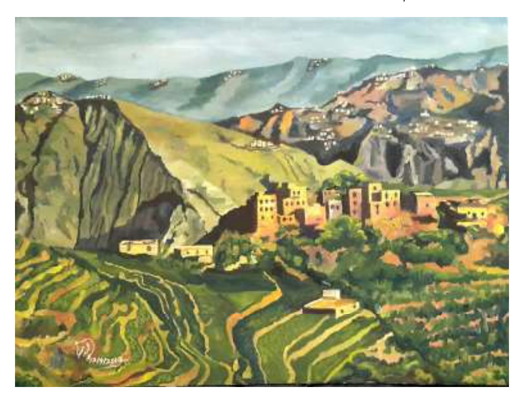
وفى الصباح الباكر خرج الناس إلى أراضيهم فوجدوها مليئة بسنابل من الذهب، فأخذ كل منهم سنابله وبنوا بأثمانها القصور الفخمة والمنازل الجميلة، وأحاطوها بالأسوار والبوابات والحدائق، وأصبح كل سكان القرية يعيشون فى نعمة ورخاء لا مثيل لها.

وفى يوم من الأيام جاءت أمطار غزيرة وهدمت جزءًا من قصر هذا الفلاح، فأصبح مع أهله فى خطر، لا يقدرون على دخول المنزل خوفًا من تهدمه عليهم، فخرج يستنجد بأهل القرية ودق أبوابهم كى يعينوه فى ترميم منزله، لكن لم يوافق أحد على مساعدته، فقد أصبح الجميع أغنياء يملكون القصور الفخمة ولا حاجة لهم إلى العمل والتعب، فظل يترجّاهم واحدًا تلو الآخر والجميع يمتنعون، فما كان منه إلا أن عاد إلى الكهف وترك أسرته تبيت بجوار منزله المتصدع، وظل يدعو فى الكهف أن يسخر الله له من أهل القرية من يساعده فى إعادة بناء قصره.

وفجأة جاء إليه النبى الخضر، وقال له: ماذا أصابك أيها الرجل! ألم أحقق لك ولقريتك كل ما تريد؟! فقال له: ولكن دارى تهدم بفعل الأمطار ولم يقبل أحد أن يخرج

(١) تأثرت هذه الحكاية بالقصص الديني حيث وردت على لسان بعض الإخباريين وسمعت ذات مرة قصة مشابهة لها من الأستاذ لطف العمراني وهو من أشهر خطباء المساجد في قريتنا حي الثجة والقرى المجاروة لها في محافظة إب عزلة المعشار وإن كانت صياغتها مختلفة في خطب الفقهاء.

لمساعدتى فى إعادة بنائه. فقال له الخضر: هل أدركت الحكمة من تفاوت الناس بين الغِنى والفقر؟ فقد جعل الله الناس فقراء وأغنياء ليكمل بعضهم بعضًا، وهكذا يعيش الجميع فى سلام، فإذا كنت تريد الحل لمشكلتك هذه فليس أمامنا إلا أن نُرجِع الناس متفاوتين كما كانوا. فما كان من الرجل إلا أن رضى بهذا الحل، فعاد إلى القرية فوجد أهلها قد خرجوا من منازلهم بفعل زلزال قوى، قبل أن تخر عليهم الأسقف، وما هى إلا ساعات وسقطت أغلب هذه المنازل، وفتش الناس عن أموالهم وكنوزهم فوجدوها قد تحولت إلى تراب ورماد، ولم يكن أمامهم من حل إلا أن يعودوا إلى ديدنهم السابق فى الزراعة وأن يتعاونوا فيما بينهم للعمل على بناء المنازل من جديد.



لوحة من أعمال الكاتب لأحد القرى في اليمن

ليالى العجوز

يقال إن هناك سببًا لتسمية الليالى من حساب المواسم الزراعية للفلاحين فى اليمن، والتى يطلق عليها (ليالى العجوز)، والمعروف زراعيًا أن هذه الليالى تحل فى آخر الموسم الزراعى، ويقال إن سبب هذه التسمية يكمن وراء هذه الحكاية..

يقال إنه فى أحد مواسم الزراعة قديمًا أنبتت الأرض زروعًا لم يسبق لها مثيل، فلما أينعت السنابل ولم يبق إلا أن تمطر السماء ولو لمرة واحدة لكى تخرج الحبَّ انقطع المطر، وحل الجفاف، وأحرقت حرارة الشمس المزارع، حتى يبست الأغصان والأوراق

ويئس الناس من محصول مزارعهم، فأخذوا يقتلعون مزارعهم من القمح والذرة ويطعمونه للأبقار والمواشى، إلا عجوزًا منهم رفضت أن تقتلع زرعَها.

وبعد ثلاثة أيام من اقتلاع الناس للمزروعات تجمعت السحب فى السماء وتحولت إلى غيوم سوداء، وإذا بصوت الرعود يدوي فى الوديان والقرى فسقطت أمطار غزيرة روت المدرجات الزراعية بالماء، وبعد أيام اخضرت مزارع المرأة العجوز وأينعت سنابلها بالحب كأن لم يصبها عطش، وندم الناس على اقتلاع مزارعهم وفقدان محاصيلهم بسبب استعجالهم وقنوطهم. ومن يومها أصبح الناس ينتظرون هذه الليالى الثلاث التى تصب فيها السماء الأمطار فى آخر لحظات الصيف والموسم الزراعى، ويعتبرونها آخر فرصة لسقوط الأمطار، فلا يقتلعون زروعهم إلا فى حال ذهبت هذه الليالى التى سميت نسبة لهذه العجوز، وأصبحت ليالي العجوز معلمًا من معالم الزراعة فى اليمن [١].



صورة تعبيريه لعجوز يمنية

حكاية الإخوة والميراث

هذه الحكاية من الحكايات المشهورة فى اليمن ولها الكثير من الروايات المتعددة، فتصاغ بإختلاف بسيط من منطقة إلى أخرى.

(١) انظر كتاب فنون الأدب الشعبي للبردوني.

يحكى أنه كان هناك رجل غنى وله ثلاثة أبناء. وفى يوم من الأيام توفى هذا الرجل واختلف الأبناء على الميراث وتوزيعه، وكان أحد هؤلاء الإخوة أعزب والآخران متزوجين، وكان نساء الأخوين المتزوجين يدفعن بأزواجهن للاستئثار بأفضل الأسهم من الميراث. فأشارت إحداهن على زوجها أن يأخذ الأبقار والأغنام لما فيها من فوائد كثيرة كالألبان واللحوم. وأشارت الثانية على زوجها أن يأخذ الأموال والذهب والأشياء القيّمة لكى يستثمر المال ويبيع منها وينفق من ثمنها، فأخذ كل منهما ما أشارت به زوجته، وتركا السهم الثالث وهو الثور والأرض القاحلة للشاب الأعزب، وذهب كل منهم إلى حاله وافترقوا فى جهات مختلفة.

مرت الأيام، وباع الأخ الأول أغنامه واحدة تلو الأخرى حتى استنفد كل أغنامه، ثم باع الأبقار حتى نفد كل ميراثه، ولم يكن بيده حيلة إلا أن يسافر إلى خارج القرية للبحث عن عمل يعيش منه. فخرج مسافرًا بين الجبال والسهول وبعد مسافة بعيدة وجد فى طريقه مزرعة كبيرة لأحد الفلاحين، فطلب منه العمل لديه فوافق الفلاح أن يعطيه أجر عاملين مقابل أن يذهب كل يوم إلى المزرعة ويعمل فيها منذ الصباح الباكر إلى الغروب، ولكن اشترط عليه الفلاح ثلاثة شروط؛ أن يتغدى بقرص من الخبز ولا يقسمه، وأن يشرب اللبن من الدبية [1] دون أن يرفع غطاءها، وأن يُسلَخ من جِلده مقدارُ ذراعٍ إن هو خالف هذين الشرطين، وإن وفى بهما الأجيرُ ولم يدفع إليه الفلاح ما يستحق من أجرةٍ سلخ الأجيرُ من جِلد الفلاح نفسِه، فوافق صاحبنا.

وجاء اليوم التالى فأخذ الفأس وذهب للعمل فى الصباح الباكر، واستمر يعمل حتى الظهر، فنظر إلى الخبز وقال: كيف آكله دون أن أقسمه ! ! فتركه وعاد إلى العمل حتى العصر، فاشتد به العطش فذهب إلى الدبية فقال: كيف أشرب منها دون أن أرفع غطاءها؟ وخاف من عقاب مخالفة الشروط فتركها. ثم اشتد به الجوع والعطش قبل الغروب ولم يعد قادرًا على العودة إلى المنزل من جهد العمل وإنهاك الجوع، فنظر إلى

(١) الدبية : بضم الدال وعاء من القرع المجفف يحفظ فيه اللبن وكان يُشرَب فيه.

دبية اللبن والخبز وأكل وشرب حتى شبع. وعندما عاد إلى الفلاح شكا له ما أصابه من الجوع لكن الفلاح صمم على عقابه وقال له: لو أخللت أنا بشروطى من عدم دفع الأجرة فسوف أعطيك جلدى للسلخه حسب الشروط، فما كان منه إلا أن سلم له نفسه فسلخ من جلده مقدار ذراع وطرده من المزرعة. فرجع إلى أخيه الشاب الذي كان نصيبه فى الميراث الثور والأرض، وقد زرع أرضه فكانت تكفيه قوته، فشكا إليه حاله فطلب منه البقاء لديه فى المزرعة والعيش معه حتى يتعافى، ولكنه شرط عليه أن يطلق زوجته لكى يسمح له بالعيش معه، فوافق أخوه وطلقها، وأقام معه.

ومع مرور الأيام افتقر الأخ الآخر الذى اختار الأموال، حيث كان يصرف منها دون حساب حتى أفلس وتراكمت عليه الديون واشتد عليه الحال، فذهب خارج القرية للبحث عن عمل فلم يجد، وظل يسير فى الطريق حتى انتهى إلى نفس المزرعة التى عمل فيها أخوه، وهو لا يدرى أن أخاه قد سبقه إليها، واشترط عليه الفلاح نفس الشروط التى سبقت لأخيه فوافق عليها، ولكنه لم يستطع الوفاء بها فسلخ الفلاح جزءًا من جلده وطرده من المزرعة، فعاد إلى قريته ولا ملاذَ له سوى أخيه الفلاح، فوجد أخاه الأول وقد سُلخ جِلدُه فى ذات الموضع، فعرف أنه وقع فى نفس الفخ. وشرط عليه أخوه أن يطلق زوجته لكي يبقى معهما، ففعل وأقام معهما. وحينها قال لهم أخوهم الشاب: اجلسا هنا فى المزرعة وتوليا العمل مكانى وسوف أذهب أنا إلى هذا الفلاح وأنتقم لكما منه، فدله أخواه على الطريق إليه، وحين وصل إلى الفلاح عرض عليه العمل لديه فوافق وشرط عليه نفس الشروط التى شرطها على أخويه من قبل فقبل الشاب.

وعندما جاء اليوم الثانى ذهب فى الصباح الباكر إلى المزرعة وعمل فيها حتى جاء وقت الغداء فأخذ الخبز وأكله من وسطه وترك الأطراف سليمة كما هى، وثَقَب ثقبًا صغيرًا فى أسفل الدبية وشرب اللبن دون رفع الغطاء، وهكذا عاد إلى الفلاح وقال له: أكلتُ الخبز دون أن أقسمه وهذه أطرافه سليمة كما طلبتَ، وشربتُ اللبن من الدبية دون رفع غطائها ولم أخالف الشروط التى اتفقنا عليها، فلم يجد صاحب المزرعة ثغرةً

يدعى بها أنه أخلَّ بالشروط.

وجاء اليوم الثانى فغير صاحب المزرعة شروطه وقال للشاب: أريدك أن تذهب لرعى الأغنام ولكن بشرط؛ إذا هطلت الأمطار لا تترك رؤوس الأغنام تتبلل بماء المطر. فذهب الشاب لرعى الأغنام وشاهد السحب تتجمع والسماء تنذر بسقوط الأمطار، فذبح جميع الأغنام وأدخل رؤوسها فى جوال كبير، وعاد بها إلى منزل الفلاح، ففزع مصدومًا: ما هذا الذي فعلته؟!! فرد عليه: لقد وفيت بوعدى ولم أترك رؤوس الأغنام تتبلل، وهذه الرؤوس أمامك جافة لم يبللها القطر كما طلبت، ولم يكن بد للفلاح إلا أن يسلم الشاب أُجرَته مضاعفةً ثم سلخ الشاب مقدار ذراع من جلد الفلاح حسب الشرط.

وهكذا انتقم الشاب لأخويه وعاد إليهما منتصرًا سعيدًا، وتعاون مع إخوته على استصلاح الأرض، فقسَّموا العمل بينهم، فعمل الشاب على حراثتها بالثور، وعمل الثانى على تنقيتها من الحشائش وسقايتها، وعمل الثالث على حرثها، وهكذا عادت الحياة إلى الأرض وعاش منها الجميع بسعادة. ومرت الأيام وتزوج الثلاثة بنساء اختاروهن بعناية لتُعِنَّهم على الزراعة والتعاون، وأصبحوا يدًا واحدة لا يفرقهم شيء.

وهناك حكاية مقاربة لهذه حصلت فى منطقة قريبة من مدينة الحديدة[1]، حيث كان هناك رجل يملك جبلاً وواديًا أسفل هذا الجبل، وكان له عدد من الأولاد ذكورًا وبنات، وحين توفى رفض الإخوة الذكور أن يعطوا أخواتهم البنات نصيبهم من الأرض الزراعية، وقسموا نصيبهم فى الوادى وأعطوا أخواتهم نصيبهن فى الجبل فقط، ووافقت البنات على مضض وسعد الإخوة بما حققوه من كسب على حساب أخواتهم وأزواجهن.

ومرت الأيام وهطلت أمطار شديدة فتدحرجت صخور من قمة الجبل، واتضحَ أنها من الرخام الأبيض غالى الثمن، فعلم أحد التجار بأمر الجبل وما تحمله طبقاته من الرخام الأبيض، فالتمس أصحاب الجبل حتى وصل إلى الإناث اللاتى يملكنه وعرض

(١)سمعت هذه الحكاية من سائق كنت راكباً معه في رحلة من مدينة إب إلى الحديدة مع ابن عمي وأخي وأحد جيراني وعندما مررنا بالجبل والدي ولمحنا المصنع وبياض الرخام في ربوة الجبل سألناه فحكى لنا القصة.

عليهن مبلغًا كبيرًا يفوق قيمة الوديان الزراعية، مقابل جزء بسيط من الجبل، وأنشأ فيه مصنعًا لقطع الأحجار. فتفاجأ الإخوة وأخذتهم الصدمة، فذهبوا إلى أخواتهم يطالبونهن بأن يقسم الجبل وكذلك الأرض كل على حسب سهمه فى الشرع.

ويذكرنى هذا بالكثير من القصص المشابهة، فقد روى أحدهم أنه كان هناك إخوة من الذكور والإناث، وعندما جاء وقت تقسيم الأرض التى ورثوها عن والدهم- وكان فى أطرافها بقاع لا تنبت- جعلوا نصيبهم فى المنطقة الخصيبة فى وسط الأرض، وجعلوا نصيب أخواتهم فى الأطراف على حدود الطريق حيث يقل الزرع وحيث تتعرض المواشى للحشائش فتأكل منها.

ومرت السنوات وتطور البلد وقررت الدولة شق الطرقات المرصوفة، فقامت بتوسعة الطريق لمرور السيارات، وتهافت الناس لاتخاذ المتاجر والدكاكين على طريق السيارات، وارتفع سعر الأراضى فى الأماكن التى كانت من نصيب البنات عشرات المرات عن أرض الإخوة الخصيبة، فباء الإخوة بالندم الشديد عقابًا لمكرهم بأخواتهم مصداق قول الله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (١)

حكاية الصديقين والوفاء

يقال أنه كان هناك صديقين فقيرين ولم يكن لهما مال وكانا يسرقان مع بعض ويتسكعان في الشوارع دون عمل أو جهد وضلا هكذا لسنوات ان جاء في يوم من الايام وشاهد أحدهم إمرأة جميلة وأعجب بها وأعجبت به فتزوجها وعاش معها وكانت من أسر غنية ورت الأيام وحصلت جفاف وشحة في الأمطار فغرق الناس في الديون وفقر الرجل وزوجته فقرر أن يهاجر الى بلد أخر ليبحث له عن عمل فقال لصديقة الذي كان يحبة ويثق فيه أنه ذاهب الى العمل وأنه يوكله على زوجته وبيته وسوف يرسل له بين

(١) القرآن الكريم — سورة الآنفال الآية ٣٠.

الحين والآخر مايصرف به على زوجته ومنزله [1] وهكذا سافر الرجل وكان يرسل بين الحين والآخر المال الى صديقه فيذهب الى زوجته ويسألها ماتريد فتطلب منه ماتحتاج اليه ويشتري لها ما تريد ويعطيها من وراء الباب ومرت الأعوام وشعرت بحاجتها الى الرجل وفي يوم من الأيام طلبت منه أن يدخل لها الطلبات الى الداخل وقالت لهخ أنها مريضه ولا تستطيع أخذها فأدخل الصديق الطلبات الى صالة المنزل فأغلقت عليه الباب وقد تزينت بخير ماعندها ولبست مايبهر النفس فوجدها على زينتها فعرف مرادها فخرج وتركها من غير شيء وعاد الى منزله وهو حزين على حال صديقه فكتب بيت من الشعر قال فيه

وأبدت لي من حسنها كل شيء

وأدخلتني وقالت خذ ما تريد

فرفضت لأن بعلها صديقي

برغم أن العفاف ليس طبعي

وترك تلك العبارة على الجدران للذكرى وعندما عاد زوجهامن الغربة ذهب في بادئ الأمر الى سكن صديقة ليسلم عليه فقد كان يحبه حباً كبيراً وعندما وصل الى داره لم يجده ووجد غرفته مفتوحة وقرأ بيت الشعر فعرف أن زوجته قد راودت صديقه فتعفف فذهب الى منزله وجلس معها الى اليوم التالي بكل أدب ومحبة ولم يبدي لها شيئاً مما وجد وفي اليوم التالي وقال لها لنذهب لزيارة والدك في قريتكم فقد إشتقت اليه وعندما ذهب الى والدها دعاها الى جنب وقال لها ابقي عند والدك حتى أعود إليك ولا تعودي للمنزل وطلقها وذهب فعرف والدها أن هناك أمرا قد حصل فترك الأمور كما هي عليه وعاد الرجل الى صديقه ووجده في داره وسأله عن أهله وكيف تعاملوا معه فقال له لقد كانت زوجتك من أشرف الناس فقال له لقد طلقتها قال ولماذا فقال له بسبب بيت

(١) تحكى الحكاية عندما يتحدث الناس في المقيل عن الوفاء وسمعتها من أكثر من راوي بصيغ تختلف حسب اللهجة وهذه لحكاية الوسط من الجميع.

الشعر هذا وأشار إليه فقال له صديقه الحقيقة بعد أن عرف أن لاسبيل منه ومرت الأيام وذات يوم قرر والد الفتاه الذهاب الى زوجها الأول ليعرف السبب لعله يصل الى حل فلما وصل إليه لم يجده فعرف أنه في بيت صديقه فذهب إليهما وعندما وصل جلس معهم وقرأ بيت الشعر فعرف السر فطلب من الشاب مرافقته الى الخارج وقاده الى منزله وعندما وصل اليه قال له هل تقبل إبنتي الأخرى مكانها وزوجه أختها الشابه تعويضا له.

الملك العفيف والملكة اليهودية

يقال أنه كان هناك ملك عفيف يحب شعبه ويحبونه وكان يحكم مملكة بالقرب من مملكة أخرى تحكمها ملكة يهودية وكان أن قلت الأمطار في أرض الملك ونفذت المحاصيل والحبوب من مخازن الناس فجاع الناس وأنتشرت المجاعة في ارض الملك العفيف فقال له رعيته إذهب الى الملكة اليهوديه وأطلب منها أن تساعدنا لعلها ترق لحالنا وتقف معنا فأرضها ممطرة ومليئة بالخير فذهب الأمير في موكب عظيم مع جنده الى مملكتها وأقترب من مدينتها فعلمت لما جاء وما طلبه فأستقبلتة وظيفته وجنوده ودعته الى القصر وقالت له سوف أعطيك ما تريد على أن تتزوجني ونوحد المملكتين معاً فقال لها كيف أتزوجكي وأنتي على دين ليس من ديني وأنا لا أستطيع ذلك لأن قومي لن يغفروا لي ذلك فقالت له إذا دع شعبك يموت من الجوع فكر قليلا وقال سوف أجاريها إإلى أن أحصل على القمح وبعدها لكل حادث حديث فوافق على الزواج على أن تملأ له القافلة بما ينقذ شعبه من الجوع فقالت له سوف أفعل ذلك ولكنها شرطت عليه أن يدخل بها قبل كل شيء وفي تلك الليلة فوجد أنه لا مفر منها فطلب منها أن يذهب الى حمام بخار القصر لكي يغتسل ويعود إليها وعندما وصل الى الحمام إغتسل ثم صلى ركعتين وطلب من الله أن يجعل له مخرجا من ماهو فيه فما رفع رأسه إلا وقد فتح له باب الى مكان قافلته وعندما وصل إليهم وجد القافلة فارغة ووجد كل الحرس نائمون فقال لهم لنذهب فلا حاجة لنا بهم فلم يعطوننا شيء نهم ينوون قتلنا وخرج من

المدينة هاربٌ مع جنده وعندما خرج وأقترب من بلده قال له الجند كيف نعود للقرية فارغين والناس ينتظرون وصولنا . فقال لهم بفارغ الصبر فقال لهم إملاؤو خروج البغال والجمال بالرمل ولنعد محملين ولا يعرف الناس ما بداخلها وعندما وصل الى المدينة لهث الناس من الجوع وفتحوا الخروج فوجدوها حبوباً وقمحاً وأرز من كل الأصناف وقيل لهم هذا جزاء من يتقي الله (فمن يتقي الله يجعلة له مخرجا) [١]

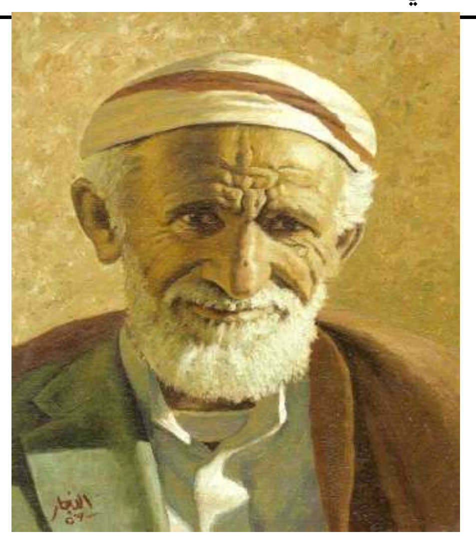
(من حكايات على ولد زايد وبعض حكماء اليمن)

على ولد زايد من أشهر حكماء اليمن، إذ تحتفظ الذاكرة الشعبية اليمنية بالكثير من حكاياته وأقواله الشعبية فى عدة مجالات، وقد استحق أن يطلق عليه لقب (حكيم اليمن) [٢] .

ويرى البعض أن شهرة شخصية على ولد زايد جعلت الخيال الشعبى ينسب إليه الكثير من الأقوال التى ربما لا يكون هو صاحبها كلها، وذلك ليَلقى ما يُنسَب إليه شعبية أكبر ومصداقية أقوى، وكذلك هناك الكثير من الأقوال والأمثال التى ربما قالها ولم تنسب إليه، ومن هنا فإن شخصية على ولد زايد قد انطبقت عليها الكثير من الشروط التى تتطلبها العناصر الأدبية الشعبية، ويحكى اليمنيون الكثير من الحكايات الشعبية التى تنسب إليه سنسوق عددا منها.

(١) تحكى الرواية عندما يكون الحديث عن العفاف والتقوى وسمعتها من أكثر من راوي.

(٢) من أشهر حكماء اليمن ويقال إن أصله من محافظة إب قرية منكث التي وردت في بعض حكاياته وأشعاره ولا يعرف بالتحديد فترة حياته ويذهب البعض انه من الأنبياء وربما كان قبل الإسلام بينما يذهب البعض الى أنه حكيم عاش بعد الإسلام وينسبونه لفترات قريبه وعندما يقول اليمني وخاصة في وسط وشمال اليمن المثل الزراعي أو المثل العامي يسبقة جملة (يقول علي ولد زايد) ثم يكمل المثل.



لوحة للفنان التشكيلي اليمني طلال النجار

زوجات على ولد زايد

يقال إنه كان لعلى ولد زايد ثلاث زوجات، واحدة منهن من بنات عمه، واثنتان من قبائل أخرى، وكانت نساؤه الثلاث يسكنَّ معه فى بيت واحد. وحصل أن جاء عام تذبذت فيه الأمطار فكان المحصول قليلاً ما أدى إلى نفاد مخزون الكثير من الفلاحين، وكان على ولد زايد أكثرهم نصيبًا من التعاسة، فقد تدهورت حالته المادية وكثرت عليه الديون وثقلت عليه مطالب زوجاته الثلاث وأولاده، فجلس يفكر ذات ليلة بصمت دون أن يكلم واحدة من زوجاته الثلاث، واستمر على هذا الحال حتى منتصف الليل، ثم خرج من المنزل فجأة دون أن يعرفن إلى أين هو ذاهب، وبعد فترة قصيرة من خروجه عاد إلى المنزل دخل خفية إلى مكان يستمع فيه إلى حديث زوجاته ليعرف ماذا يقلن عنه فى غيابه [1].

(١) الحكاية جاءت على لسان أكثر من راوي.

وكانت زوجاته الثلاث قد اجتمعن فى بهو المنزل يتحدثن عن خروجه فى هذا الوقت المتأخر من الليل، فقالت إحداهن: ذهب ليسرق شيئًا من القرية وسيحلف لنا أنه ما سرق شيئًا.

وقالت الثانية: ذهب ليقابل عشيقة له، وقد رأيته اليوم يكلم امرأة غريبة فى طرف الحقل.

وقالت ابنة عمه: ولم لا تصبران على غياب ليلة واحدة! ما أعجلكن عليه تنكرن الجميل وتكشفن المستور! ربما خرج ليقترض مالاً يقضى به ديونه أو يدبر نفقات المنزل. فأعجب بكلام ابنة عمه، ثم دق باب المنزل مدعيًا أنه وصل للتو، ففتحنَ له الباب دون أن يكلم أيًا منهن.

وفى صباح اليوم التالى ذهبت ابنة عمه إلى منزل والدها وأحضرت بعض اللبن والحبوب التى كانت تخفيها لوقت الحاجة فى بيت والدها، والتمست بيضًا من دجاجتها التى تربيها فى المنزل، وصنعت طعامًا لكل من فى المنزل، بينما تقف الأخريان من زوجاته فى صمت لا تفكران فى التعاون معه فى ظل هذه الأزمة التى حلت بكل الناس فى ذلك العام، ولم يجد منهما أى مبادرة لتدبير شؤون المنزل، فنظر إلى ابنة عمه ثم نظر إليهما وقال:

يقول على ولد زايد .... من قلة الزرع الاخلاف

أمسيت من فقر ليلة .... سارق وزانى وحلاف

ويقصد اتهامهن له الليلة السابقة بالسرقة والزنا، فطلق اثنتين من زوجاته وأبقى على ابنة عمه التى كانت وفية له على عكس الأخريين، قائلا:

يقول على ولد زايد .... ما يجبر الفقر جابر

إلا القلم والدفاتر .... وإلا جمالاً تسافر

وإلا مرة من قبيلة .... تدبر الوقت كله

كنه لديها وداعة.

على ولد زايد وابن أخته

كان على ولد زايد جالسًا ذات يوم يتناول الإفطار مع ابنته وابن أخته [1]، وكانت الليلة السابقة ممطرة والأرض موحلة والجو باردًا والغيوم لم تنقشع بعد لتشرق الشمس، وكان هذا هو الجو المفضل لديه يجعله سعيدًا طربًا، فأحب على ولد زايد أن يتبادل الحديث مع ابنته وابن أخته، وكانا فى سن ما قبل البلوغ، فطلب منهما أن يحدثاه عن أمانيهما، وسأل ابنته عن أجمل شىء فى الدنيا فقالت: "شمس بعد ماطر"، أى الشمس التى تأتى بعد المطر. ثم سأل أبن أخته: ما أجمل شىء فى الدنيا؟ فقال: "حميمة جنب مشقر"، يقصد وجوده بقرب ابنة خاله، وكأنه يغازلها، فكتم على بن زايد غيظه صامتًا، ثم سأله ابن أخته: وأنت يا خال ما أجمل شىء فى الدنيا؟ فقال: "قتل ابن الأخت قبل يكبر". يعنى التخلص من ابن أخته قبل أن يكبر ويغرى ابنته بالحب والهوى.

حامى الحمى يشتى له من الحي حامى

كان على ولد زايد صديقًا لـ حميد بن منصور، وهو من حكماء اليمن المشهورين أيضًا، فقرر على ولد زايد زيارة صديقه فى بلده، فذهب ذات يوم إلى قرية حميد بن منصور، وفى طريقه مر على أرض ومزارع حميد بن منصور، وكانت ابنته تحرس الأرض نهارًا من دخول الدواب إليها، فوجد على ولد زايد الفتاة فى المزرعة مع أحد الفتيان وهو يغازلها وهي منجذبة إليه لا تمانعه، فناداها وقال لها: يا بنت حميد، بلغى حميد بن منصور سلامى، وقولى له إن على ولد زايد يقول لك: "حامى الحمى يشتى له من الحي حامى".

فلما عادت الفتاة إلى والدها قالت له: إن صاحبك علي ولد زايد جاءنى اليوم إلى المزرعة وهو يسلم عليك ويقول لك: "حامى الحمى يشتى له من الحي حامى". ففهم

(١) الحكاية جاءت على لسان أكثر من راوي.

أبوها المقصد وهو أن الفتاة بحاجة إلى الحراسة، وهناك من قد سحر عقلها. وقد أوصلت الفتاة المسكينة الرسالة إلى والدها وهي لا تدري، فسكت عنها ولم يبلغها معنى الخبر وما فيه من التحذير، فمنعها والدها من الخروج للرعى مرة أخرى وعجل فى زواجها.

اليهودى وخال على ولد زايد

يقال إنه فى عام من الأعوام قلت الأمطار ولم يحصد الناس إلا القليل من المحاصيل، فمر الناس بقحط شديد واستدان على ولد زايد من كل أهله وأصدقائه حتى أقفلوا الأبواب فى وجهه. وكان ذلك العام شحيحًا لدرجة أن بعضهم اتجه إلى السرقة، أما هو فقد رفض ذلك وقال فيهم:

السرقه مهره ذليلة .... إذا خفي كيف لو بان

بمعنى أنها مذلة للرجل، فهو يتخفى فى خوف من الفضيحة، فكيف إذا بان وضاعت سمعته للأبد! وقد اختار على ولد زايد الصبر عن التعرض لمال الغير. ومرت الأيام ولم يجد أحدًا يرغب بمساعدته، وعندما اشتدت به الحاجة ذهب إلى إخوته وأهله واختار منهم من يملك الكثير من الأرض، وطلب من أحد إخوانه أن يدعمه بالمال حتى يأتى الموسم القادم، فرفض أخوه مساعدته فقال فيه:

ماينفعك ما مع أخوك .... ولا سراجه يضىء لك

بمعنى: وإن كان أخوك يملك مالاً كثيرًا فهو لا ينفعك وقت الشدائد.

فذهب على ولد زايد إلى السوق وباع ثوره ومحراثه ولم يبق معه شىء، واشتدت به الظروف أكثر ولم يجد من يساعده، فأشارت عليه زوجته بأن يذهب إلى القرية المجاورة للاستدانة من يهودى يدعى (متاش)، وقد كان اليهودى أكثر تجاوبًا مع على ولد زايد، وسانده أفضل من أهله وأبناء قريته. وانتظر على ولد زايد العام القادم لزراعة الأرض وبذر البذور وعندما بدأ موسم البذر ذهب إلى خاله وطلب منه أن يعطيه الثور لحراثة الأرض وبعض الحب المخصص لبذر الأرض، فرفض خاله الأمرين، فصُدم على

ولد زايد لموقف خاله منه فقد كان يؤمل فيه الكثير، فما كان منه إلا أن ذهب إلى اليهودى الذي سبق له مساعدته فشكا إليه حاله وطلب منه بعض الحب والمذارى، فأخرج له اليهودى الثور والبذور وما يلزمه للحراثة دون تقصير، فأنشد على ولد زايد يقول فى مدح اليهودى وذم خاله:

ما صحبة إلا لمتاش .... ما صحبه الخال هى لاش

أدى الحبوب والمذارى .... وأخرج من الصبل نواش

بمعنى أن صحبة اليهودى متاش خير من صحبة الخال القريب الذي رفض مساعدته، بينما أكرمه متاش وأعطاه الحب والبذور وأخرج له من الإسطبل الثور (نواش)، ومن عادة اليمنيين تسمية الحيوانات، ولم يقصر معه صديقه اليهودى مثلما فعل به أهله وغيرهم من الفلاحين.

يا آكلة بالإصبعى بالخفى تفجعى

يقال إن الحميد بن منصور تزوج بامرأة مدلَّلة، كانت لا تأكل كبقية النساء وإنما تأخذ اللُّقَيمة الصغيرة بطرف إصبعها وتأكلها، ثم تقول لزوجها "لقد شبعتُ"، فيطالبها بمزيد من الأكل خوفًا عليها من الجوع أو المرض. وكان يستغرب كيف تعيش وتتحمل الجوع رغم أن كل شىء متوفر! حتى جاء فى يوم من الأيام على ولد زايد فى زيارة إلى صديقه الحميد بن منصور، فشكا الأمر إلى صاحبه فقال له على ولد زايد: لا تصدقها فهى تأكل بأصابعها كلها بالخفاء دون أن تعرف، وقال له: إذا لم تصدقنى فراقِبها واختبئ لها وستشاهد ما قلت لك.

فجاءت المرأة بالغداء إلى الحقل وقال لها الحميد بن منصور: اجلسى وكلى معنا، فجلست وتناولت لقمتين بطرف إصبعها، ثم قالت إنها قد شبعت، وعادت إلى المنزل، فقال على ولد زايد للحميد بن منصور: اتبعها سرًّا وسوف ترى ما قلت لك، وخذ معك بعض الخضراوات من المزرعة حتى إذا كشفَتْ أمرك قلتَ لها إنك جئت لتعطيها ما

تأكله. فاقتلع بعض أشجار من الخس[1] وتبعها إلى المنزل وراقبها من (المقطور)[2] فوجد أنها قد قربت صحنًا كبيرًا من الطعام واقبلت عليه تأكل بشراهة وتقول: يا رب لا تحرمنا من نعمك. فرمى لها ورقتين من الخس فظنت أن الله استجاب دعاءها فقالت: يا رب أعطنى أكثر، فرمى لها مزيدًا، فأكلتها وقالت: خصور يارب خصور بمعنى زدني يا رب خصار زدنى أكثر، فرمى لها بشجرة أخرى فأكلتها، فناداها من المقطور وقال لها: "يا آكلة بالإصبعي... بالخفى تفجعى".

فعرفت أنه هو واستقام أمرها وأصبحت تأكل معه كل يوم كما يأكل بقية النساء.

هروب ابنته مع البتول

تقول الحكاية ان ابنة علي ولد زايد والتي كانت تدعى (بدره) أحبت البتول الذي كان يحرث لوالدها الارض وعشقته حتى أصبح بينهما علاقة العشاق [3] ولم يكن أحد يعرف بذلك من اهلها وفي يوم من الايام دعى والدها البتول إلى العشاء معه في المنزل وبينما الجميع منشغلون بالأكل قال علي ولد زايد:

ما احلا البرابر على البر

وقالت ابنته:

ولحم على اللحم يجبر

وقال البنتول:

وجعد على الجعد يخمر

(١) نوع من الخضراوات يتناول بجانب الطعام الرئيسى.

(٢) هو منفذ الإضاءة فى سطح المطبخ، يشبه "الطاقة" ويسمح بدخول الضوء والهواء إلى المنزل.

(٣) – هذه الحكاية من الحكايات التي يشكك البعض في حقيقتها كون الحكيم علي ولد زايد كان من العقلاء واصحاب الاخلاق الكريمة فكيف تعشق ابنته أحد وتهرب معه كما سنرى في الحكاية.

وكانت هذه الابيات رمزية بين البتول ومحبوبته ويقصدون بها لقائهم بعد العشاء وفعل مايفعله العشاق ولكن الجده فهمت المقصد لحكمتها وقالت:

عشي البتول ودهر

ترمز إلى علي ولد زايد بمعنى (اطرد البتول بعد العشاء)

ولكن الفتاة والبتول فهموا الرمز ايضا فاتفقت مع البتول على غفلة على الهروب ليلاً والزواج في مكان بعيد ليكتمل حبهما.

فهربت مع البتول فشاعت القصة بين الناس أن بدرة بنت علي ولد زايد هربت مع البتول الذي يعمل مع والدها وكانت بلدة البتول كما يقال مدينة العدين في محافظة إب فشك والدها انها هربت معه إلى هناك فاحتار في امره وبينما هو يعمل في اليوم الثاني في الحقل مرت بجواره فتيات من صديقات الفتاة وهن يتحدثن ويضحكن بصوت عالي ويسخرن منه لانه يعمل بعد هروب ابنته مع البتول الذي كانت تحبه فرد وراء الثور يهجل ويقول:

يقول علي ولد زايد

بدرة تعشت بمنكف [1]

وصبحة بالعدينه [2]

وانتين يابيض منكف

كثر الكلام قليلنه

والله ياراس بدره

(١) قرية في محافظة إب – وسط اليمن وهي كما يعتقد الكثير من الباحثين بلد علي ولد زايد حيث تكرت في أشعارة وهي حالياُ تابعة لمدينة يريم محافظة إب.

(٢) العدين – قرية في محافظة إب – وسط اليمن ويقال ربما محافظة تعز حيث كانت تسمى عدينه. بضم حرف العين أولها..

ما اعذر لكن ماترينه

ويقال في اليوم التالي اختفى علي ولد زايد عن الانظار وذهب إلى مدينة العدين وتكر بملابس يهودي يبيع حاجيات المنازل حتى وصل إلى ابنته فقطع رأسها ليدرأ العيب الذي حل به بسببها وعاد به إلى أهل القرية ليفي بوعده لاهل القرية وللبنات التي سخرت منه.

وهذه الحكاية يعترضها الكثير من النقد والنكران من قبل محبين حكيم اليمن علي ولد زايد لما فيها من الاحداث المخالفة لما عرف عن هذا الحكيم وعن عائلته الكريمة والحكيمة ولكن لا يمنع من ان تكون ربما نسبت اليه وربما لم تكن له وربما العكس ولكن جميع الاراء واردة.

مجموعة من حكم وأشعار علي ولد زايد

يتداول الناس الكثير من حكم وأشعار وأمثال علي ولد زايد وهذه الحكم يحفضها الكثير من الناس وخاصة كبار السن والفلاحين باللهجة العامية ونظرا لشهرتة ربما نسبت إلية بعض من هذه الحكم وقد تختلف في صيغتها من مكان إلى اخر ومن موضوع إلى آخر فمنها النصائح ومنها العبر ومنها معالم للزراعة وغير ذلك وقد حرصت على تدوينها كما تنطق الابيات منفردة بشكل امثال ومنها ما يجمع احيانا على شكل اغاني ومنها ما هو غير مرتب نظراً لصعوبة ترتيبها وجمعها في قصائد منفصله بعنوان واحد عدا البعض مما يحفظه الإخباريون بشكل مكتمل من قصائده وليس شرط ان تكون بقية الأبيات بنمط القصائد فقد اوردتها مجتمعة ومتفرقة أحيانا واليكم بعض من الحكم التي اصبحت أمثالا تقال في مواقف عديدة على مر الزمن:

يقول علي ولد زايد

ما يجبر الفقر جابر .... الا البقر والزراعة

والا جمالا تسافر .... تقبل بكل البضاعة

والا مره من قبيله.......... في الورع والقناعة

تدبر الوقت كله .... كأنه لديها وداعه

تجي على وقت علان [1] ... والشبع وقت المجاعه

يقول علي ولد زايد ..... لا رزق ياتي لجالس

الا لأهل المغارس ...... ومن قرأ في المدارس

....

يقول علي ولد زايد

ماريت مثل الزراعة.... ماريت أنا مثلها شي

الوقت كله متألم........ غير المذري لها أوقات

من لم على البيض يبتل... ومن لم يغلس ويبكر

لا بخت له في الزراعة..... ذي ما يشتِّي ويخرف

ياذيب إذا كنت حاذق .... بتل في وسط مالك

يالله لا احنا نسافر........ ولا معانا تجارة

تجارتي عوج الأعرام..... والغرس بعد العمارة

بتلة على ثور زاحف..... أخير لي من تجارة

كلين سرح تبت ماله..... وأنا على الباب جالس

عين إلى كل الأبتال..... من يبكر أو من يغلس

(١) علان – العلان –: هو موسم الحصاد باللهجة العامية في اليمن ويأتي قبل موسم الشتاء حسب الأشهر الحميرية اليمنية القديمة .

ما شغب إلا من ازوع.... من علفه وسط بيته

والحب مخزانه أرجع....

ياعين لا غرك الله..... لا خُضرة إلا على ماء

إما على غير سرَّاح.... وإلا على بير حوما

جهم العنب في خروجه... ما بين كرمة وعنقاد

يا جولبه قولي لأهل الأعناب... ذي ما يلقِّح ما يذو التوكَّاب

قبس العنب في حد عشر... والسب تبدي كرومه

ما ينفعك طول مسقاك... إذا الليالي جديبه

سطحه من الماء غنيمة .... إذا قد نويت تشرب

فبارد الماء سمينه

أعرام مالي حصونه....... إذا نزل سيل بالليل

أمسيت سالي شجونه.... طيافة المال عمارة

إذا لقي خُزق عكبر.... وإلا تفقد حرارة

إما تنهنه من الصيد... وإلا تنقي حجارة.

إذا نظرت البارق الكوماني.... أبشِّرك بالسيل يوم ثاني

إينما حلت السبع حليت... التسع لا زن دفا

إلا فهو من حد عشر

إذا لم الخمس تمطر

ما ينفعك ليله ولا شي

نصف السنة تسعه أشهر

والنصف الآخر ثلاثة

التسع والسبع والخمس

تِبان فيها العيافة

لا سمن فيها ولا بر [1]

الله يجمِّل ويستر

يا غارتاه يالثريا

معالم الصيف زلت

قدمت مالي توخر

وخرت مالي تقدم

مذارة صفو الثريا

تسابق النجم الاحمر

ريح الخريف العوالي

....

ريح الخريف العوالي

والصيف شرقي هليله

نويد بعد الغدا خلف

لا تكرهو يا مذله

(١) السمن — زبدة لبن الأبقار — البر — الحبوب — القمح .

فالصيف مجعارة أرنب

....

يا نجوم العلِب....... يا ناشرات المطمَّة

الذرة مزغبة.......... واليبيبي بيت أمه

يقول علي ولد زايد ....

إذا زحل في العقارب

فالشل يا أهل العقارة

وخذ من العيس [1] بازل

وإنزل نواحي سمارة

أمسى على البدر داره

الشِل يا ولاد عمَّار

لا تمسوا إلا نمارة

قرب جميلك وزهِّب

وإنزل نواحي سمارة

وافعل سلاحك شريمين

ونصف ثوبك غِرارة

معي من الوقت امارة

إذا أصبح أحمر، فهو لغزر المطارة

(١) العيس تسمية عامية تُطلق على الجمال والبعير.

بتله على ثور زاحف... ولا تجداي الاصحاب [1]

مافي النجوم إلا سهيل

أوصيك ياجمَّال لا تسافر

عند مطلع سهيل

أو في مغيب الظوافر

يا لله جارك من مغيب الظافر

عنيت الأول ما عنيت الآخر

الليل بارد، والنهار هواجر

....

يقول علي ولد زايد

لقيت أنا اليوم غله

بين العِساس المُظِلة

شبرت شبرين مطلع

وإني براس البنية

فمِنهن تجلي الهم

ومِنهِن دار علة

ما يسير المد الأخضر

(١) بتله على ثور زاحف – أي على ثور ضعيف – خيراً من الرجوع للأصحاب الذين يرفضون إعطائك ثور قوي تحرث به أرضك.

إلا بمدين يابس

ولا تمدّح لمحتاج

يصبح على الباب جالس

....

جحر العلب يا محمد

قطِّع سبول العناقيد

يا مقبلة من يعودك

يعودك البر الأحمر

والرازقي في ردودك

الله يسقيك يا عيانة

سيل ما يبرح سنة

البرد حل المصانع

ومسكنه بيت عُلمان

قولوا لمن ماله مدافر النيس

يملي مسبه ويسير جبل تيس

يدي سباعي للحرور والخيس

....

عواقب البرد الأخلاق

هبت نوايد المنضح

وصلبة كل ناضح ومارح

وفي النصائح للأبناء يقول:

يقول علي ولد زايد

ابني وياقرة العين .... معي لك أربع تواصي

وزايد أربع وثنتين ....الاوله احذر الدين

الثانية في عيالك ..... خيول من حر مالك

الثالثه في سلاحك ..... صوتك إذا ابتاع باعك

الرابعه لا تنافق .... خلي ضميرك ضمارك

الخامسه لا تزاحم..... لو يولوا من حلالك

السادسة لا تخاصم.. سامح وراجع خصالك

السابعة كن مع الناس.. يصلح مع الناس حالك

الثامنه المال عنك .... فسمعتك راس مالك

التاسعه هات أذنك .... أغلى من المال علمك

وانفع بذا العلم غيرك .... والاغلى منه فعالك

والعاشرة يا أحمر العين .... لو تبصر الكلب ينبح

خليه وإمشي في حالك.

يقول علي ولد زايد

اوصيك يابني محمد... اوصيك باربع وصايا

الاوله بر نفسك .... واخرج من الصوت الأول

والثانية في دخيلك ... وزع بعيشه وعجل

والثالثه ابن عمك .... قاتل معه قبل يقتل

والرابعة حرمة الويل .... طلاقها قبل تحبل

ياولدي يامحمد ..... يا ألذ من قال ياباه

امسيت باربع قضايا ... مايدي العي ماهي

الاوله ياجماعه

مالي من الدهر ساهي. مالي سوا عفو ألهى

والثانيه لودرينا ... قدمت مالي تجاهي

والثالثه ملك الموت ...يجي والانسان لاهي

والرابعه ياجماعه ... البخل شر الدواهي

ويقول في نصائح آخرى ....

الدهر ضربة بضربه .... والضرب فوق المساكين

لو يوم تمطر سبايا .... اسبوع تمطر سكاكين

الدهر صولة وجولة ... الظلم قد صار دوله

والحكم للشعب مقلوب ... والكل غالب ومغلوب

من ينهب اليوم تبه .... يبكر الصبح منهوب

الدهر قلبه بقلبه ... أيام خبزه وحلبه .... وايام فته وشربه

وايام نشبع ونفجع ....وايام نجوع ونأمن

لا عيب في الدهر كله ... فالدهر مسلم مسالم

والعيب نظلم ونُظلم ....ونحسب الدهر ظالم

....

يقول علي ولد زايد.... يا غبنه ثلاثه غبون

الغبن الاول: – من جارت عليه الديون

الغبن الثاني: –من قلت رجاله يهون

الغبن الثالث: – من فارق كحيل العيون

....

يقول علي ولد زايد

الجيد من صان نفسه .... من الحجج والمناقيد

قتلت خالي بعمي................. خوف العير والمناقيد

من قابص الناس يقبص...........ولا قبص ما يقول آح

وان كان لك جار مؤذي ....فالصبر والله يزيله

....

وفي الأماكن يقول:

يقول علي ولد زايد

ما في المدن غير صنعاء.... وفي البوادي رصابة

قُراشها ذي تروِّح.......... تراه مثل السحابة

ما في القُرى مثل حده .... في شرقها والمغارب

وقضبها للمهارة........... والبقرات الحوالب

ماريت شي مثل حَيكان... أو مثل ضيعة عوايش

المِسبلي يشبع إنسان..... والتِلم يدِّي غرارة

الجاملي في عذيقه.... والبُن في وادي أخرف

أما الشعير في المداره.... والبر في وادي أحور

ما مثل قروا ومسور.... والسِّر لو كان يمطر

وذاك سعوان الأغبر.... يسقيك يا هيمان الأخضر

أنا من الدهر ما خاف.... معي ميه غرس حبله

الرازقي إذا بله الماء...... والحاضنة ذبل الأطراف

والمسقوي لا ترده.... إلا على ذب واخراف

ظفار عالي المناظر.... ذي دورها في سواده

مثل النجوم السوامر

لا رعى الله قُباتل.... ولا رحم من بناها

ذريت بتسعة وتسعين.... جِت المية لا سواها

ومن خباثة قُباتل.... سوَّى المساجد وراها

....

يا أهل العُبر يا أهل مسور

يا أهل الغروس الرواجي

يا أهل الضميد السوارح

اهجاجها صرصريه

يا أهل الجِرب عوج الأعرام

تِشرب من أول نهيِّه

ما هالني مثل حيكان

أو مثل رقَّة عوايش

والا العميس تحت عِزان

والحلحلة تحت نيسان

ووادي ذي قاسم أحيان

والواسطة واليونيث

وذي علي تحت ضوران

لو خيروني بالمُهلا

غرس في وادي بنا

وإلا مية بكره بموزع

مطلع سنّ الربع

لو خيروني به بلاد أسلع

وزادوا لي رِمَع

ما أخترت غير ذا المولع

يا الذي حبك قطع

....

يا ليت جهران قفوعة

وغيل يكلا مرق ثور

والحيد الأحمر حوايج

....

. ويقول عن وادي السحول في محافظة إب.

....

إن كنت هارب من الموت.... ما أحد من الموت ناجي

وإن كنت هارب من الجوع.... عليك بسحول إبن ناجي [1]

وفي الحيوانات يقول:

لا تسهنوا يا شلافيت

إن الزراعة دليِّه

تريد ثورين جيدين

وبيت دافي وحِيَّه

....

لولا البقر ما ركبت عمايم

ولا بني مسجد ولا دعايم

ولا طلع باشا من التهايم

....

إتلم بمدين وإلحق كسرين

واعلف طليين

إن جين إعنين

(١) سحول ابن ناجي هو منطقة وادي السحول شمال محافظة إب – وهو وادي خصب كثير المحصول خيراته لا تنقطع.

وإن راحين ما يفقرين

....

لا تجعل الغنم رأس مالك

ولا تِخلها من ديارك

خُبر البقر تحت الاهجاج

وابتالها في عباصر

ما خُبرها في الحويِّه

....

قبحي لمن ليس يملك

لا جاه ماضي ولا مال

ولا غنم في الزريبة

يبيع منها ويكتال

....

القضب سلطان الأبتال

ثور القبيلي حصانه

قم يا علي غدِّ الثور [1]

ولا تميل من قُباله

والله ما ابيع ثوري

(١) غد الثور – أي أطعمه الغداء وباللهجة العامية تُحف الياء وتشدد الدال بالكسر.

ما دامت الريح تِقلِب

شرقي وقبلي عوالي

....

بيض البقر مثل الأشراف

والحمر مثل السلاطين

والسود ما طاب منها

مثل العبيد المماليك

....

الثور إذا زاد بنانة

على ضويِّه فقد جار

يا ثورنا طال عمرك

عمر الهلال اليماني

في آخر الشهر شيبه

وأصبح ولد يوم ثاني

....

يا صاحبي يا رفيقي

هيا معي قفر حاشد

ندِّي من البقر البيض

سود النُخر عوج الأكتاف [1]

....

نَخس البتول ينفع الثور

يا من معه ثور حاسِر

يعدي من الحرَّ: يا باه

من سرَّح البيض روَّح

أيضاً، ولو كان راعي

يا ليت للعين ما رت

والقلب له ما تمنى

على تبيعين جيدين

وبيت وافي وحيه

والثور قومه بتوله

يا دابتي يا سعاده

يا أمنا بعد أبونا

....

ما يطلِّع الماء من البير

إلا البهام الطرايا

وإلا البنات الصبايا

(١) سود النُخر – أي سواد الأنف حيث تسمى الأنف باللهجة العامية (نُخره) عوج الأكتاف أي عظلاتها قوية.

أما الجعير حق طلحة

حُميمه طارت البير

يا سافع الحق وراها

....

هبِّت لقاح الصغيرة

وعاد زرعي بوادي

أما لقاح الكبيرة

مقربة كل وادي

....

الضان خير المواشي

ذي لا تعشى ولا شي

إذا برق بارق الصيف [1]

أمست حبالى وناشي

وإن برق بارق الضيف

أمست قدوره رواسي

وإن برق بارق الخوف

أمست بروس العشاشي

(١) تتساقط الأمطار على اليمن في موسم الصيف وليس الشتاء وهو هنا يقصد إذا أبرق بارق الصيف أي هطلت الأمطار كانت الحيوانات خير معين للرجال في العمل في الحقول.

من بذرها السمن والصوف

ومشربات الكباشي

ولا تغيب شمس يومه

إلا ومن بذرها شي

....

الذيب لو كان يعرف

دبر أموره وقيَّس

الذيب ما ياكل الشاه

إلا إذا الراعي أهيس

....

يا باديه يا مطلة

من راس نوبة بهران

ما شان ذا الصوت ما شان

قالت لنا صوت راعي

الذيب يعدى على الضان

....

يا جاريه قولي لسيدي أحمد

لو ما البقر ما أحد طلع على حد

يا جاريه ما جَّود الله مولاش [1]

سار اليمن يا جاريه وخلاش

....

يقول علي ولد زايد

ياثورنا طال عمرك .... طول الهلال اليماني

في آخر الشهر شيبه .... وأصبح ولد يوم ثاني

ياضيعتك يامزوج .... إذا الشريك ثوره اعوج

وان صاحبك مثل روحك ...... والا فلا كان صاحب

....

خُبر البقر تحت الاهجاج

ماخبرهن في الحويه

يقول على ولد زايد

ذي مـــا يغـــارِم ويغــــرم...له المنايا تشيله

كثر الرجاله نذاله – من اجل شبرين

من المال أطلقت وادي شلاله

يقول علي ولد زايد

من فقر ليله اصبحت سارق وزاني وحلاف [2]

....

السَّرق يا مِهرَةَ الويل.... إذا خِفي كيف لا بان

يقول علي ولد زايد اول الحرب عدامه

ووسطها غرامه – واخرها ندامه– وبعدها السلامه

الحرب لابات ليله ... امست حباله تناوي

وإن حمي بعدها يوم ... أمست حباله تفاوي

(١) مولاش – أي مولاك وباللهجة العامية لبعض مناطق اليمن مثل صنعاء وبعدان محافظة إب وغيرها يستبدل الكاف بحرف (ش)

(٢) ورد في هذا البيت حكاية سبق وأن أوردناها وتتحدث عن حاجته في ذات ليله فأتهمنه نسوته بالسرقه والزناء والحلف.

يقول علي ولد زايد:

حربي وحرب ابن عمي .... مثل الوجع في الصوابر

أو مثل مقرانة السبع ...... ما بين بجمه وعاصر

....

يقول علي ولد زايد:

العصر عصر المشايخ

من عاصر الشيخ يُعْصر

من كان شيخه غريمه

غرامة الشيخ مَعْبَر

الشيخ لو شاف تبِّه

قفز عليها وكوّر

وقال هذي نصيبي

وشخّ فيها وسوّر

....

يقول علي بن زايد:

لا تأمن الدهر لو طابْ

أفعل على الحب بابينْ

أما العلف سبعة أبوابْ

يا من بزى ولد غيره.... يخرج ودمعه همولا

ومن زرع مال غيره..... يخرج وفيه السبولا [(١)]

(١) من هذه الأقوال ما جمع من كتاب عبد الله البردوني فنون الأدب الشعبي وكتبه الآخرى وبعض كتب الأدب الشعبي في اليمن وهي كثيرة في اليمن ومنها ما جمع من الرواة مباشرةً.

الفصل الثالث

حكايات التهذيب والحكمة



تمهيد

نسج اليمنيين الكثير من الحكايات التى تدور حول موضوعات يبدو الهدف من ورائها الحكمة وترسيخ القيم النبيلة والتعامل وتهذيب أبناء المجتمع الأخلاق الكريمة، وقد تناقلت الأجيال هذه الحكايات المتنوعة على مر العصور، فنجد منها ما يدعو إلى حسن التعامل مع المجتمع المحيط بالإنسان، ومنها ما يدعو إلى حسن التعامل مع الأرض والبيئة والحيوان ومع النفس وهكذا فكان لا بد لنا من وقفة فى هذا الفصل مع مجموعة من الحكايات التى تمثل حكمة الشعب فى التعامل مع الظروف والمجتمع المحيط، وأسميناها "حكايات التهذيب والحكمة الشعبية" أى التى تحتوى على الحكمة فى تفاصيلها، والتى تعد جزءًا من خلاصة خبرات هذا الشعب العريق. وقد اخترنا لكم من هذه الحكايات ما نرى فى مغزاه الحكمة والخبرة التى تحتاج إلى شرح طويل وربما إلى كتب تفصل ما فيها من قيم واليكم الحكاية الاولى:

قيمتها كيس بصل

فى يوم من الأيام سمع أحد الرجال خطبة حول تزويج الشباب وغلاء المهور ومايناله الإنسان من الفضل في تسهيل الزواج للشباب، فهو ستر لهن وخير من تركهن بلا زواج. وكانت الخطبة مؤثرة فى الرجل الذي رزق بعدد من الفتيات، فقرر تزويج بناته لكل من يقدر على معيشتهن ولو بأقل الأثمان، وكان هناك شاب يعمل فى بيع البصل، فكان أن صادف الرجل هذا الشاب، فسأل الناس عنه فقالوا إنه شاب لم يتزوج بعد، فطلب لقاءه على انفراد وعرض عليه الزواج بإحدى بناته، فرد عليه الشاب بأنه لا يملك المال لدفع المهر، فقال له الرجل: فماذا تملك إذن؟ فقال: لا أملك إلا هذه الأكياس من البصل، فقال له الرجل: سوف أزوجك إياها بكيس من البصل، فوافق الشاب وفرح فرحًا شديدًا [1].

(١) سمعت هذه الحكاية على لسان والدي حفظه الله وآطال في عمره.

ومرت الأيام، وقررت الفتاة زيارة والدها وطلبت من زوجها أن يرافقها إلى القرية، فاستأجر لها جملاً تركبه مسافرة إلى والدها، فلما وصلت إلى طريق ضيق يهوي بين الجبال انزلق الجمل فى الطين، فنصحه الناس بأن يُنزِل زوجته من الهودج كى لا تسقط زوجته فى سدرة الجبل فى حال وقع الجمل، فرد عليهم ضاحكًا: وإن سقطت فى الجبل، فمثمنها كيس بصل، فأسرت الفتاة ما سمعته وأوصل الأشخاص الذين نصحوا الشاب الخبر لوالدها قبل وصولة. فلما إن وصلت الفتاة إلى والدها كان قد علم بما حدث، فطلب من الشاب طلاق إبنته والمغادرة وقال له موبخاً: أنا لم أعطك إياها بكيس البصل، فهى أغلى من الذهب. ولكن هو مش منك ولكن بسبب الفقي وخطب الجمعه حقه ... فلم يكترث الزوج وطلقها وذهب، وندم والد الفتاة على فعلته وعرف أن التقليل الزائد من قيمة الشيء يجعل التفريط به سهلاً.

كيدهن عظيم

يقال إن رجلاً كان دائمًا ما يسمع عن كيد النساء، فقال إن كيد الرجال وذكاءهم أعظم من كيد النساء وذكائهن، وحدثته نفسه ألا يتزوج قبل أن يعرف كيد النساء كى يحترس منهن، فقرر أن يهب نفسه لذلك وأن يكتب فى كيد النساء كتابًا يفيد به غيره، فقرر أن يعمل دَلالاً فى بيع الملابس والأقمشة فى القرى. وكان كلما التقى بالنساء ندد بالمقولة التى تقول إن كيد النساء عظيم، ويقول لهن إن كيد الرجال أعظم [1].

وذات مرة كان يتنقل بين القرى ليبيع بضاعته فمر ببئر فى قمة أحد الجبال تملأ منها الفتيات الجرارَ بالماء لتعود بها إلى القرية، وكان قد أصابه العطش الشديد فذهب إلى الفتيات وطلب منهن أن يغترفن له شربة ماء، وكانت إحدى هؤلاء النسوة قد سمعت به وبما يقوله عن كيد النساء، فقالت له: أأنت من يقول إن كيد الرجال هو الغالب وليس كيد النساء؟ فقال لها: نعم. فأعطته كوب الماء وأمهلته حتى شرب

(١) – وردت الحكاية في أكثر من صيغة على لسان الرواة وتقال عند الحديث عن مكر النساء.

وصرخت بأعلى صوتها تنادى أهل القرية: أنقذونا! النجدة! وما هى إلا لحظات حتى أقدم الناس يُهرَعون إلى الجبل ومعهم أسلحتهم وعِصِيّ

هم لإنقاذ نسائهم، فخاف الرجل وحاول أن يهرب فقالت المرأة: لئن هربت لأقولنّ لهم إنك حاولت إيذاءنا فسوف يلحقون بك ويقتلونك. فما كان منه إلا أن ظل يترجّاها أن تتركه فى حاله. فقالت له: انتظر حضورهم وسترى كيد النساء. وقبل أن يصل الناس إلى البئر أخذت وعاءً كبيراً من الماء وصبته على جسد إحدى الفتيات، فوصل الناس متلهفين لمعرفة ما حصل فقالت لهم المرأة: إن هذه الشابة وقعت فى البئر وكادت أن تموت ولولا شجاعة هذا الرجل وإنقاذه لها لكانت غرقت فى البئر وقد كتب الله لها على يده الحياة من جديد وأنقذها. فشكر الناس للرجل وأخذه والد الفتاة إلى منزله وأكرمه ثم عرض عليه الزواج من إبنته تكريمًا لإنقاذه لها، فوافق الرجل وصار يؤمن بكيد النساء وحكمتهن،



لوحة من اعمال الكاتب لفتاة يمنية بالزي التقليدي

التاجر والكنز

يقال إن تاجرًا كبيرًا كان يملك الكثير من المال ولا يعطى منه لأحد، وكان الناس يأتون إليه لطلب المساعدة فيدعى الفقر وقلة الحيلة؛ خوفًا من عيون الناس وخشية أن يسرق أحدهم ماله. وكان له ولد يوافقه على شُحِّه وبخله، فأتفق مع والده ذات يوم أن يدفنا جزءًا كبيرًا من هذا المال فى مكان لا يعرفه أحد، حتى إذا جاء يوم واحتاجوا إلى هذا المال قاموا بإخراجه.

فذهب مع ابنه إلى الصحراء واختاروا ربوة فى مكان مهجور وموحش وحفروا حفرة كبيرة ووضعوا فيها الأموال وأحكموا إغلاق الحفرة بصخرة كبيرة، وأعادوا دفنها بالتراب. وقال التاجر لابنه: لا تخبر بذلك أحدًا ودع هذا الكنز سرًّا بينى وبينك لا نخرجه إلا إذا احتجنا إليه. ومرت الأعوام ومات الوالد، وكان ابنه هذا قد تزوج وأصبح ذا أولاد، فعملوا مع والدهم فى التجارة، وكان أن كسد العمل فى السوق وكثرت عليهم الديون، فأخبر الرجل أبناءه بأنه دفن مع جدهم كنزًا عظيمًا فى مكان من الصحراء قبل سنوات عديدة، وجاء الوقت لإخراجه من ذلك المكان الذي دفناه فيه.

فذهب مع أولاده إلى الصحراء وعندما وصلوا إلى المكان المحدد كانت الصحراء قد تغيرت ملامحها، فقد كان المال مدفونًا بجوار رَبوة واحدة، وقد أصبح هناك ثلاث روابٍ! فقرروا حفر الروابى الثلاث، فبدأوا بالأولى وحفروا حتى وصلوا إلى صخرة كبيرة، فقلبوها فوجدوا تحتها رجلاً عجوزًا مدفونًا ويده تمسك برأسه، ولا يوجد بجانبه سوى لوح صغير من الذهب مكتوب عليه بلغة سبئية قديمة. فأخذوا اللوح ودفنوا الحفرة، وشك الرجل أنها ليست هى الصخرة التى تغطى ما دفنوه من مال.

فذهبوا إلى الرابية الثانية وحفروا حتى وصلوا إلى صخرة مماثلة فزحزحوها فوجدوا تحتها امرأة تمسك بيدها رأسها، وتستر بالأخرى عورتها، ولا يوجد بجوارها شيء إلا لوحًا صغيرًا من الذهب مكتوب عليه كتابات قديمة كاللوح الأول، فأخذوا

اللوح وأعادوا الصخرة وردموا الحفرة.

وذهبوا إلى الحفرة الثالثة فوجدوا صخرة تحتها فتحة كبيرة تشبه السرداب تمتد إلى الداخل، فدخلوا فيه حتى وصلوا إلى بهو كبير فيه الكثير من التماثيل الذهبية والجواهر والكنوز التى لا تحصى، فحملوا الكثير من الكنوز على الجمال وخرجوا من الكهف محملين بكل ما يريدون، حتى إذا جاء وقت التحرك حاولوا أن يُنهضوا الجِمال فاستعصت عليهم، فخففوا حمولتها فاستعصت أيضًا، ثم خففوا حمولتها إلى أن أصبحت كحمولة حمار فأبت أيضًا أن تنهض، فخففوا حمولتها إلى أن أصبحت بثقل ما يستطيع الإنسان حمله بيديه، فرفضت الجمال النهوض. هنا أصابهم الخوف وتملكهم اليأس، وقالوا: إن هذا الكنز ليس من نصيبنا، ثم ارجعو كل شيئ إلى مكانه وعادوا إلى المدينة، واتفقوا ألا يعود أحد منهم إلى المكان ولا يخون أحدهم الآخر.

وفى اليوم الثانى أخذ الطمع أحدهم فعاد إلى مكان الكنز ليأخذ المال فعرف والده أن غيابه لهذا السبب، فخرج مع إخوته إلى ذات الموقع، وعندما وصلوا إليه سمعوا أصواتًا مرعبة تصدر منه، فانتظروا إلى الصباح فوجدوا أخاهم ممزقًا وملقًى بجوار الحفرة، فعرفوا أن الجن قد استولوا على هذه الأرض وأنهم يقتلون كل من يقترب من كنوزهم، فأخذوا أخاهم الطماع ودفنوه فى الصحراء، ثم فروا قبل الغروب حتى لا يحصل لهم نفس المصير [1].

عادوا إلى المدينة وذهبوا بتلك الألواح إلى أحد الحكماء ممن يعرف اللغة القديمة، فقال لهم إن هذه قبور قدماء كانوا يدفنون الميت وبجواره أمواله ويكتبون قصة حياته على اللوح. وأن القبر الأول كان لأول من جاء بعبادةَ الأصنام. وأما المرأة فكانت مشعوذة تسببت فى تفرقة الكثير من الناس، فعاقبها الله بكشف عورتها وعدم قدرتها على لبس الملابس، فماتت وهي عارية تغطى عورتها بيدها. وأما الثالث فكان قبر أحد الملوك الظالمين دفن كل أمواله معه ووضع عليه حراسة من الجن تقتل كل من يقترب منه، وقد

(١) وردت الحكاية في أكثر من مكان بروايات متشابهة من كبار السن.

استولى الجن على كل الكنوز فى ذلك المكان، وما أصابكم فلأنكم لم تساعدوا الناس قبل أن تدفنوا كنزكم؛ لأن الجن لا تأخذ المال الذي يسرى فيه الخير ومنفعة الناس، ولا قدرة لكم على استرجاعه فقد استولوا عليه وضموه إلى كنوزهم وأصابته لعنة ذلك المكان.

الملك والعرّاف

يحكى أنه كان هناك ملك ثرى جدًا لم يرزق بالأولاد رغم زواجه بأكثر من واحدة، وكان هذا الملك محتارًا فى مصير أمواله وأملاكه من بعده، وكان يذهب إلى العرافين والكهنة لاستشارتهم، وكان له صديق عزيز مقرب منه فنصحه هذا الصديق أن يتزوج من أسرة فقيرة، وأنه يرى أن النساء الفقيرات أكثر قدرة على إنجاب الأولاد. فعمل هذا الرجل بنصيحة صديقة وتزوج فتاة جميلة من أسرة فقيرة.

مرت الأيام وأنجبت له هذه الفتاة ولدًا جميلاً ففرح الأب والأم بالمولود الجديد، وفى اليوم السابع من ولادته أقام والده الملك وليمة كبيرة دعا إليها كل أهل المدينة احتفالا بمولد الملك الصغير، فكان الناس يأكلون ويهنئون الملك، إلا أنه كان من بين المدعوين عرّاف لم يشاركهم الفرحة والسعادة، وكان يبدو على وجهه الحزن والاكتئاب، فلما رآه الملك دعاه إليه وطلب منه أن يكشف له الأمر، ولكن العراف رفض قبل أن يؤمِّنه الملك على حياته كى يقول له الحقيقة. فروى له العراف القصة قائلاً: إن هذا الطفل سيقتلك عندما يكبر، ويستولى على الحكم ويتزوج بأمه، وسيأكل لحم ابنه. وأشار العراف على الملك أن يقتل هذا المولود قبل أن تتحقق الأحجية، فعزم الملك على قتل الرضيع وأمر أحد خدام القصر من الحراس أن يذهب به إلى الغابة بين الجبال فيقتله ويرمى به للوحوش.

أخذ الخادم الطفل إلى الغابة لكن قلبه أشفق على الطفل الذى كان ينظر إليه ويبتسم، فقرر ألا يقتله، وقال فى نفسه: سأترك الصغير هنا على صخرة، فإما تأكله الوحوش والنسور وإما ينجو. واصطاد العبد غزالاً صغيرًا وذبحه وأخذ معه القليل من

الدماء فى قنينة ليثبت للملك أنه قتل الولد. [1] وذهب سرب من الغزلان إلى الجبل فوجدت غزالةٌ الطفلَ بين الصخور، فأخذته بدلاً من صغيرها الذي اصطاده الخادم، وأخذت هذه الغزالة تربى الطفل وترضعه بدلاً من غزالها الصغير، حتى كبر الطفل وأصبح يمشى ويعيش مع الغزلان كما لو كان واحدًا منها، ومع مرور الأيام أصبح هذا الولد يتكلم لغة الحيوانات، وكانت هذه الغزلان تهجم على الحقول التى يملكها والده وكان يهجم معها كأنه غزال مثلها، فيأكل من الفواكه والثمار التى فيها وتأكل الغزلان الأعشاب والحبوب.

وكان حراس الملك يخرجون إلى الحقول بين الحين والآخر لمطاردة الحيوانات التى تهاجم الحقول وتأكل الثمار، وذات مرة خرج حراس الملك واستطاعوا صيد مجموعة من الغزلان وأمسكوا بالولد معها، فأخذوه إلى القصر واستعجبوا لأمره، فقد كان يشبه الغزلان فى كل شىء حتى فى الكلام، وكان يكلم الغزلان بلغتها، فاستعجب الملك لأمر هذا الولد وأمر له بمعلم يعلمه الكلام والأكل والفروسية كى يعود إلى حالته البشرية.

وبمرور الأيام تعلم الشاب اللغة والفروسية وأصبح شابًا قويًا يافعًا، وقرر الملك أن يوليه حراسة ممتلكاته، وكان الشاب يحرس الحقول والممتلكات من اللصوص، وفى ذات ليلة مظلمة وممطرة لم يستطع أحد من الحراس الخروج إلى الشاب لإعطائه وجبة العشاء، فقد كان الجو عاصفًا والرياح شديدة، فقرر الملك الذهاب إلى الشاب بنفسه لكى يحمل إليه الطعام، فذهب الملك راكبًا على فرسه إلى الحقل، وعندما وصل إليه سمع الشاب قرعَ الخيل قادمة إليه، وكانت الكلاب تعوى والرياح تهدر بصفيرها فلم يسمع الولد صوت الملك وهو ينادى عليه، فظن أنه لص قادم، فصرخ عليه بأن يتوقف فلم يسمع الملك ذلك من بعيد، فسدد الشاب إليه سهمه وقتله. وفى الصباح الباكر اكتشف

(١) تأثرت هذه الحكاية بقصة سيف بن ذي يزن وإرضاع الغزالة له وكذلك بالقصص الديني كما في قصة نبي الله يوسف عليه السلام وهذا يدل على قدم هذه الحكاية حيث كان التفكير بهذه الطريقة سائداً في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

أنه الملك وعرفت الملكة والجميع بالقصة، فأخذوا جثة الملك إلى القصر ودفنوها، وظل الشاب حارسًا على القصر والممتلكات كما كان من قبل.

ومع مرور الأيام شعرت المرأة بحاجتها إلى رجل يساعدها فى الحكم فعرضت نفسها على الشاب للزواج منها، فوافق الشاب وتزوجها وهو لا يعرف أنها أمه، وهى كذلك لا تعرف أنه ابنها المفقود، ثم أنجبت له طفلاً، وفى اليوم السابع من الولادة قرر الملك الشاب إقامة حفل كبير للمولود الجديد، وكانت الملكة منشغلة عن الطفل بالضيوف فأعطته للمربية لكى تعتنى به، فدخلت هذه المربية إلى المطبخ لمساعدة الطباخين فى إعداد الطعام ووضعت المهد الذى ينام فيه الطفل بجوارها، فصدمه أحد الخدم عن غير قصد فسقط فى إحدى القدور الكبيرة دون أن يراه أحد، وكان هذا القِدر فيه اللحم الذى خُصص للملك الشاب ولحاشيته، فوزع الخدم اللحم على مائدة الملك فكان لحمُ الطفل من نصيب والده، إلا أن الملك أحس بشىء غريب بين أسنانه فأخرجه من فمه فوجد أنه خاتم ابنه الذى ألبسه إياه بيده، فصاح فى الخدم وصاحت الأم عند رؤيتها للخاتم، فذهب الخدم مع المربية إلى المطبخ فلم يجدوا الطفل فعرفت الملكة أنه قد وقع فى القِدر، وتذكرت الأم مقولة العراف الذى قال لها وللملك سابقًا إن ولده إذا لم يقتل سوف يقتل أباه ويتزوج أمه ويأكل لحم ابنه. فشكت فى أمر زوجها واستدعت الخادم الذى أمره الملك حينها بقتل الولد فى الغابة، وأمرته بقول الحقيقة فاعترف الخادم أمام الجميع بأنه لم يقتل الولد، وأنه تركه بين صخور الجبال، فعرفت الأم مأساتها وعرفت أن الشاب الذى تزوجته هو ولدها وقاتل أبيه وآكل لحم ابنه، وعرف الولد أن هذه أمه فتركها وتزوج شابة من المدينة، وأصبح ملكًا خلفًا لوالده.

التاجر والحمال

كان هناك تاجر غنى، وكان قد تزوج امرأة جميلة، وكان يسكن بجواره رجل فقير يعمل حمالاً لدى هذا التاجر الغنى. وكان التاجر يعود إلى منزله فى المساء ويظل مشغولاً بحساب أمواله طوال الليل، ولم يكن يلتفت إلى زوجته أو يتسامر معها، بينما

طان الرجل الفقير يتسامر مع زوجته وتعلو أصوات الضحك والمرح من منزلهم. فكانت تسمعهم زوجة التاجر كل يوم وإذا أتى الصباح أطلت من النافذة فتجد الماء ينضخ من ميزاب [١] منزل الحمال الفقير الذى يغتسل مع زوجته كل يوم. فتسمع خرير المياه كل يوم فتحسد زوجة هذا الفقير على عيشتها، فكانت تخرج إلى جارتها الفقيرة وتجلس معها فترى بيتها مغمورًا باهتمام زوجها بها يداعبها ويضحك معها وكأنها هى شغله الشاغل.

وعلى العكس كانت زوجة الحمال الفقير تنظر إلى زوجة التاجر وتحسدها على الثياب والحلى، وترى أن السعادة بالمال، وتتمنى لو أنها مكان زوجة هذا التاجر الغنى لتحضى بالمال والشهرة [٢].

ومع مرور الأيام بدأت كل واحدة منهما بالتخطيط لخطف زوج الأخرى، فكانت المرأة الغنية تتقرب من الرجل الفقير والمرأة الفقيرة تخطط للحصول على الرجل الغنى، فطلبت الزوجة الغنية الطلاق من زوجها فطلقها، فذهبت زوجة الفقير إلى التاجر وأبلغته أن زوجته تعشق زوجها الفقير فأعجب بها وتزوج منها إنتقاماً لهما. وردًا عليه تزوج الرجل الفقير زوجة هذا التاجر الغنى، وانقلبت الأمور وأصبحت المرأة الفقيرة ترى زوجها مشغولاً عنها لشهور طويلة دون أن يقترب منها أو يهتم بها، وكانت تفتح النافذة فتجد منزلها السابق يشع بالضحك والمرح، وترى ميزاب الحمام كل يوم يصب الماء بعد كل غسل إلى الشارع، فتذكرت زوجها الفقير الذي كان يهتم ويعتنى بها، وعرفت لماذا لم تبالِ جارتها الغنية بالمال، وحينها عرفت أن السعادة ليست بالمال، فندمت على تخليها عن زوجها لتلك المرأة التى عرفت معنى السعادة.

(١) الميزاب عبارة عن ماسورة كانت تستخدم قديما لتصريف الماء من الحمّام إلى سور المنزل أو الحديقة المجاورة له وهو ماء حوض الغسل فقط.

(٢) وردت الحكاية على لسصان الوالد حفظة الله مع زملاء له في جلسة مقيل وتقال في مناسبات الحديث عن النساء.

أربعين صديقًا

كان هناك تاجر مسنّ لديه ولد شاب يستكثر من الأصدقاء، فكان كل يوم يأتى إلى والده ومعه صديق جديد، ويستغرق أكثر وقته فى صحبة أصدقائه منشغلاً بهم عن مساعدة والده فى التجارة، فضاق صدر الوالد بابنه الذى يخرج كل يوم مع صديق ويترك والده المسن يعمل وحده فى الدكان.

وكان الوالد رجلاً حكيمًا، فسأل ولده يومًا: كم صديق لديك يا ولدى؟ فأجابه الولد: أربعون صديقًا. فقال له: يا بنى أنا عمري أكثر من ثمانين عامًا وليس لدىّ سوى خمسة أصدقاء فقط، فاستهزأ الولد بكلام والده وضحك منه، وقال: لدىّ أربعون صديقًا كلهم أوفياء، فزمانكم غير زماننا. فقال له والده: هل تراهن على ذلك؟ فوافق الولد، فقال له الوالد: سنختبر أصدقاءك فان كانوا أوفياء كان لك ما تريد من صداقتهم، وإن كان كلامى صحيحًا فعليك بطاعتى فى كل ما أقول، فوافق الولد، فقال له والده: سوف أترك لك التجارة وما عليك سوى أن تبلغ أصدقاءك أن والدك عليه الكثير من الديون ما أدى إلى إفلاسه ودخوله السجن، وأنك أصبحت المسؤول عن تسديد هذه الديون، وأنك بحاجة إلى مبلغ من المال يُنجِدك قبل أن يتم إقفال دكانك وإدخالك إلى السجن مع والدك [1].

فشرع الولد فى الخطة وأرسل إلى أصدقائه الأربعين يستنجدهم، فجاء أولهم وقال: أنا مستعد أن أدفع عن صديقى كل ما عليه من الديون. وجاء الثانى وقال: أنا فقير لا أملك المال، ولكن يمكننى أن أقوم بالعمل معك مجانًا إلى أن تسدد ديون والدك. ولم يحضر بقية الأصدقاء واعتذروا بأنْ ليس لديهم أى قدرة على مساعدته، فتهربوا منه ولم يعيروه أى اهتمام. فعاد الشاب إلى والده وحدثه بالخبر، فقال له والده: إن صديقك الذى قال إنه سيدفع عنك كل المال هو صديق كامل، وأما الصديق الذى قال إنه سيعمل

(١) وردت الحكاية على لسصان الوالد حفظة الله وتقال في مناسبات الحديث عن الوفاء.

معك فهو نصف صديق، فتمسَّكْ بهذين فقط واترك البقية. فعرف الولد أنه لا يملك إلا صديقين فقط من بين الأربعين صديقًا.

إلى فمي

يقال إنه كان هناك رجل منحوس لا يعرف سبب نحسه وشقائه، يعمل طوال العام ويعود إلى زوجته وأبنائه أيامًا قليلة من السنة، ثم يسافر للعمل مرة أخرى ولا يبقى مع زوجته وأبنائه ولو لشهر واحد فى السنة، وعندما يسأله أهله عن سبب مغادرته بسرعة يقول (والكيس البر)، وهو يقصد كيس القمح الذى يوفره لأسرته.

وذات مرة عاد بعد غياب طويل وأمضى أسبوعًا فقط مع أهله، ثم سافر ثانية، وبينما هو عائدًا للمدينة للعمل التقاه رجل من كبار السن فى القرية معروفٌ بالحكمة فسأله مستغربا: أين أنت ذاهب بهذه السرعة؟ فقال الرجل: عائد للعمل فى المدينة، فسأله قائلا: إن لأهلك عليك حق وإن لزوجتك عليك حق (يقصد أنه لم يستقر معهم ولو لأيام قليلة فهذا من حقها عليه). فرد عليه: كيف أجلس معها؟ ومن يوفر (الكيس البر)؟. فرد عليه الشيخ قائلاً: ارجع إلى أهلك وسوف يبارك الله لك فى رزقك بدعوة زوجتك لك بالخير، أما إذا سافرت فسوف تصيبك دعوة شر من الزوجة.

لكن الرجل أعرض عنه وواصل السير إلى المدينة، فناداه الشيخ ناصحًا: ليس المال كل شيء وإن أصابتك دعوتها ستخسر كل شيء.

لم يلتفت له الرجل وقال: عجوز خرِف. وواصل المسير، فلما وصل إلى المدينة وجد ثلاثة إخوة يتشاجرون لمن تصير الجنبية التى ورثوها عن والدهم، فقال أحدهم: إن ثمنها مائة وخمسون ألف ريال. وقال الآخر: لا أملك المال لشرائها. وقال الثالث: نبيعها ونقتسم ثمنها. فتدخَّل الرجل مصلحًا بينهم فعرضوا عليه شراءها، فقال: ليس معى إلا خمسون ألف ريال وهى مدخراتي التى اشترى بها البضاعة، فوافقوا على الثمن وفرح الرجل بما حققه من مكسب، واتجه إلى الطرف الآخر من السوق لبيعها فى سوق

الجنابى، وعندما وصل إلى تجار الجنابى قالوا له: لا تساوى ألف ريال فهى نوع ردىء لا قيمة له، فمر على التجار واحدًا تلو الآخر وكلهم يقولون مثل سابقهم، فعرف أنه وقع فى الفخ وأن البائعين كانوا لصوصًا وخدعوه، فقال فى نفسه: سوف أشتري بما تبقى من مالي جملاً وأعمل حمالاً عند التجار حتى أعيد جمع مال لشراء البضاعة، وذهب إلى أحد التجار وعرض عليه نقل البضائع فقال له التاجر: أريدك أن توصل أكياس السكر هذه إلى شيخ تلك القرية التى على قمة ذلك الجبل غدًا، ولكن عليك أن توصلها سليمة وتحذر عليها من الأمطار فى الطريق، وأنت مسؤول عنها. فأخذ الأكياس اليوم الثانى باكرًا وانطلق إلى القرية، وكان الجو صافيا والسماء مشمسة، وبينما هو فى الطريق إلى القرية تجمعت السحب وبدأت السماء تهطل بغزارة، فحاول تغطية السكر إلا أن الأمطار اشتدت أكثر وأتلفت جزءًا كبيرًا من السكر، فلما وصل إلى شيخ القرية وجد السكر مبللاً، وقال له: لقد أفسدت السكر وقد أبلغنى التاجر أنه اتفق معك على أنك المسؤول عنه إذا تلف. فما كان من الشيخ إلا أن حكم عليه بدفع قيمة السكر فوجده مفلسًا فحكم عليه بأن يترك له الجمل مقابل السكر، وأشفق الشيخ لحاله وأعطاه حمارًا بدلا من الجمل وتركه يعود إلى المدينة.

وعندما عاد إلى المدينة تركه التاجر يعمل بحماره لنقل البضائع الخفيفة إلى القرى القريبة، وفى يوم من الأيام دعاه أحد الفلاحين لتناول الغداء معه، فترك الحمار بجوار المنزل وذهب معه لتناول وجبة الغداء، وبينما هو يتناول الغداء سمع صراخ فلاح آخر يستغيث من الحمار الذى أكل ما فى مزرعته من قمح. فتحاكم معه إلى شيخ القرية فحكم عليه بدفع مبلغ من المال مقابل ما أكله الحمار من زرع، ولأنه لا يملك المال فقد حكم عليه الشيخ بدفع الحمار للفلاح تعويضًا عما خسره، وحينها لم يكن بيده حيلة إلا الرجوع إلى التاجر والعمل معه حمالاً على ظهره بالأجرة اليومية [(١)] .

(١) وردت الحكاية على لسصان الوالد حفظة الله مع جار لنا في جلسة مقيل وتقال في مناسبات الحديث عن إغتراب الرجال والعمل بعيداً عن الأهل.

وبينما هو يعمل فى نقل البضائع وتحميلها للزبائن خدعه أحدهم وأخذ بضاعة زائدة عما طلب وفر هاربًا، ولم يكن هناك من حل أمام التاجر إلا أن حكم عليه بالعمل لشهر كامل بدون أجرة مقابل ما فقده من البضاعة، وهكذا كان الرجل يعمل فى حمل الأثقال ويتذكر مقولة الرجل الحكيم الذى قال له: سوف تصيبك (دعوة الزوجة) فخاف من شر هذه البشارة وتوقع مصائب أكبر من التى مرت به فقرر العمل حتى آخر الشهر لسداد دينه والعودة إلى القرية.

وبينما هو فى طريق العودة إلى القرية استراح قليلاً فوق صخرة بجوار الطريق فوجد عردان أعمى- وهو نوع من الزواحف يشبه السحلية- فاستغرب كيف يعيش هذا العردان الأعمى وكيف يتغذى على صيد الحشرات! وبينما هو يتأمل وينظر إليه إذا به بفراشة تطير نحوه فيفتح العردان فمه فتدخل فيه الفراشة، وما هى إلا لحظات وطارت حشرة أخرى ودخلت إلى فمه، واستمر الحال هكذا حتى شبع العردان ودخل إلى جحره بين الصخور، فاستغرب الرجل كيف يأتي رزقه إلى فمه دون جهد وانطلق عائدًا إلى المنزل وفى ذاكرته قصة ذلك العردان الذى يأتيه الرزق إلى فمه دون تعب، فاستقبلته زوجته وأبناؤه بسعادة وجلس معهم فى المنزل، وظلت زوجته تدبر شؤون المنزل حتى ضاق بها الحال فطلبت منه الخروج إلى العمل فقال لها: إلى فمى، وأشار إلى فمه، يقصد أنه يريد رزقه إلى فمه مثل ذلك العردان الأعمى الذى جاءه الرزق إلى فمه. وهكذا كانت زوجته تكرر عليه الطلب بالخروج إلى العمل كل يوم ويقول (إلى فمى) ويشير إلى فمه.

ومرت الأشهر وزوجته تطلب منه العمل ويكرر لها نفس العبارة فضاق بها الحال فذهبت إلى والدها واستلفت منه حمارًا بغرض تأجيره لأهل القرية ليساعدها فى نفقات المنزل، وفى يوم من الأيام جاء رجل من قرية مجاورة يطلب استئجار حمار للعمل به ليوم واحد مقابل مبلغ من المال، فأعطوه الحمار ليعمل به، وكان هذا الرجل الذى استأجر الحمار قد وجد كنزًا مدفونًا وهو يحفر فى أحد الجبال، فذهب بالحمار إلى

موقع الكنز ووضع الكنز والذهب داخل خُرج الحمار وغطاه بالتراب، وبعد أن أكمل تحميل الحمار تذكر أنه نسى الفأس داخل حفرة الكهف الذى وجد فيه الكنز فعاد بسرعة لإحضارها، وبينما هو فى الداخل تهدم الكهف وانهال عليه التراب ودفن داخله، فما كان من الحمار إلا أن غادر المكان عائدًا إلى بيت صاحبه، فمن المعروف أن الحمير تحفظ الطرق التى اعتادت عليها، فوجدت المرأة الحمار عائدًا وهو يحمل التراب.

وبعد ساعات جاء خبر انهدام الكهف على الرجل الذى استأجر الحمار فقال الزوج لزوجته: أفرغي التراب لنصلح به سطح المنزل مقابل الأجر الذى اتفقنا عليه، فأخرجت المرأة الأكياس وأفرغتها على الأرض لتنقيتها من الشوائب وإذا بها تجد بداخلها الكثير من الذهب والكنوز ما لم يتخيله أحد، فدعت زوجها فقال لها: قد قلت لك " إلى فمى"، رزقي بيجي لفمي مثلما العردان جاءه رزقه إلى فمه، وحكى لها قصة العردان الأعمى، وهكذا جاءه رزق كثير لم يكن يحلم به.



صورة لحيوان العردان الذي ينتشر بين الصخور في جبال اليمن والذي ذكر في القصة

أخطبها واكذب

كان هناك شاب طيب وصدوق، ولكنه كان فقيرًا، فكلما ذهب إلى منزل ليخطب منه إحدى بناته وأخبرهم عن تفاصيل حياته وحالته المادية رفضوا تزويجه، حتى يئس

الشاب من الزواج، فقال له والده: فى الخِطبة القادمة علينا ألا نقول الحقيقة، فأنت سبب عدم موافقتهم لكونك صادقًا فى كل شىء من تفاصيل حياتك، وسوف نذهب إلى قرى بعيدة لا يعرفنا الناس فيها ونطلب يد فتاة من هناك، وعندما يسألك أهل الفتاة عن وضعك المعيشى فلا تتكلم وسوف أتكلم أنا، وإذا كذبتُ فلا تمنعنى بل صدِّق على كلامى وأكد لهم ما أقول حتى يوافقوا عليك وتحصل على ما فتاة نخطبها لك، وبعد الزواج ستحبك ولن تتخلى عنك حتى وأن عرفت الحقيقة. فوافق الشاب على خطة والده ولكنه شرط على والده ألا يبالغ كثيرًا فى الكذب، واتفق معه على أنه سيقوم بجذب طرف قميص والده فى حال بالغ كثيرًا فى دعواه لكى ينتبه.

وهكذا ذهب الشاب مع والده إلى إحدى القرى واستقبله أحد أبناء تلك القرية وعرفه على أحد المنازل التى يوجد فيها فتيات للزواج، فاستقبلهم صاحب المنزل وأدخلهم إلى ديوان المنزل، فوجدوا أنه يملك مجلسًا فاخرًا وعرفوا أنه رجل غنى، فخاف والد الشاب من تقديم نفسه دون مبالغة، فسأل والدُ الفتاة والد الشاب: من أين أنت؟ فقال له: من قرية كذا وكذا. فقال له: ما تملك فيها؟ فقال: منزلاً كبيرًا، وأقوم حاليًا ببناء طابق جديد، وسيكون فيه مجلس أكبر من مجلسك هذا بكثير، وسأجعل طوله عشرين مترًا وعرضه ثلاثين. فعرف الشاب أن والده قد بالغ فى العرض كثيرًا فكيف يصح أن يكون العرض ثلاثين مترًا والمعروف أن الأخشاب فى الغالب لا يزيد طولها عن أربعة أمتار! فجذب الشاب طرف قميص والده وهمس فى أذنه وقال: قصِّر العرضَ قليلاً، فقال الوالد: وعرضه عشرون مترًا، فرأى الشاب أن العرض مازال كبيرًا فجذب طرف قميص والده ثانية وهمس له: قصّر العرض قليلاً، فقال الأب: وعرضه عشرة أمتار، فجذب الشاب قميص والده مرة ثالثة وهمس إليه: قصّر العرض أكثر [1].

---

(١) وردت الحكاية على الجار قاسم رحامي حفظة الله في جلسة مقيل وتقال في مناسبات الحديث عن الكذب والمبالغة.

فغضب الوالد من ابنه وصرخ فى وجه قائلاً: لقد زوَّدتها كثيرًا وأكثرت من تكذيب والدك. فرد الشاب على أبيه قائلاً: ومن أين سنأتى لك بأخشاب للسقف عرضها عشرة أمتار؟ فضحك الجميع وقال والد الفتاة: لا داعي للمبالغة يا رجل، أنا لا يهمنى المال بل يهمنى الأخلاق والأمانة أكثر من أى شيء، وقد لمستُ صدق ولدِك وعدم موافقته على مبالغتِكَ فأعجبتُ به لما رأيته لا يرضى منك الكذبَ والمبالغة، ووافقت على أن أزوِّجه واحدة من بناتى.

وتمت الخطوبة على خير وتزوج الشاب الفتاه لصدقه وأمانته.

ما من المكتوب حيلة

يروى أنه كان هناك سلطان غنى له صبية جميلة جدًا اسمها (وسيلة)، وكان والدها يحبها إلى درجة أنه كان يخاف عليها من الخروج خشية أن يحصل لها مكروه. وكان والدها يؤمن بأن بقاءها فى المنزل سوف يحميها من الشرور، وكانت هى دائمة الجلوس عند نافذة المنزل، وعندما كانت تتناول طعامها أمام هذه النافذة يأتى طائر بين الحين والآخر ويحلق أمام النافذة ويناديها قائلاً:

يا وسيلة يا وسيلة .... ما من المكتوب حيلة [(١)]

وبعد أن يتم نشيده هذا يقفز إلى النافذة ويأكل طبق الطعام الخاص بها ويهرب، فأصاب هذه الفتاةَ المللُ وأرادت أن تعرف ما هو هذا المكتوب الذي سوف يصيبها! وطلبت من والدها أن يسمح لها بالخروج فى رحلة طويلة، وأقنعته أنها ستكون بخير وسوف تعود إليه عند إكمال رحلتها. ولأنها ابنته الوحيدة فقد قام والدها بتزويدها بالكثير من المال وأرسل معها بعض الحراس لحمايتها فى جولاتها، فرحلت عن القرية ومرت بالكثير من القرى والجبال حتى وصلت إلى قرى معزولة عن الناس، فكانت ترى القرى المحتاجة فتنفق على أهلها، وتبنى فيها مساجد، وكانت تكتب اسمها على هذه المساجد ثم ترحل إلى قرى أخرى. وهكذا حتى وصلت إلى مدينة فيها سلطان شاب

(١) وردت الحكاية أيضاً في كتاب (فنون الأدب الشعبي في اليمن للبردوني)

يسجن ويأسر النساء الغريبات ويتخذ منهن خادمات فى قصره، فلبست لبس الرجال ودخلت بين الجموع، فلفت انتباه الأمير وجود فتى يملك من الوسامة ما لم يرَ له مثيلاً من قبل، فسأل جنده عن هذا الفتى فاكتشفوا أنه غريب عن البلد، فأخذوه إلى الأمير فتحدث معه، فوجد لديه من الكلام ما يشير إلى أنه ابن عِزٍّ ضائع، فأمر أن يُأخَذ إلى القصر، وأن يجعَلَ مع الغلمان المقربين إليه.

وعندما حل الليل طلب الملك من وصفاء القصر أن يجعلوا له سكنًا بجوار الفتيان والغلمان، فامتنع الفتى وطلب أن يضم سكنه إلى جناح النساء، فاستغرب الملك وأمر أن يسكن فى غرفة بجوار غرفة أمه، وعندما خلع الفتى الملابس التى كان يتخفى بها اكتشفت أم الأمير أن الفتى ما هو إلا شابة جميلة، فأخبرت بذلك ابنها الأمير ففرح وطلب من هذه الفتاة أن تتزوجه لما وجد فيها من الجمال والفصاحة والأدب فوافقت.

وبعد عام من زواجهما أنجبت هذه الفتاة طفلاً، وبعد ولادتها بأيام جاءها الطائر الذي كان يأتيها فى قصر والدها ووقف على النافذة وأنشد يقول لها:

يا وسيلة يا وسيلة .... ما من المكتوب حيلة

وقفز إليها واختطف منها الولد، ثم رشَ مادة تشبه الدم على شفتيها، وفر هاربًا، فانشق له الجدار، ودخل الطائر مع الولد فى الجدار، فصرخت الفتاة فجاء الأمير مسرعًا ليطمئن عليها وعلى ولده، فلم يجد الولد ووجد الدم على شفتيها فشك فى أمرها، وظن أنها قد أكلت الولد، ولكنه تحمل ذلك وسألها عن القصة، فحكت له أن الطائر خطف ابنه واختفى فى الجدار، فتجلد على الحزن وصدّقها.

وبعد مرور عام آخر أنجبت الفتاة طفلاً جديدًا وأغلقت نوافذ القصر خوفًا من الطائر، فجاءها نفس الطائر من النافذة الأخرى وناداها:

يا وسيلة يا وسيلة .... ما من المكتوب حيلة

وخطف الولد ثانية ودخل فى الجدار ذاته ورشَ ما يشبه الدم على شفتيها، فجاء الأمير ولم يجد الطفل ووجد أثر الدم على فمها، فظن أنها أكلت الطفل ولم يستطع تصديقها، واتهمها بأن بها خطبًا ما لا يفهمه، إلا أن والدته كانت تصدقها وتحبها كثيرًا فدافعت عنها وبررت له بأن ذلك ممكن، وأنه من الصعب أن تأكل امرأة أبناءها.

ومر عام آخر وحبلت الفتاة وأنجبت طفلاً ثالثًا وحصل مع الطفل نفس القصة السابقة، ولكن هذه المرة لم يتحمل الأمير ولم يستمع إلى أحد من القصر حتى والدته، وأمر الجنود بسجن زوجته فى غرفة معزولة من القصر، ولم تحزن هذه المرأة لسجنها فقد كانت تريد أن تعرف ما هى الأقدار التى يتحدث بها هذا الطائر، وأرادت أن تتخلص من هذه القصة وتفرغ من تنفيذ هذه الأقدار وتعود إلى والدها. ومرت الأيام فأعلن الأمير عزمه الذهاب إلى الحج ذلك العام، وليلة سفره سأل والدته وكل المقربين إليه فى القصر عما يحبون أن يأتيهم به من الهدايا فى مكة، فطلبت أمه أن يذهب إلى زوجته السجينة ويسألها عن طلبها فربما أفادها ذلك فى الشفاء مما هى فيه، فرق لحالها وذهب إليها وقال لها إنه ذاهب إلى الحج، وسألها إن كان لها طلب تريده من هناك، فقالت له: أريدك أن تشترى لي (حَجَر الصبر ومفتاحَ الفرج).

وذهب الأمير إلى الحج، وبعد أن أكمل حجه وقرر العودة اشترى كل الهدايا وتذكر أصدقاءه وأحباءه ونسى طلب زوجته السجينة، وعندما وصل الحجاج إلى القافلة وحملوا أمتعتهم رفضت الجمال النهوض والتحرك للعودة، فاحتار من فى القافلة لأمر الجمال التى لم تعد تطيع أوامرهم، فنادى عليهم أحد الحجاج قائلاً: ربما كان على أحدكم وعدًا وعدَ به أحدًا ولم يوفِّه، فرفضت الجمال التحرك، فجلس كل منهم يفكر فيما إذا كان قد نسى شيئًا، فتذكر الأمير طلب زوجته السجينة وعاد فى الحال إلى السوق واشترى (حجر الصبر ومفتاح الفرج) وعاد إلى الجمال فطلب الجموع من القافلة النهوض والتحرك فتحركت الجمال وعادوا إلى بلدانهم.

وعند وصول الأمير إلى المدينة وزع الهدايا على كل من وعدهم بذلك وحكى

لوالدته ما حصل معه من أمر الهدية وتوقف الجمال، فطلبت منه الذهاب معها إلى زوجته السجينة لإعطائها الهدية، فجلس مع والدته إلى جوارها فأخذت منه الحجر والمفتاح وقرعت بالحجر على الجدار فظهرت فتحة صغيرة فى الجدار فأدخلت فيها المفتاح فانشق الجدار وخرج منه ولدها الأول وقد أصبح شابًّا قويًا، وقرعت عليه مرة أخرى وأدخلت المفتاح فخرج ولدها الثانى وقد أصبح فتى وسيمًا، وقرعت عليه مرة أخرى وأدخلت المفتاح فخرج ولدها الثالث وقد أصبح طفلاً جميلاً، ثم كررت القرع مرة أخرى ولم تضع المفتاح فخرج الطائر الذى كان يظهر لها كل مرة، ووقع صريعا على الأرض ومات. فنظر الأمير إلى الثلاثة الأولاد وقد أصبحوا فتية فى أحلى صور الجمال والوسامة وهم يشبهون والدَيهم فأخذهم جميعًا إلى القصر وطلب من زوجته أن تحكى لكل من فى القصر قصتها، فحكت لهم أنها ابنة الملك فلان بن فلان فى أرض كذا وكذا، وحكت لهم قصتها مع الطائر الذي كان يقف على شرفة قصرها منذ الطفولة إلى أن شبت وقررت أن تواجه قدرَها المحتوم دون خوف منه، فوافق والدها على ذلك وسمح لها بالخروج وكان ما كان. وطلبت من زوجها أن يفى لها بوعدها بالعودة إلى والدها، فوافق الأمير وشد معها الرحال، وعندما كانوا يمرون بالقرى فى الجبال والطرقات البعيدة كانوا يجدون مسجدًا مبنيًا ومكتوبًا عليه اسم زوجته التى لم يكن يعرف عنها شيئًا. وفى اليوم الثانى وصلت إلى أرض والدها ووجدوا أنه قد أصبح كهلاً كبيرًا وناله من الحزن والتعب ما ناله من فراق ابنته الوحيدة، ففرح الأب فرحًا شديدًا بعودتها إليه وزاد فرحه عندما وجد معها أبناءها الثلاثة، ووصى بأن يخلفه فى الملك ابنتُه وأن تضم أرضها إلى أرض زوجها، فوحدوا الأرض فى بلد واحد، وتولى أبناؤهما الحكم من بعدهما



لوحة للفنان التشكيلي اليمني عبد الجبار نعمان

الحل بالزواج

يقال إنه كان هناك عمدة لإحدى القرى، وله شاب يسبب له الكثير من المشاكل، فقد كان كثير الخروج من المنزل والسهر مع الأصدقاء وكثير التجوال والأذى للناس، فهو متفرغ لا يشغله شاغل، فشكا الوالد إلى صديقه (الحاج أحمد) حالَ ابنه، وكان هذا الرجل حكيمًا، فقال له الحاج أحمد: الحل أن تزوِّجه لكي تشغله بالزواج عن أصدقائه والفراغ الذي هو فيه. ففعل العمدة ما نصحه به الحاج أحمد وقام بتزويجه، وطلب من زوجته أن تُكثِر عليه المهام، فكان الشاب متى أراد أن يخرج قالت له: اقطع لنا هذه الشجرة لكي نستفيد منها حطبًا، فيذهب ويقطع الشجرة، فإذا عاد إليها وقد حضرت له الإفطار تناوله ثم قالت له: قطعها إلى قطع صغيرة كى نستفيد منها، فأكمل ذلك، فقالت له: هذه الشجرة خضراء ونحن نريد حطبًا يابسًا اذهب إلى الجبل وأعطنا القليل منه اليوم حتى تجف الشجرة، فقال لها: اذهبى أنتِ. فقالت له: أتريد أن يضحك منك الناس ويقولون: أخرج زوجته وهي عروس إلى الجبل تحتطب! فذهب الشاب إلى الجبل وجلب الحطب وعاد ظهرًا ووجدها قد أعدت له الغداء، فتناول الغداء وأخذ القات ليذهب إلى زملائه ليجلس معهم، فأعدت متكأً جيدًا ولبست أجمل الثياب وملأت المنزل بالبخور وقالت له: أتترك زوجتك وحيدة فى المنزل وتذهب إلى أصدقائك؟ فنظر إلى جمال ما أعدت له ونظر إلى المتكأ المرتب وشم رائحة البخور

وتذكر مجلس أصدقائه المكتظ المخزنين ودخان الشيشه، فما كان منه إلا أن جلس بجانبها ولم يخرج من المنزل [1].

وهكذا استمر به الحال كل يوم، فكانت زوجته تطلب منه العمل وتجهز له البيت واللباس المغرِي حتى نسى أصحابه وجيرانه. فمرت الأيام وجاء الحاج أحمد إلى العمدة وجلس معه فسأله عن حال ابنه فقال له العمدة: لقد زوجته بفتاة رَتَّبت له حياته، ولم يعد يخرج من المنزل حتى أن أصحابه يشكون من عدم خروجه إليهم نهائيًا. وشكر له المشورة التى قدمها له وأكرم العمدة الحاج أحمد فدعاه إلى الغداء واشترى له أجود أنواع القات، ولما أكمل الغداء جلس الحاج أحمد مع العمدة فى مجلسه الذي يتوافد إليه الناس لحل مشاكلهم، وكان أن جاء رجل مع جاره وكانت الشكوى أن لدى جاره كلبًا يعوى طوال الليل ويزعج الجيران فلا يستطيعون النوم، فقال العمدة لهم: الحل بسيط. فقالوا: ما هو؟ قال: زوجوه بكلبة وسوف يسكت.

وهكذا رحل الرجلان مقتنعين بالحل، وجاء رجل آخر إلى العمدة يشتكي من ولده الذي يملك الكثير من المال ولكنه يصرفه على أصدقائه ولا يوفر منه شيئًا، فقال له العمدة: زوجوه وسوف يصلح حاله.

فرحل الرجل مقتنعًا، ثم جاء رجل آخر يشتكي أن ابن جاره الفلاح يغازل ابنته الشابة ووجده معها يرعى الأغنام فى الجبل، وأنه يخشى على ابنته من الولد، فقال له العمدة: زوجوهما وسوف يصلح حالهما.

وهكذا عاد الجميع وهم مقتنعون بمشورة العمدة، ففعلو ما أملى عليهم فصلح حالهم وسكت الكلب عن النباح وتزوج الشاب بجارته وهكذا كانت كل حلول العمدة بالزواج، فاستغرب الحاج أحمد من حله لكل المشاكل بالزواج، فسأله عن السر فقال له: هذه نظرية الحاج أحمد التى أشرتَ بها عليّ لما اشتكيت لك حال ابني وقد

(١) ترد الحكاية على لسان الإخباريين بأكثر من صيغة وكانت هذه الأقرب لم اشأ أن أورد الصيغ كلها فقد وجدت فقدان ونسيان البعض منهم لكامل أحداثها والبعض خلط بينها وبين حكايات أخرى

جرّبتها وحللت بها كل مشاكل القرية، وأصبحت قريتنا مضرب المثل فى العدل والأمان. فقال له الحاج أحمد: إلا أنا– صاحب المشورة– معى مشكلة ما تقدر لا أنت ولا غيرك على حلها. فقال له العمدة: وما هى؟ قال له الحاج أحمد: إن أولادى وبناتى قد انشغلوا عنى بزوجاتهم وأولادهم ولم يعد هناك من يخدمنى أو يساعدني. فقال له العاقل: وأنت تنطبق عليك النظرية، فالحل أن نزوجك. وقام عاقل القرية وأخذ الحاج أحمد إلى منزل إحدى النساء الأرامل فى القرية وزوجها للحاج أحمد بنفسه.

إرضاء الناس غاية لا تُدرَك

يقال إن رجلاً كان مسافرًا مع ولده إلى بلد بعيد، فكان الرجل يمشى فى الطريق وهو يركب مع ولده على حماره، فمر بقوم فقالوا: يا له من ظالم يركب هو وابنه على الحمار ولا يرحمانه. فقال الولد لابنه: سوف أنزل عن الحمار يا والدي وأنت اركب عليه وحدك. فنزل الولد وظل الأب على الحمار، فمر بقوم آخرين فقالوا: يا له من ظالم يركب على الحمار ويترك الصبىّ يمشى. فنزل الرجل عن الحمار وطلب من ابنه أن يركب، وظل هو يمشى. ومر بقوم آخرين فقالوا: يا له من ولد عاق يركب على الحمار ويترك والده يمشى. فقال الصبي لأبيه: يا والدي لنترك الحمار يمشى وحده لكى نسلم من أذى الناس. فتركوا الحمار يمشى فارغًا. ومروا بقوم آخرين فضحكوا منهم وقالوا: يا لهم من أغبياء يمشون على أقدامهم ويتركون الحمار يمشى فارغًا. فقال الوالد لابنه: يا ولدى اعمل ما تراه مناسبًا ولا تلتفت لآراء الناس؛ فإن إرضاء الناس غاية لا تُدرَك [1].

نصائح الوالد

يقال إن رجلاً حكيمًا كان له ولد واحد يعمل تاجرًا ويملك الكثير المال لكنه لم يكن يمتلك الحكمة فى التعامل مع مجريات الحياة من حوله، فقال له والده فى يوم من الأيام ناصحًا له: يا بنى اجعل لك فى كل وادٍ دارًا تأمنْ الأخطار. فأخذ الولد بنصيحة والده الحكيم وذهب إلى القرى المجاورة واشترى قطعة أرض فى كل منها،

(١) وردت الحكاية على لسان أكثر من إخباري وتقال عند الحديث عن عدم التآبه بإرضاء الغير.

وبنى فى كل قرية دارًا له ورجع إلى والده بعد حين، وقال له: لقد نفذت وصيتك وبنيت دارًا فى كل قرية كما قلت لى. فضحك الوالد من فَهم ولده السطحى لمعنى النصيحة، وقال له: لم أكن أقصد أن تبنى دارًا أو منزلاً للعيش فيه بكل قرية، وإنما قصدت لك أن تجعل لك صديقًا وأخًا مقربًا من ذوى الأخلاق والكرم فى كل قرية، حتى إذا كنت فى سفر أو بيع أو شراء أو قضاء حاجة فى هذه القرى كان لك يد فيها وصديق وفى يكون بمثابة الدار التى تملكها، وتعرفك بأهل القرى كأنك تعيش فيها، وبإمكانك اختيار هؤلاء الدور من خلال تجارتك وتعاملك مع الناس القادمين إليك من كل القرى، فتختار منهم الأنسب والأنصح والأكرم فيكون بمثابة دار لك، وبما أنك لم تفهم نصيحتى هذه فسوف أوصيك بوصية أخرى قد تفيدك، وربما لن أكون معك حينها فقد دنا أجلى وقلَّت حيلتى، ولكن ضع هذه النصيحة فى ذاكرتك دومًا- وقال بلهجتنا اليمنية على لسان الأخبارى راوى القصة: "لا تزرع باب بيتك شجرة ولا تؤمن سرك عند المره[1] ولا تصاحب عسكرى".

لكن الولد أخذه الكِبر وقال: إن والدي قد أصابه الخرَف، ولا أصدق هذا الهراء والكلام عديم المعنى، لن أنفذ من هذه النصائح شيئًا بل سوف أخالفه وأعمل عكس ما يطلب منى. فزرع شجرة أمام منزله نمت وكبرت وأصبحت مجمعًا وملتقًى للناس من كل مكان يستظلون بظلها، وأصبحت الأرض التى بجوار منزله ملكًا للقرية كلها ويجلس عليها الجميع يتبادلون الأحاديث ويناقشون أمورهم اليومية ويتسامرون، فحاول منعهم فاشتكوه إلى الحاكم، فحكم بأن الشجرة سبيل لكل الناس ولا يحق له منعهم منها فهى ملك للجميع، وشعر حينها أن منزله لم يعد خاصًّا به ولكنه قال فى نفسه: سوف أجرب مخالفة بقية النصائح التى قالها والدي.

وقرر أن يخالف الوصية الثانية فصاحب عسكرى الحاكم وأصبح بمثابة أخيه، وكان يستضيفه فى منزله ودكانه ويغدق عليه من الهدايا، وقرر أن يختبر مخالفة النصيحة الثالثة أيضًا، فقال: سوف أفشى سرًّا كاذبًا إلى زوجتى وأرى ما قد يحصل من

---

(١) المره باللهجة العامية يقصد بها الزوجه.

وراء مخالفة هذه النصيحة. فقال يوما لزوجته إنه ذاهب لزيارة أحد أصدقائه فى قرية مجاورة، وخرج إلى أحد الطرقات البعيدة بين الجبال والمراعى واشترى نعجة من أحد الرعاة فى الطريق وذهب إلى مكان خال وأخرج خنجر الجنبية[1] وذبح الشاة، ولفها فى كيس محكم وعاد إلى منزله، وعندما وصل إلى المنزل تظاهر بالخوف والارتباك أمام زوجته وقال لها لقد تشاجرت مع أحد الأشخاص فى الطريق وحدث أن قتلته وأخذته فى الكيس، وأريد منك أن لا تفشى هذا السر أبدًا لأحد ولو كان أقرب الناس إليك، وقال لها: سوف نحفر حفرة فى الدور الأسفل من المنزل وندفن فيه الجثة فلا يعرف بها أحد، فحفر حفرة كبيرة ووضع فيها الشاة المذبوحة وعاد إلى عمله فى الدكان، وكادت المرأة أن تنفجر من ثقل السر الذى يكتم أنفساها فخرجت إلى جارتها المقربة لها وطلبت منها أن تأتى معها إلى المنزل لتخبرها بموضوع مهم يشغلها، وذهبت معها وعندما وصلت إلى المنزل طلبت منها أن تحلف لها أنها لن تفشى سرها مهما كان وإن كان أقرب الناس لها، فوافقت جارتها وأطلعتها على السر، وقالت لها: إن زوجى قد قتل رجلاً فى الطريق اليوم ودفنه فى هذا المكان.

وعادت الجارة إلى منزلها وكادت أن تنفجر من السر الذي اطلعت عليه، فسألها زوجها عن سر ارتباكها وعن سر مجىء جارتها لدعوتها إلى منزلها، فقالت له: هل أقول لك سرًّا قالته لى جارتى زوجة فلان؟ ولكنها استأمنتنى عليه! ولأنك زوجى الغالى الذي لا أخفى عنه شيئًا، سأخبرك ولكن قبل ذلك عِدنى أنك لن تقول لأحد وإن كان أقرب الناس لك. فوعدها بذلك فأخبرته بالسر. فذهب الرجل إلى صديقه وقال له ذلك، فقال الصديق لزوجته، وقالت الزوجة لجارتها، وانتشر الخبر فى كل القرية.

وعندما عاد التاجر إلى زوجته فى المساء وجد الناس يتجمعون بجوار الشجرة التى زرعها، ووجد العسكرى صديقه على رأس وفد من جنود الحاكم وقد حاصروا منزله، وسمع الناس يتحدثون بالخبر وهم فى انتظار وصوله بفارغ الصبر، فدخل إليهم متظاهرًا بعدم معرفته بشىء، فقبضوا عليه واقتادوه إلى مكان دفن الجثة في المنزل وأخذوها فى

(١) الجنبية: خنجر يوضع فى غمد يتوسط الحزام الذي يلبسه اليمنيون.

كيسها كما هى إلى الحاكم لينظر فى أمره، وعندما وصل إلى الحاكم أمر بسجنه لكنه رفض قبل أن يكشفوا عن الجثة، فكشفوا عنها فوجدها شاة مذبوحة ما زال لحمها حارًا، فقال له: ما هذا الذي فعلته؟ فقال التاجر للحاكم: هل تأذن لى أن أحكى لكم قصتى منذ البداية؟ فأذن له الحاكم، فقال: لقد نصحنى والدي ذات مرة بثلاث حكم وهي:

"لا تزرع باب بيتك شجرة"

"ولا تفشى سرك للمرة"

"ولا تصاحب عسكرى".

فقررت أن أخالفه لكى أعرف هل كلامه صحيح أم لا. وحكى له القصة كلها فقال له: أما الشجرة فقد جعلت من بيتى وفناء منزلى ملكًا للجميع، وأما الزوجة فقد أفشت السر وانتشر بين أهل القرية، وأما العسكرى فهو أول من خرج للقبض علىّ وجاء بى إليك.

فضحك الحاكم لقصته الغريبة وأمر بأن يوضع سور على منزله بالشجرة داخله فلا يُجلَس عليها أحد، وأن يوزع لحم الشاة لفقراء القرية، وأطلق سراحه وعاد إلى منزله[1] .



لوحة للفنان التشكيلي اليمني عبد الجبار نعمان

(١) حكى لي هذه الحكاية وحكايات آخرى الأستاذ العزيز احمد جزيلان الجهمي من أبناء قرية دار الشرف محافظة إب أثناء تواجده في القاهرة للعلاج وهو من كبار السن والحكائين.

الخالدى وصاحب مأرب

تقول الحكاية إنه كان هناك رجل من مأرب يلقب بـ(أبو تقى)، وكان من أجود وأكرم العرب، وأما الخالدى فهو من الخالد من القبائل المجاورة لمأرب، وكان بينه وبين أبناء عمه خلاف فأخذوا منه ماله وحرموه ميراثه مما أدى إلى خسارته لكل شيء حتى أنه ترك الحياة الطبيعية وأصبح يتخفى فى الصحاري والقفار يحترف الهجوم والإغارة على قوافل أبناء عمه آل خالد والاستيلاء عليها [1].

وقد اجتمع أهل قبيلة آل خالد وقرروا أن يضعوا له حلاً، فقال البعض: نقتله. وقال البعض: لا يصح قتله بل علينا أن نعقر حصانه الذي يهجم به على قوافلنا فيصبح بلا حصان. فأرسلوا شبابًا منهم وعقروا حصانه، فأصبح عاجزًا عن الخروج من غير حصانه الأصيل الذي عُرف بالقوة.

وفى يوم من الأيام رأته زوجته مهمومًا فى الخيمة حزينًا يفكر على غير حاله، وكانت معروفة بالحكمة، فقالت له: أريد أن أدلك على رأى ربما يحل الكثير من مشاكلك. فقال لها: وما هو؟ فقالت: تذهب إلى الرجل الكريم المدعو بـ(أبو تقى) فقد يساعدك على إيجاد حل لمشاكلك ويقضى حوائجك. وجعلت تكرر عليه العرض حتى وافق، فسافر إلى أرض (أبو تقى) واستقبله الرجل بكل حفاوة ورحب به وأكرمه، ولما جاء المغرب أقبلت الأغنام والأبقار والإبل التى يملكها أبو تقى، وكانت تمر من أمام خيمته وهو يراقبها، فرأى نعجة من نعاجه تسحب سلاها خلفها بدون مولود معها، فسأل الرعاة: أين طليها؟ (أى مولودها) فقالوا: لا نعلم أين وضعته، فقال لهم: أين رعيتم اليوم؟ فقالوا: فى مكان كذا وكذا بين الشعاب، فقفز على فرسه واستأذن الضيف

---

(١) وردت هذه الحكاية فى كتاب (شدو البوادى) لصالح بن أحمد الحارثى –عدن: مطابع ١٤ اكتوبر للصحافة – ١٩٩١م

وذهب إلى الشعاب التى رعت فيها الغنم وبحث بين الأشجار حتى وجد الكبش الصغير وعاد به إلى الخيمة.

عندما رأى الخالدى هذا الحرص من (أبو تقى) على الطلى الصغير حز فى نفسه ذلك، وظن أنه دليل على بخل (أبو تقى) فتراجع عن طلب المساعدة منه، وقال فى نفسه: كيف سيعطينى خيلاً عربيًا أصيلاً كالذى فقدته وهو لا يتخلى عن كبش صغير لا يساوى شيئًا أمام الخيل! وذهب للبحث عنه ليلاً فى الشعاب البعيدة.

فعاد الخالدى إلى منزله وحكى لزوجته القصة ولامها لما أشارت عليه بالذهاب إلى (أبو تقى) وجلس فى بيته متعهدًا بعدم الخروج مرة أخرى ليطلب شيئًا من أحد من الناس. وبعد سنة عاودت زوجته إقناعه بالذهاب إلى (أبو تقى) وقالت له: ما حافظ الرجل على كبشه الصغير إلا لأنه حريص على ماله، وليس لبخله. فاقتنع الخالدى وعاد إلى (أبو تقى) فاستقبله ورحَّب به ترحيبًا حارًا.

وكان أبو تقى قد شعر أن مغادرة ضيفه المرة السابقة كان بسبب ما رآه من قصة الكبش الصغير والبحث عنه، مما جعله يترك الكلام عن حاجته، فتعمَّد أبو تقى أن يختار ذلك الكبش لذبحه إكرامًا لضيفه الخالدى، فأمر غلمانه أن يحضروا الكبش الكبير الذي أسماه (الهويمل) فأحضروا الكبش فاستغرب الخالدى لما رأى من سِمن ذلك الكبش، فقال الخالدى: ما أكبر هذا الكبش وما أسمنه! من أين جئت به؟ فقال أبو تقى: إنه الكبش الذي وُلد فى زيارتك السابقة وذهبتُ للبحث عنه فى الشعاب، قد كبر وأصبح من خيرة الكباش، وقد حلفتُ ألا يُذبح إلا لك لأنه ولد يوم مجيئك إلينا. وقد أسميته الهويمل لأنه أُهمِل بعد ولادته، وأمر الغلمان فذبحوا الكبش وطبخوه وقربوه على الغداء واختاروا منه الأفضل ووضعوه أمام الخالدى، فأكل منه وأسعده كرم الضيافة، وبعد أن اطمئن إلى كرم (أبو تقى) أنشد يقول:

يابو تقى ناجيت عندك قاصد .... متعوضا من الفلو عقب فواته

اتخابرت بالعيب دولة مأرب .... والعيب قد هم مسرحه ومباته

كبيرهم فى المعصية ماردهم .... جعلت دليله فى الخلا عصاته

فأمر أبو تقى بأفضل فرس عنده، وأعطاها للخالدى، فأخذها وعاد بها إلى داره وغزا بها أبناء عمه من آل خالد حتى استسلموا ورضخوا إلى الصلح وأعادوا له أمواله التى أخذوها منه.

كى لا يضيع المعروف بين الناس

يروى أن رجلاً مسافرًا مرَّ بإحدى القرى فوجد فيها مجموعة من الناس يتجمعون وسط أحد الميادين، فقال فى نفسه: سوف أذهب لرؤية ما يحصل هناك، فاقترب من الجمع فوجد رجلاً مربوطًا على منصة الإعدام، وكان الرجل الذى يريدون إعدامه يناشدهم أن يحققوا له أمنية واحدة قبل إعدامه، وهى أن يرى أخته التى تسكن بقرية بعيدة قبل أن يموت، ولكن أهل المقتول رفضوا ذلك وطالبوا بقتله دون أن يرى أخته، فأشفق الرجل على حال ذلك المسكين وتقدم إلى الجمع وقال لهم: اتركوه يذهب إلى أخته وأنا أضمن عودته، وطلب من الحاكم أن يتركه يذهب ليرى أخته، فقال الحاكم: اتركوه يذهب وخذوا هذا الرجل مكانه وإن لم يعد قبل الغروب فأعدموا الضامنَ مكانه، فلمس الرجل صدق المحكوم عليه ووافق على أن يتركوه يذهب، فأعطى له خيله ليذهب عليه وانطلق الرجل مسرعًا والناس يضحكون من الضامن الذى أعطاه خيله وربما يُعدَم مكانه، وانتظر الناس حتى إذا اقترب الغروب أمر الحاكم بأخذ الرجل الضامن إلى منصة الإعدام لقطع رقبته، فاستمهَلهم حتى اختفاء قرص الشمس تمامًا، وكادت الشمس أن تختفى وراء الجبل وإذا بغبار خيل قادم من بعيد يهرول مسرعًا إليهم، فقال لهم الحاكم: انتظروا هذا القادم من بعيد فإن كان الحصان للقاتل تركناه وإن كان لغيره فاقتصّوا من الضامن. فاقترب الحصان فإذا هو للقاتل [1].

(١) وردت لحكاية على لسان الجار العزيز الحاج قاسم أحمد رحامي. وهو من كبار السن والمتعلمين والحكائين القدماء في منطقتنا سائلة جبلة – محافظة إب.

فنزل عن خيله وأمر الحاكم بأخذه إلى المنصة ليعدَم. وسأل الحاكم الضامن: لماذا ضمنته وكنت توشك أن تعدَم مكانه؟ فقال: كى لا تنقطع صلة الرحم بين الناس.

والتفت الحاكم إلى القاتل وقال له: لماذا عدت وكان بإمكانك أن تهرب ويعدم الضامن مكانك؟ فقال القاتل: كى لا تضيع الشهامة بين الناس.

فأعلن ولى دم المقتول بصوت عال قائلاً: وأنا عفوت عن القاتل. فسأله الحاكم: ولم عفوت عنه وقد كنت قبل ساعات تستعجل تنفيذ الحكم! فقال ولى الدم: كى لا يضيع المعروف بين الناس.

وهكذا كان فعل الخير ووصل الأرحام سببًا فى نجاة الجميع.

النصيحة بجمل

هذه الحكايات تنتمي فى الغالب إلى المناطق الصحراوية فى اليمن، إذ الجمل فى الغالب يستخدم فى هذه المناطق. وهذه الحكاية تقول:

إن رجلاً فقيرًا لا يملك من المال إلا اليسير قرر الذهاب إلى المناطق البعيدة لعله يجد عملاً يقضى ديونه ويحسن من معيشته، فترك زوجته وأولاده وقريته وودّعهم فربما يطول به السفر. وانطلق فى القرى والمزارع يبحث عن عمل، وقادته الطريق إلى صحراء بعيدة وجد فيها منزل أحد الأغنياء، وكان هذا الغنى يملك الكثير من الإبل والأغنام فطلب منه العمل عنده، وقد أعجب المالك بالرجل ووافق على العمل لديه برعى الإبل والعناية بها، فبدأ الرجل بالعمل وظل على حاله لعدة أعوام يعمل بوفاء وإخلاص، حتى تكاثرت الإبل وزاد خيرها لما يوليها من العناية والرعاية [1].

ومرت السنوات واشتاق الرجل إلى أهله فأخبر مالك الإبل أنه مشتاق للعودة إلى أهله، فعزَّ على التاجر فراقه فقد أحبه وأصبح جزءًا منه، فكافأه وأعطاه عددًا من الإبل

(١) تروى الحكاية على لسان الإخباريين بطرق قد تخلتف فيها الختلافات كثيرة من حيث الشخصيات فقد يحل المال محل الجمل.

والماعز كجزاء لأمانته ورعايته للإبل. فعاد الرجل يمشى بها فى الطرقات ويرعاها ويستريح معها بين الحين والآخر، وبعد أن قطع مسافة كبيرة فى الصحراء القاحلة والجبال الملتوية وجد شيخًا عجوزًا أمام خيمة صغيرة يفترش بساطًا فارغًا ويجلس فى منطقة منعزلة لا يبدو عليها أى مظهر للحياة، فاستغرب الشاب، ماذا يبيع هذا الرجل فى كوخه الصغير هذا! فسأل الرجل: ما الذي تبيعه وماذا لديك؟ فأنا لا أجد أمامك أى شىء تبيعه، هل لديك طعام أو شىء آخر للبيع؟

فقال له العجوز: أنا هنا أبيع النصائح فقط ولا أملك غيرها، ولكن النصائح التى أبيعها غالية جدًا وهي أنفع من المال والطعام والشراب وغيره.

فأعجب الرجل بكلامه فقال له: هل أعطيك غنمة مقابل أن تعطينى نصيحة؟ فأنا لا أملك المال الكثير، فقال له الرجل الحكيم: ماعز صغير لا يكفي، أقل نصيحة أبيعها لك مقابل جمل من الجمال التى تملكها. فجلس الرجل قليلاً يفكر ويراود نفسه ثم قال: سوف أضحّى بجمل وآخذ نصيحة من نصائحه؛ إذ تبدو عليه الحكمة والصدق والعقل والرزانة. فأعطى الرجل جملاً وطلب منه النصيحة، فقال له الحكيم:

"إذا جاء سهيل لا تأمن مجرى السيل".

فقال له الرجل: ومالى أنا وما للسيل فى هذه الصحراء! أريد نصيحة أفضل منها تنفعنى فى الحياة. فقال له الحكيم: أعطنى جملاً آخر، فأعطاه الشاب جملاً آخر لعله يصل معه إلى نصيحة يشعر معها بالمكسب، فقال له الشيخ العجوز: النصيحة الثانية هي: "لا تأمن أبا عيون زرقاء وأسنان فرقاء إذا رأيته فى الصحراء".

فقال له الشاب ومن أين لى أن أراه فقد لا التقي به فى الصحراء، ولكن الشاب بدأ يشعر بأهمية نصائح الرجل. فقال له: أعطيك جملاً وتعطينى نصيحة ثالثة؟ فقال له الرجل الحكيم: النصيحة الثالثة هي:

"نام على ندم ولا تنام على الدم".

فقال الشاب فى نفسه: سوف يعوضنى الله عن هذه الجمال فهذا الرجل يبدو محتاجا ومنقطعا فى هذه الأرض وسوف تنفعه هذه الجمال فى العيش هنا فيرعاها ويصنع الجبن ويشرب ويأكل من ألبانها، فإن أفادتنى نصائحه كان بها وإلا فقد نويت بها خيرًا وسيبدلنى الله خيرًا منها. فقام الرجل وودع الحكيم وعاد إلى سفره باتجاه بلدته البعيدة.

مرت الأيام وبدأ ينسى نصائح الرجل العجوز، ولكنه فى أحد الأيام أظلم عليه الليل فى منطقة مقفرة من الصحراء والجبال، فوجد خيامًا لتجار قد استراحوا بقافلتهم ونصبوا خيامهم بالقرب من مجرى السيل، فدعوه إليهم وتناول العشاء معهم وعندما أكمل العشاء استلقى يتأمل فى السماء والنجوم، فوجد أن نجم سهيل قد حل حيث ينذر بأن هذا موسم الأمطار، فتذكر نصيحة الرجل الحكيم الذي قال له (إذا جاء سهيل لا تأمن مجرى السيل).

فما كان من الرجل إلا أن قام وأبلغ كل الموجودين بالقرب من مجرى السيل أن عليهم ألا يأمنوا مجرى السيول، وألا يناموا بالقرب منه لأن السيول قد تأتى مفاجئة من أماكن بعيدة ولو لم تسقط الأمطار عندهم، فلم يصدقه أحد منهم وقالوا: إننا بعيدون عن مجرى السيل ولن يصل إلينا، فقال الرجل فى نفسه: لقد اشتريت النصيحة بجمل وسوف أخرج الجمال والمواشى من مجرى السيل وأغادر المكان إلى الجبل وأبيت معها هناك، ففعل وما هى إلا ساعات حتى سمع الجميع صوت هدير السيول قادمًا من مكان بعيد، فهرب التجار باتجاه الجبل وغرق البعض منهم وأخذته السيول، وهلكت قافلتهم بالبضاعة وخسروا كل ممتلكاتهم. فقال الرجل: والله لقد أفادتنى نصيحة ذلك الرجل العجوز.

وفى صباح اليوم الثانى واصل المسير إلى قريته البعيدة وبعد أيام وصل إلى منطقة صحراوية مقطوعة ولم يجد إلا دارًا واحدة فى الصحراء، فقال فى نفسه: سوف أذهب إلى هذه الدار لعلى أجد عندها ما يقوتنى، ثم أكملُ السفر غدًا، فاستقبله صاحب الدار

ورحب به وكان الترحيب فوق العادة. فتعشى الرجل عنده وبعد العشاء جلس إلى جوار المضيف وتحدث معه بالقرب من الضوء فى المنزل، فاكتشف أن المضيف له أوصاف قاطع الطريق الذى أبلغه العجوز الحكيم ألا يأمنه، فقد وجد أن (عيونه زرقاء وأسنانه فرقاء ويعيش وحيدًا فى الصحراء) فأوجس منه خيفة وعرف أنه قاطع الطريق الذى نصحه الحكيم ألا يأمنه أبدًا، فجلس على فراشه خائفًا وقال فى نفسه: لقد اشتريت النصيحة بجمل، ثم استأذن المضيف أن يتركه يذهب للنوم بجوار الإبل والأغنام مدعيًا حب النوم بين إبله، فأعطاه المضيف لحافًا وفراشًا، قوضع اللحاف والفراش بالقرب من الجمال ووضع تحته بعض الأحجار وذهب إلى وراء صخرة يتخفى خلفها حتى يرى ما سيفعله هذا الرجل فى نومه، وفجأة خرج قاطع الطريق ومعه السيف يخفيه وراء ظهره حتى اقترب من الفراش ورفع سيفه موجهًا ضربة قوية إلى الفراش حتى انكسر سيفه على الأحجار، فما كان من الراعى إلا أن خرج من مخبئه وضرب قاطع الطريق ضربة واحدة قضت عليه، وأخذ يردد: لقد اشتريت النصيحة بجمل!. وأخذ الجمال وعاد مسافرًا باتجاه أهله، حتى وصل بعد أيام إلى القرية التى يعيش فيها، وكان ذلك ليلاً، فقال فى نفسه: سوف أراقب خيمة زوجتى فربما تغيرت بعد هذه السنين الطويلة، فترك الإبل والأغنام فى مكان بالقرب من القرية ودخل متسللاً إلى جوار الخيمة، وقال: إن وجدنى أحد سلمتُ عليه ودخلتُ على أهلى، وإلا ظللت أراقب وأرى حال أهلى.

وعندما اقترب من الخيمة وجد زوجته نائمة وبجوارها شاب طويل، فقال فى نفسه: يا لها من خائنة! وأخرج سيفه لقتلهما لكنه قال فى نفسه: كيف أقتل النائم ونصيحة الرجل الحكيم التي اشتريتها بجمل تقول (نام على ندم ولا تنام على الدم)، فقرر النوم بجوار إبله مطمئنًا لقول الحكيم ونصيحته، وفى الصباح الباكر دخل ومعه إبله الكثيرة وأغنامه إلى حيث تعيش أسرته، فخرجت زوجته ومعها شاب يمسك بيدها وأبناء القرية يرحبون به ويستقبلونه، فعرف أن ذلك الشاب الذى كان نائمًا بجوار زوجته هو ابنه، وقد كبر وأصبح شابًا، فاستقبله ابنه بحرارة كبيرة واحتضنه وهو يحكى له الصورة الجميلة التى صورتها له والدته عنه، فدخل الوالد إلى خيمته ونظر إلى

مكان نوم ابنه بجوار والدته فعرف وفاءها له، فلو كانت خائنة ما جعلت مكان ابنها بالقرب منها، ولذهبت به بعيدًا ليخلو لها الجو، فندم لشكه بها، وقال فى نفسه: الحمد لله أنى عملت بنصيحة الرجل الحكيم الثالثة، وإلا لنِمت على دم الولد.

وقد سمعت هذه الحكاية بشكل مغاير فى مناطق عدة فسمعت راويًا يتحدث فيها عن فتى يتيم ورث عن أبيه ثلاثمائة ريال، احتفظت بها أمه حتى كبر، وعندما بلغ الرشد طلب ميراث والده، فأخرجت له مائة ريال، فأنفقها الولد وهو فى طريقه للعمل فى السوق مقابل نصيحة من رجل عجوز. وعاد للمنزل من غير تجارة فأعطته أمه مائة ريال أخرى فأنفقها أيضًا على نصيحة ثانية وهو فى طريقه لاستثمارها فى اليوم الثانى من نفس العجوز. ثم هكذا أنفق المائة الثالثة فغضبت أمه. وبعد أيام خرج للعمل فى القرى وبينما كان هناك مر به العديد من الأحداث التى أنقذته فيها نصائح العجوز.

فنشاهد شبهًا كبيرًا بينها وبين الحكاية الفائتة.



لوحة تعبيرية من أعمال الكاتب

من دخل ظفار حمر

يقال إنه كان فى قديم الزمان ملك من ملوك الدولة الحميرية، يعيش فى مدينة ظفار التى كانت عاصمة لهم، وذات يوم جاءه أعرابى من جهة أخرى من الجزيرة

العربية ممن لا يعرفون اللغة الحميرية، وكان الملك فى قمة عالية مطلة على الوادى، فلما وصل إليه الأعرابى وجده يجلس فى مكان مرتفع بالقرب من حافة الجبل، فنادى عليه الملك مرحبًا بلغة حمير وقال له (ثِب) وهي بلغته تعنى (تفضل بالجلوس)، فنظر الأعرابى إلى حافة الجبل، فكرر عليه الملك بصوت أعلى: ثِب ثِب، فقفز الأعرابى من حافة الجبل المرتفع ومات. فقال الملك متعجبًا: ما دهاه؟ لماذا فعل هذا؟ فقال له أحد الرجال إن هذا الرجل من بلد كذا فى مكان بعيد عن هنا وكلمة (ثِب) بلغتهم تعنى (اقفز) وقد فهم الرجل أنك أمرته بالقفز. فقال الملك: (من دخل ظفار حمر) أى: من يأتى إلى ظفار فليتعلم الحميرية [(١)].

الشيخ وابنه المتعلم

كان هناك شيخ حكيم فى إحدى القرى، وكان أهل القرى المجاورة يحتكمون إليه فى كل أمورهم، فكان يحكم بينهم بالحكمة والعُرف القبلى المتوارَث بين الناس، وعندما كبر أولاده أرسل أحدهم إلى مدينة صنعاء ليتعلم القضاء والحكم والعِلم على يد علمائها وفقهائها هناك.

ومرت الأعوام وعاد ابنه إلى القرية، وأصبح يتكلم ويتدخل فى حل المشكلات فى مجلس والده، وعندما كان الناس يحتكمون إلى والده كان يقول لهم: أنا أكثر فهمًا من والدي اتركونى أحلها بالشرع الذى درسته فى الكتب. وكان الناس يرفضون أحكامه ولا يقبلونها فعجب للناس كيف لا يحتكمون إلى القضاء والشرع ويقبلون بحكم والده الذى يجتهد بالطريقة القديمة والحُكم القبلى، فحصل شجار بينهما فقال له والده: اذهب إلى مدينة صنعاء وطبّق حكمك فيها، فما تعلمته لا يصلح هنا فى القرى ولا تفسد علينا القرية وتسبب لأهلها المشاكل. فغضب الولد لموقف والده مما تعلمه واتهم والده بأن أحكامه باطلة ولا تمت للشرع بصلة، وغادر القرية مهاجرًا إلى صنعاء مشيًا على الأقدام. وبينما كان يسير بين القرى وجد جامعًا بجانب الطريق يصلى فيه الناس، وكان وقت

(١) وردت الحكاية في بصيغة مشابهة لدى البردوني.

صلاة العشاء، فقال فى نفسه: سوف أصلى فى هذا الجامع وأبيت فيه إلى الصباح، ثم أعاود السفر إلى صنعاء. فصلى العشاء وعندما خرج الناس من المسجد أغلق الباب ووضع رأسه على الوسادة لينام، فسمع صوت صفير من الخارج فاطلع من نافذة المسجد فوجد رجلاً يقف خلف جدار إسطبل الأبقار بجوار أحد المنازل القريبة من المسجد، ويصدر همهمة وإشارات وكانت هناك امرأة سمعت فأشارت له من النافذة بيدها فانتظرها قليلاً فخرجت إليه ودخلت معه إلى الإسطبل ومعها حزمة من الأعلاف أعطتها للأبقار مدعية أنها خرجت لذلك الغرض، ثم كان منهما ما يكون بين العشاق، وهو يشاهد ذلك بعينيه من نافذة الجامع، وبعد لحظات سمعت المرأة بكاء وصراخ طفل فى المنزل، فعادت إليه وجلست حتى سكت البكاء، ثم أخذت بيدها ما يظهر أنها ذاهبة لتحلب الأبقار، وعندما وصلت إلى عشيقها أقبلا إلا بعضهما يتبادلان الحب والعشق، وبعد لحظات سمع بكاء الطفل مرة أخرى فظهر الغضب على المرأة ورمت العشب على الأبقار وذهبت إلى المنزل فسكت الطفل فجأة كأن أحدًا خنقه، وعادت إلى الإسطبل إلى أن أتمت الليلة مع عشيقها ثم أخذت الحليب من الأبقار وعادت إلى غرفتها التى كانت تتردد عليها فى المنزل، ثم صرخت بأعلى صوتها تعلن وفاة ابنها. فتعجب الشاب لأمر هذه المرأة، فتجمع أهل القرية حول المنزل، ثم سمعها وهي تلقى التهم على ضرتها التى كانت تعيش معها فى نفس المنزل، فقال فى نفسه: إن هذه القرية من القرى التى تحتكم إلى والدى وسوف أنتظر للغد وأؤجل السفر إلى أن أرى حكم والدى فى هذه القضية وأعرف كيف سيحكم فيها، فهى فرصتى لكشف أخطائه.

وانتظر لليوم الثانى لكي يعرف كيف سيجد والده لها حلاً، فهو مطلع على كل شيء فيها، وانتظر فى الجامع يصلى ويتخفى مع الناس إلى اليوم الثانى حتى جاءوا إلى والده فى قريته وذهب معهم متخفيًا بشال على رأسه، فطلب والده من الرجل أن يأتى بزوجتيه الاثنتين وأن يسمح له أن يقابل كل واحدة منهن على انفراد فى غرفة مجاورة. فقال الشيخ لوالدة الطفل: من تتهمين بقتل ابنك؟ فاتهمت ضرتها. ثم طلب منها أن تنفذ ما يقول لها لكي تثبت براءتها، فطلب منها أن تأتى إلى غرفة الرجال وتتعرى من

ملابسها وتقول للجميع إنها بريئة من دم ابنها كبراءتها من تلك الملابس، وأنها تخلع عن نفسها الجريمة كما تخلع هذه الثياب، وبهذا تثبت براءتها وتنجو من عقوبة القتل. فوافقت المرأة وقالت إنها مستعدة أن تفعل أى شيء لأجل ولدها، فطلب منها أن تنتظر حتى ينادَى عليها إلى مجلس الرجال لتفعل ما طلب منها.

ثم طلب الشيخ أن تخرج إليه الضرة، فخرجت إليه وطلب منها نفس الطلب وقال لها: إذا أردتِ أن تثبتى برائتكِ من دم الطفل فسوف أطلب منكِ الخروج إلى مجلس الرجال على أن تدخلى عليهم وتخلعى ملابسكِ وتقولي إنك تخلعين عن نفسك الجريمة كما تخلعين هذه الثياب، وهكذا تثبتين براءتك من عقوبة القتل، فرفضت المرأة وقالت له: لن أفعل ذلك ولو كان الثمن موتى. فتركها وطلب منها العودة إلى مجلس النساء والتفكير بما قاله لها وأن تأتى وقت طلبها إلى مجلس الرجال.

ثم عاد الشيخ إلى مجلس الرجال وطلب أن تدخل عليه أولاً أم الطفل فدخلت المرأة إلى مجلس الرجال بشجاعة تظهر دموعًا زائفة على ولدها، فقال لها عاقل القرية:

بم تثبتين براءتك من دم الطفل؟ فبدأت بخلع ملابسها وهى تقول: أنا أخلع عن نفسى جريمة قتل ابنى كما أخلع هذه الملابس، حتى إذا بدأت تكشف عن جسدها طَلبَ منها التوقف، وطلب إبعادها عن أعين الناس.

ثم طلب من المرأة الثانية أن تدخل إلى المجلس، وقال لها: بم تثبتين براءتك من دم الطفل؟ فقالت: إن براءتى لا تحتاج إلى خلع الملابس، ولن أفعل ذلك ولو كان العاقبة موتى، فهو خير لى من أن يرانى الناس عارية لأثبت براءتى. ثم خرجت وقالت لهم: احكموا بما تشاءون.

فقال لهم الشيخ:

إن القاتلة هى والدة الطفل، فإن امرأة تخلع ملابسها أمام الرجال لا يبعد أن تقتل ابنها، وطلب منها الاعتراف فاعترفت بجريمتها، وبعد أن قضى والده بالعقوبة

قام ابنه الشاب المتعلم من بين الحاضرين وكشف عن وجهه الذي كان يغطيه بالشال وحكى لهم ما شاهده من نافذة المسجد المجاور للمنزل، وقال لهم إنه عاد من سفره ليقتنع بحكم والده الذى كان يختلف معه دومًا وليختبر صدق والده فى الحكم.

ومن يومها قرر تعلم طريقة والده فى القضاء إلى جانب ما تعلمه فى صنعاء على يد الفقهاء، واقتنع بالعرف وبالحكمة التى تعارف عليها الناس.



لوحة لقرية من اليمن من اعمال الكاتب

سارقة البن

يقال إنه كان هناك رجل له مزرعة كبيرة من البن، وكان غالبًا ما يترك هذه المزرعة دون حراسة، ولكنه اكتشف بمرور الأيام أن هناك من يسرق محصول البن، بل ولا يكتفى بذلك وإنما وصل الحال باللص إلى تكسير واقتلاع أشجار البن، فما كان من مالك هذه المزرعة إلا أن قرر أن يقوم بحراسة مزرعته والتخفى فيها خلال الليل لمعرفة من يقوم بتخريب وسرقة مزرعته. وأثناء تخفيه ليلا للحراسة لاحظ شيئا غريبا؛ لقد وجد أن من يقوم بتخريب مزرعته امرأة، وعندما اقترب منها اكتشف أنها ليست من البشر أيضًا، فقد اكتشف أنها جنية جميلة جدًا، فأمسك بها ولم يبال بشيء، وتحدث معها وأعجب بها إعجابًا شديدًا، بل وقال لها إنه سيسامحها عما اقترفته فى مزرعته فى حال وافقت على الزواج به، فوافقت الجنية الجميلة على هذا الزواج، ولكنها

طرحت عليه شرطًا وهو ألا يدخل عليها المنزل قبل أن يستأذن ويدق الباب مهما كان الأمر، فوافق على ذلك وتزوجها.

ومرت الأيام والأعوام وأنجبت له طفلين واستمر على وعده فترة من الزمن، ولكن بمرور الأيام كان فضوله يدعوه لمعرفة سبب منعها له من الدخول للمنزل قبل الاستئذان، فقرر أن يتخفى ويتسلل إلى المنزل خفية لرؤيتها خلسة دون أن تعرف، وعندما رآها تفاجأ لمنظرها، فقد رأى شيئًا عجيبًا لا يصدق، لقد وجد أرجلها طويلة ممتدة تشتعل بها النيران، وقد وضعت فوقها الطعام، ووجد ثدييها كبيرين إلى درجة أنهما يمتدان إلى وراء ظهرها، ووجد طفليه يرضعان منها بمنظر مخيف، فتراجع إلى الخلف وخاف منها ولم يكد يصدق المنظر ثم قرر التأكد منها فدق الباب واستأذن فى الدخول، فعادت إلى صورتها كإنسية جميلة، ولكنها ردت عليه قائلة:

عبت بى يا عايب

خبت منى يا خائب

أى أنها عرفت أنه قد شاهدها وعابها، ثم قالت له: هذا آخر لقاء بينى وبينك فلا يمكننا العيش سويًّا بعدما رأيتنى بذلك المنظر، ولا أعتقد أنك يمكنك معاشرتى كذلك، ولقد تسببت فى عدم قدرتى على الرجوع إلى أهلى وعشيرتى، فقد تبرأوا منى عندما عرفوا أنى تزوجت إنسيًا، فلن أستطيع تربية أولادنا وستتولى تربيتهم أنت، وسوف أتحول إلى شكل غير هذا الشكل، وسوف تجدنى على شكل كلبة تتمسح بك فى يوم كذا وكذا، فإذا وجدتنى كذلك فاضربنى بالعصا ضربة واحدة وسوف أموت، وستمر الأيام وتحصل مجاعة فى القرية التى تعيش فيها، فإذا حصل ذلك فاذهب إلى مكان كذا وكذا فى الجبل واحفر فى المكان الفلانى وستجد الكثير من القمح، فخذ منه ما يكفيك أنت وولدينا.

ومرت الأيام ووجدها على الموعد بشكل كلبة ضعيفة تتمسح به، فضربها ضربة واحدة كما طلبت منه فماتت، وحزن عليها وندم على كشف سرها، ولم يكن ليقتلها

لولا إصرارها عليه. ومرت الأيام وحصلت مجاعة شديدة فى كل مكان واشتد به الجوع فذهب إلى المكان الذي حددته له وحفر فيه فوجد قمحًا وحبوبًا كثيرة أخذ منها ما يحتاج وظل يصرف منها على أبنائه حتى انتهت الأزمنة.

الدندكي

الحكاية فى عصر الحكم التركى لليمن، حيث كان هناك والٍ تركى ظالم يحكم فى قلعة المنصورة أو ما تسمّى بحصن الدملؤه فى أحد الجبال العالية فى مدينة تعز، وكان بعض الولاة العثمانيين يقومون بممارسة الظلم على أبناء القرى والأماكن النائية، حيث بنا الأتراك القلاع والحصون فى قمم الجبال ونصبوا المدافع على الحصون، وكانوا يحفرون المدافن للحبوب والماء فى هذه القلاع، ولصعوبة الصعود والنزول من هذه القلاع كان ولاة الأتراك يجبرون الناس في القرى المحيطة على توفير الأكل والحبوب وكل ما يحتاجون، وكانوا يقصفون بالمدافع القرى المجاورة للقلاع فى حال الامتناع.

وكان يعيش فى القلعة أحد الولاة الأتراك اسمه (الدندكى) وكان هذا الوالى يتآمر على القرى المحيطة بهذا الحصن. وعندما أراد ذات مرة أن يدبر عقابًا لإحدى القرى التى لم تكن تطيعه طلب مطلبًا صعبًا يعجز أبناء هذه القرية عنه، وهو أن يأتوه بمائة قطعة من الأخشاب الكبيرة إلى القلعة، فقال لهم كبير القرية إن أوامر الوالى يجب أن تنفذ ولا مفر منها، وإلا قد يحرق قريتنا ويضربها بالمدافع من القلعة، فأبلغ عاقلَ القرية بموافقته على الطلب، وعاد العسكرى إلى الوالى وبشره بأنهم وعدوا أن يأتوه بها خلال عشرة أيام.

وكان هذا الوالى يعرف أن هذا الطلب صعب المنال فكيف سيقومون بنقل الأخشاب إلى القلعة بوعورة طريقها وثقل الحِمل، ولكنه فكر وقال: ننتظر مرور العشرة الأيام. وفى المقابل كان كبير هذه القرية ورجالها يفكرون فى حل للتخلص من هذا المأزق، فكيف يوصلون له الأخشاب إلى القلعة ومن أين يأتون بها، وهم يعرفون أن من يخالف أمر الوالى التركى فهو معرض للسجن أو للموت، فخطرت على بال كبير القرية

فكرة فقال لرجال القرية: سوف نحضر خشبة واحدة، ونقطعها إلى مائة قطعة متساوية، ونحملها إلى الوالى على نفس الموعد، على أن نبدى له نوعًا من البلاهة وندعى أمامه أننا فهمنا قصده هكذا. فجاء اليوم الذي انتظره الوالى فصعد أهل القرية إلى القلعة فى قمة الجبل وكان يومًا ممطرًا والغيوم تغطى الجبل، ولم يلحظ الجند إلا والرجال على باب القلعة، ففتحوا لهم الباب ونادى الجند على الوالى، فخرج إليهم وقال لهم: ما هذا الذي تحملون! فأظهروا له البشاشة والتفانى فى تنفيذ وعده، وأعجب بطريقة صقلهم للأخشاب بشكل قطع متساوية مربعة كأنها قطعة واحدة، فشعر أنهم جادون فى كلامهم، ولم يظهر عليهم أى نوع من الخوف أو التردد فى عرضها عليه، فنادى على أحد مستشاريه وشاوره فى الأمر على انفراد، فأشار عليه أن يدعوَهم إلى الغداء معه فى فناء القلعة، وأن يضع لهم داخل الحساء واللحم قطعًا من الدنانير الفضية فإن هم أخذوها فهم يمكرون به، وإلا فهم جادون. ثم عاد إليهم الوالى وطلب منهم الدخول إلى فناء القلعة لتناول الطعام، وطلب من الطباخين وضع قطع من الفضة بين أطباقهم، ولما بدأوا فى الأكل عرفوا لنباهتهم بخطة الوالى، فراحوا يأكلون الطعام ويطرحون القطع الفضية بعيدًا عن الطعام، ويقولون الطعام مليان حواميض يقصدون حبوب التمر الهندي التي تضاف للحلبه، ولم يعيروها أى اهتمام، ولما فرغوا عد عمال الوالى القطع الفضية فوجدوها مكتملة لم ينقص منها شيء، إلا أن الوالى كان مصرًا على أنهم يمكرون به، فقال لهم: سنخرج فى جولة لنريكم جوانب القلعة وأسوارها من الأعلى، وكانت السحب تمر من تحت القلعة فقالوا للوالى: ما هذه الأشياء التى تمشى تحتنا بجوار أسوار القلعة؟ وهم يدعون البلاهة، فقال لهم الوالى: إن هذه مراكب يمكن أن تحمل الإنسان إلى حيث يريد وما عليه إلا أن يقفز عليها لتطير به إلى حيث يريد، فإذا جاءت سحابة قريبة فثبوا إليها، فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم يقولون: لقد وقعنا فى الفخ هذه المرة، ونظروا إلى كبير القرية "الشايب" فنظر إلى السحب وقال لهم:

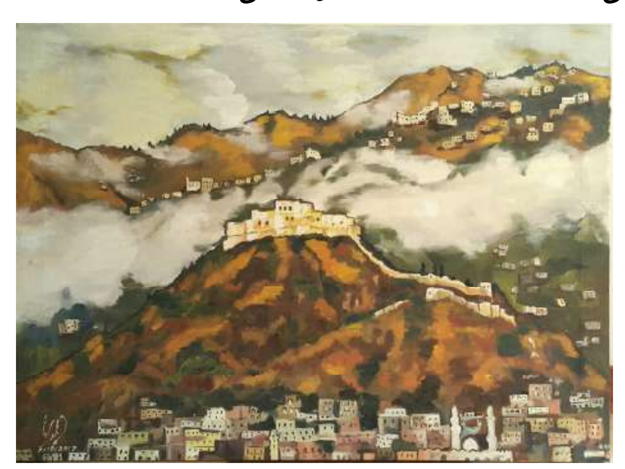
بشيبه ولا بكل الشباب.

ثم نط على السحب، فأظهر أصحابه استعدادهم للقفز إذا ما قدمت سحابة أخرى، فخاف الدندكى من بلاهتهم التى يمارسونها ومنعهم من القفز كى لا يموت الجميع، وأمر أن يُنظر فى أمر الرجل الذي قفز فنزلوا فوجدوه واثبًا بين أغصان شجرة فى منحدر الجبل، فأنزلوه وأعادوه إلى الوالى، فتعجب الوالى لأمرهم وأفرج عنهم للعودة إلى قريتهم، فلما ابتعدوا عن القلعة قالوا لصاحبهم الشايب: ستر الله عليك. فقال لهم:

ما عاد اوقفتنى إلا الشجرة وإلا ما الله قد كان فلت [(١)].

فضحك الجميع لحكايته وإنقاذه لهم. وهو فى قوله الأخير لا يقصد عدم الاعتماد على الله بل يريد أن يقول لهم إن الحذر والحيطة واختيار طرق النجاة مهمة إلى جوار التوكل على الله، فقد كان محددًا للشجرة قبل القفز عليها.

وقد وردت هذه الحكاية أيضًا فى كتاب الأستاذ على محمد عبده (أساطير وحكايات يمنية) وأوردها بعنوان (بشيبه ولا بكل الشباب) ولكن هناك بعض الفروق بين هذه الحكاية التى سمعتها من أحد أبناء القرية التى حصلت فيها.



لوحة للكاتب صورة لقلعة القاهرة تعز والسحب تسقط بين الجبال بعد الأمطار

(١) فلت بمعنى ترك وتخلى وهي من باب الدعابة والله خير الحافظين.

يا صميل صمل

تحكى هذه الحكاية فى مدينة صنعاء وما حولها، حيث يقال إن رجلاً قرويًّا خرج يبحث عن عمل ولما لم يجد عملاً اشترى كوبًا من الفول المقلى وظل يأكله فى الطريق، فأصابه العطش بسبب هذا الفول المقلى، فذهب إلى إحدى الآبار القريبة وجلس على حافتها يأكل القلوة ويشرب من البئر كلما عطش، فغفل فسقط وعاء الفول المقلى فى البئر، فجلس يصرخ ويبكي وينادى فى فوهة البئر قائلا:

يا بير طلع قلوتى
يا بير هات قلوتى

حتى انزعجت منه حارسة البئر وهى من الجن، فصعدت إليه بصورة فتاة وقالت له : ماذا حصل ولماذا تبكى وتصرخ فى البئر؟ لم أستطع النوم والراحة بسببك ما الذى حصل لك؟ فقال لها الرجل: لقد سقطت قلوتى فى البئر وأنا أريد قلوتى. فقالت له: اصبر قليلاً وسوف أنزل فى البئر وأعطيك شيئًا أفضل منها، ونزلت إلى البئر وأخرجت منه (خروفًا) جميل المنظر، وقالت له: هذا الخروف إذا مسحت على ظهره وقلت له:

أيها الخروف ابعر لى ذهب، فسوف يخرج لك من مؤخرته ذهبًا. فقال لها الرجل شكرًا لك أيتها الفتاة الطيبة، وأخذ الخروف وعاد إلى منزله وأحضر صحنًا كبيرًا وضع فيه الخروف ثم مسح بيده عليه وقال له: يا خروف أخرج لى ذهبًا، فأخرج له الخروف مقدار ما يخرج من الروث ذهبًا، فباع بعضًا منه وأصبح ثريًّا فى يوم وليلة.

فقرر الذهاب إلى حمام البخار كما يفعل الأغنياء، ولكنه كان يخاف على الخروف، فقرر أخذه معه إلى الحمام، وعندما وصل إلى بوابة الحمام منعه الحارس من إدخال الخروف، فقال للحارس: هذا ليس خروفًا عاديًا، هذا الخروف إذا مسحت على ظهره وقلت له: يا خروف ابعر لى ذهبًا، يخرج لك من مؤخرته ذهبًا.

فقال له الحارس: لا علاقة لى بذلك اتركه هنا؟ وادخل إلى الحمام، فتركه الرجل

ودخل إلى الحمام، فقال حارس الحمام: سوف أجرب خزعبلات هذا المعتوه، فمسح على الخروف وقال له: يا خروف ابعر لى ذهبًا، فتفاجأ بأنه أخرج له ذهبا، ففكر بخداع الرجل، وذهب بسرعة إلى تاجر خرفان بجواره وأحضر خروفًا مشابهًا له ووضعه مكانه، وأخفى ذلك الخروف العجيب.

وعندما خرج الرجل من الحمام أخذ الخروف العادى وعاد به إلى المنزل، وعند المساء أخرج الصحن المعتاد ومسح على ظهر الخروف، وطلب منه أن يخرج له ذهبًا لكن الخروف لم يخرج شيئًا، فتركه وعاد إليه بعد حين فوجد أنه أخرج روثًا عاديًا كأى خروف عادى. فأخذه اليوم الثانى إلى حافة البئر وشرع يصرخ ويبكي: هذا الخروف مغشوش ولم يعمل إلا يومًا واحدًا، حتى انزعجت منه حارسة البئر فصعدت إليه وقالت له: هذا ليس الخروف الذى أعطيته لك، يبدو أن أحدهم أخذه منك، لكنه رفض وكرر بكاءه ولجاجته، فقالت له: انتظر هنا وسوف أعطيك شيئًا أفضل من هذا الخروف. فنزلت وأحضرت معها طبقًا وقالت له: هذا الطبق إذا قلت له: يا بسيس بس، فسوف يوفر لك كل أصناف الطعام التى ترغب بها، فما كان منه إلا أن شكر لها وعاد إلى منزله مسرورًا، وعندما وصل إلى منزله وضع الطبق على الطاولة وقال له: يا بسيس بس، أحضرى لى لحمًا وعسلاً وخضارًا، وطلب كل ما اشتهته نفسه، ولم يكد يكمل كلامه حتى وجدها موضوعة على الطبق، فأكل منه حتى امتلأت معدته، ثم قال فى نفسه: سوف أذهب إلى الحمام كما يفعل الأغنياء، ولكنه فكر أنه قد يجوع فى الحمام، فقال: سوف آخذ الطبق معى، فإذا جُعت طلبت منه طعامًا هناك.

وعندما وصل إلى الحمام منعه الحارس من الدخول ومعه الطبق إلى الحمام، فقال له الرجل: إن هذا الطبق ليس طبقًا عاديًا فهو طبق سحرى، إذا قلت له: يابسيس بس، أحضر لى طعام كذا وكذا فسوف يحضر لك ما تريد. فزاد ذلك من إصرار الحارس على تركه، وقال له: سيكون الطبق فى أمان هنا حتى تكمل الاستحمام، فلا تقلق. فتركه الرجل ودخل إلى الحمام فقام الحارس وطلب وجبة غداء من الطبق فنفذ له ما

أراد، فقال فى نفسه: سوف أسلبه إياه كما سلبتُ الخروف من قبل. وذهب إلى السوق وأحضر طبقًا شبيهًا به ووضعه بجوار ملابس الرجل، وأخذ الطبق الأصلى وأخفاه، وعندما خرج الرجل أخذ الطبق المزيف وذهب إلى مكان خال من الناس ليأكل وطلب من الطبق الطعام فلم يرد عليه بشىء، ولم يأته بطعام، فغضب كثيرًا وقال: إن هذه الجنية تخدعنى وتعطينى أشياءً لا تعمل إلا ليوم واحد، وأخذ الطبق وذهب إلى البئر مرة أخرى، وظل يصرخ فى البئر كما يفعل كل مرة حتى ظهرت الجنية حارسة البئر فقص عليها قصة الطبق، فقالت له إن هناك من خدعك وأخذ منك الطبق والخروف، وهو صاحب الحمام الذى ذهبت إليه، وقد أعطاك خروفًا وطبقًا من السوق وأخذ منك الأصل، ولكن لم يبق لديك عندى إلا طلب واحد، فاطلبه ولا تعد لى ثانية، فقال لها: أريد صميلاً[1] لكى أضرب حارس الحمام الذى سرق منى الخروف والطبق حتى يعيد لى خروفى والطبق، فنزلت الجنية إلى البئر وعادت له بصميل ليس له مثيل، وقالت له: هذا الصميل إذا قيل له (يا صميل صمل) ومُسِح عليه ثلاث مرات فإنه يضرب قائل هذه العبارة ولن يتركه حتى توقفه أنت، ونصحته أن يذهب كالعادة للحمام ويخدع به اللص، وسوف يتأكد أنه اللص عندما يترك الأمانة عنده، ويقول له مفتاح السر وسوف ينتقم له لما قام به من خداعه وخيانته للأمانة، فأخذ الرجل الصميل إلى الحمام، وعندما وصل تظاهر بأنه يريد الدخول الحمام، فشاهده الحارس وقال له: ما هذا الذى بيدك اتركه فلا يجوز الدخول به إلى الحمام، فقال له الرجل: هذا ليس صميلاً عاديًا، هذا صميل إذا قلت له: يا صميل صمل، ومسحت عليه ثلاث مرات يخرج ذهبًا من أطرافه. فطمع فيه الحارس وقال له: اتركه هنا غير مسموح الدخول به إلى الحمام، فدخل الرجل وتخفى وراء أحد الأعمدة لمشاهدة الحارس ومصيره المؤلم، فما كان من الحارس إلا أن تنحى جانبًا متخفيًا وقال للصميل: يا صميل صمل، ومسح عليه ثلاث مرات، فالتف الصميل وضربه ضربًا شديدًا ولم يدرك الناس من الذي يضربه، فقد كان الصميل يتحرك فى الهواء ويضربه من كل الاتجاهات حتى كاد أن يكسر عظامه،

---

(١) عصا قوية من فروع الشجر.

فخرج إليه الرجل وقال له: لن يتوقف الصميل عن ضربك إلا إذا أعدتَ ما سرقته منى، فهل ستعيد الخروف والطبق؟ وإلا تركت الصميل يضربك حتى يقضى عليك. فقال له الحارس: أوقف هذا الصميل وسوف أعيد إليك الخروف والطبق وكل ما تريد، فطلب الرجل من الصميل أن يتوقف حتى يعيد له طلباته، فذهب الرجل إلى الداخل وأخرج الطبق والخروف، وأعادهما للرجل فأخذهما وعاد إلى منزله وسط ذهول ورعب من الناس.



الفصل الرابع

(حكايات الحب والعشق)



تمهيد

يروى اليمنيون الكثير من الحكايات عن الحب والعشق المسموح به مع المحبوب أو العشق الممنوع، وهذه الحكايات تعكس طابع وثقافة الشعب اليمنى التى تمثل روح الفكاهة والدعابة التى يتمتعون بها دون إحراج أو استحياء من موضوعاتها، ومنها ما يخص عشق الرجال للنساء، ومنها ما هو على العكس. وقد أوردت بعض من الحكايات القديمة التي تربط الماضي بالحاضر فقد كان العرب يروون حكايات الحب منذ عصور قديمة كحكاية وضاح اليمن التي اشتهرت ووصلتنا معلومات عنها في اغلب الكتابات القديمة ومنها ماهو حديث يمثل روح هذا العصر. وهي فى الغالب تعالج قضايا اجتماعية تعكس طرق التعامل مع الطرف الآخر، وقد لعب الحس الفكاهى والدرامى الذى يتمتع به اليمنيون دورًا فى صياغة هذه الحكايات فى حبكة ممتعة توصل فى الغالب إلى هدف نبيل، وغالباً ما نجد كبار السن يحفظونها ويقصونها على الشباب فيتسلون بها فى مسامرهم ومجالسهم ويكسرون بها حواجز الصمت والحياء فى فراغهم فى جلسات القات التى لا تخلو من الدعابة. وسوف نورد فى هذا الفصل مجموعة من هذه الحكايات الشعبية التى تمثل هذا الجزء من الثقافة الشعبية اليمنية التى لا يمكن التغاضى عنها.



لوحة من أعمال الكاتب زيت على قماش ٦٠ في ٨٠

حكاية وضاح اليمن وروضته

كان وضاح اليمن شابا جميلا لم يسبق أن شهدت الأرض رجلا بجماله. ويقال إنه من خولان اليمن، وقد توفى والده فأكملت والدته العدة وتزوجت رجلاً آخر، فتربّى فى حجر زوج أمه، فما كان من قبيلة والده إلا أن طالبت به فتحاكموا إلى حاكم فى صنعاء فحكم به لعائلة أبيه، ولما رأى جماله يخالف أهل اليمن قال فيه: "اذهب فأنت وضاح اليمن" أى جميلها وضّاؤها، ومن هنا أطلق عليه لقب (وضاح اليمن) [1].

وقيل كانت قبيلته تخفيه عن الأعين منذ صغره خشية العين، فجعلوه راعيًا لأغنامهم ومواشيهم، فكان يتجول فى أملاكهم ووديانهم وجبالهم الواسعة، ويقول الشعر وينسج القصائد، حتى شب وقوى ساعده فكانت النساء تغرم من أول نظرة لما يملكه من جمال وقوام وفصاحة لسان. ويقال إنه ذهب يوما إلى أحد عيون الماء فى وادٍ قريب فوجد فتاة قد رفعت ثوبها تجلب الماء، فرأى منها جمالاً لم تحتمله نفسه، فتقدم إليها وسلَّم، فالتفتت إليه ورأت منه ما رآه منها فتبادلوا النظرات والحديث، وتألف قلباهما كأنما كانا على موعد. وقيل كانت شاعرة أيضًا وكان والدها من كبار القوم وأشرفهم مكانة، وقد وصفها وضاح اليمن فى قصائده ومنها أنها كانت:

روضة الوجنتين لطيفة التكوين مصقولة الجبين

يزينها شعرٌ اثيث

أشقرٌ كذنب الكميت

زجاء الحجاجبين

كأنها شقت بقلم

(١) إنظر– ديوان وضاح اليمن – محمد بهجت الأثري – أحمد حسن الزيات – جمعه وقدمه وشرحه محمد خير البقاعي– بيروت – دار صادر – ١٩٩٦م .

تقوساً مثل عين الضبية

ساجيةُ الطرف ذلفاءُ الأنفِ

عبلة الذراعينِ

لا ترى فيها عظم يحس

ولا عرقاً يُجس

طفلة الكفين

تعقد أن شئت منها الأناملَ

ممشوقة القد

قد أُفرغت فى قالب الحسن

وينسب إليه أنه هو من سماها (روضة) بمعنى (جنة). وبعد أن أغرم بها وأغرمت به كانا يلتقيان بين المراعى والجبال، وبمرور الأيام عرف أهلها بخبرهما فمنعوها الخروج من المنزل، وأغلقوا عليها أبواب الدار، فذهب وضاح إلى أهلها وطلبها للزواج فرفضوا أن يزوجوه، ومنعوه من العودة مرة أخرى إلى دارهم، فقد كان العرب يرون أن من يتغزل ببناتهم لا يُزوَّج بهنَّ كى لا يصدق فيهن كلام الناس فتصير القبيلة وسمعتها على المحك.

حزن وضاح وروضة لما عكر صفوهما وفرق بينهما. ومرت الأيام ووضاح يشتاق إلى محبوبته وتشتاق إليه، فكان يذهب إلى ربوة تعلو دارها فتخرج روضة إلى سطح المنزل فيراها وتراه سرًّا من بعيد، فتغنى بصوتها العذب وكأنها تسلِّى نفسها وهى تنقِّى الحبوب أو تنظف المنزل، ثم لا تلبث أن تعود إلى داخل الدار خشية انكشاف أمر محبوبها الذى قد يتعرض للخطر إن عرفوا بأمره. ولم يكن أمام وضاح إلا أن يأتى كل يوم ليشبع عينيه نظرًا إلى محبوبته التى قال فيها الكثير من القصائد، لكن أهلها بمرور

الآيام عرفوا بمجيئه إلى الربوة لمشاهدتها، فتخفوا له حيث يأتى وضربوه، ويقال وجهوا له بعض الطعنات فظل قعيد الفراش لأكثر من شهرين.

ولما تعافى ذهب إلى حيث كانت ترعَى فوجد غلامًا قد أُوكل إليه الرعى بدلاً منها، فصادقه وطلب منه أن يبلغها أن تلتقيه فى مكانٍ على الجبل فى وقتِ غَفوة أهلها، وطلب منه أن يساعده فى فتح الدار لإخراجها، ففعل ذلك والتقى بها وضاح فى معزل عن الناس، وقال فى هذا اللقاء قصيدة مازالت تغنى إلى وقتنا الحاضر على لسان أكبر الفنانين وأشهر من تغنى بها الفنان مجد القاسم وهي:

قالت ألا تلجن دارنا .... إن أبانا رجل غائرُ

قُلت فإنى طالب غرة ... ...منه وسيفى صارم باترُ

قالت فإن القصر من دوننا ... قُلت فإنى فوقه ظاهرُ

قالت فإن البحر من دوننا .... قُلت لها فإنى سابح ماهرُ

قالت فحولى إخوة سبعة .... قُلت فإنى غالب قاهرُ

قالت فليث رابض دوننا .... قُلت فإنى أسد عاقرُ

قالت فإن اللّه من فوقنا .... قُلت فربى راحم غافرُ

قالت لقد أعييتنا حجةً .... فأتِ إذا ما هجعَ السامرُ

وأسقط علينا كسقوط الندى .... ليلةَ لا ناهٍ ولا سامرُ

ويقال إنه بعدَ أن كُشف سرُّ لقائهما، أسرعوا فى التفريق بينهما وزوجوها برجل آخر من قبيلة بعيدة، فحزنت وحزن عليها حزنًا شديدًا، وظل يضمد جراحه من فراقها سنوات، وانقطعت صلة وضاح اليمن بروضة حتى كاد ينساها، لكنه تقابل يومًا مع رجل من البلد الذي سافرت إليه بعد زواجها، فسأله عن روضة فأخبره بأنها قد أصابها الجذام، وأنها قد ألقيت مع المجذومين ونفيت إلى مكان منعزل، فتفتحت جراحه حزنًا عليها وعاوده الحنين والألم عليها، ثم علم بعدها بأيام أن روضة ماتت، فقال فيها قصيدة طويلة مطلعها:

يا روضة الوضاح قد .... عنَّيت وضاحَ اليمن

قصد أنها قد عنَّته وأحرقت قلبه فى حياتها وبعد موتها.

وهناك مقطوعة من الأغانى القديمة التى ترددها النساء فى خولان، ربما يعود البعض منها إلى الفترات التى عاشتها روضة الوضاح، ويرى الكاتب أنها مقاربة لأشواق روضة لحبيبها، وربما كانت هذه المقطوعة إحدى تلك الأغانى التى تناقلتها الذاكرة الشعبية على لسان روضة ووضاح وتوراثها النساء وكبار السن إلى وقتنا الحاضر. وليس بالضورة أن ننبها لذلك العصر فهي على العموم تعكس الحس الجمالي في الشعرالشعبي في خولان وماحولها والتي غالباً ما يكون بطلها الحب والغرام بين الرجل والمرأة وهي سمة موجودة في أغلب مناطق اليمن وتقول هذه المقطوعة التى احتفظت بها الذاكرة الشعبية فى خولان:

دحديبتى دحديبه

نزلت وأنتى ديبه

أدى لأخى خطيبه

ياقلم يا أبن القلم

يا راعى الغنم

وإخوتى ثمانية

يلعبو خولانيه

ياريتنى قشقوش

وإلا غطاء منقوش

والبنت فى الطاقة يانوش

يا صاحب الطاقة

غلق طاقتك

والبنت فى القرية

فوقها حليه

تسوى أربع ميه.



تعبيرية لأحد لوحات الكاتب

وضاح اليمن وأم البنين

وأما هذه الحكاية فيقال إنها كانت الحب الثانى لوضاح اليمن بعد أن فارقته روضة- رغمًا عنها وعنه- وكان هذا الحب الثانى الذي دفع حياته ثمنًا له، والحب الثاني بطلته تعرف بـ(أم البنين)، وقد نشأ معها فأحبها وأحبته حتى إذا كبرت حجبت عنه فلم يرَها. ويقال كانت أم البنين ابنة عمه ، وبعد فراق روضة أحب ابنة عمه (أم البنين) التي عاش معها طفولته ويقال كانت فائقة الجمال، وقد أحبها وأحبته منذ الصغر، وكانت تهيم به رغم حُبة لروضة، لكن أم البنين لم تدم له أيضًا؛ فقد صادف أن ذهب الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى الحج فى عام من الأعوام والتقى ببعض الحجاج والشعراء، فبلغه وصف جمال (أم البنين) ويقال كانت في رحلة حج مع والدها فطلبها وتزوجها ونقلها معه إلى الشام، فكاد وضاح أن يجن، وطال عليه البلاء فهزل

جسمه ونحل عظمه، ولم يطق صبرًا على فراقها فخرج مسافرًا إلى الشام[1].

وفى الشام حيث عاصمة الخلافة جعل وضاح يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك فلم يجد حيلة للوصول إليها، حتى رأى يومًا جارية تخرج من القصر، فاستأذنها للحديث وقال: هل تعرفين أم البنين؟ فقالت: إنها مولاتى. فقال لها: إنها ابنة عمى وإن أبلغتيها بوجودى فسوف تسر وتفرح بذلك، فقولى لها سرًّا دون أن يعرف أحد، وأبلغيها أن وضاحًا فى الشام يدور حول القصر يريد لقاءك. فذهبت الجارية إلى القصر وأبلغت أم البنين فتفاجأت وفرحت بالخبر وقالت للجارية: اخرجى إليه وقولى له: اجلس فى مكانك حتى يأتيك رسولى، ولن أدعك تنتظر كثيراً. ودبَّرت حيلة لدخوله إليها فى صندوق إلى القصر، فمكث عندها حينًا فكانت إذا أمنت الخَلْوةَ أخرجته إليها وأطعمته وأشربته الحُب، وإذا جاء أحد أدخلته فى الصندوق ثانية.

وذات مرة أهدى رجل إلى الوليد بن عبد الملك مجموعة من الجواهر، فقال لأحد الخدم: اذهب بهذه الجواهر إلى أم البنين. فدخل الخادم إليها من غير استئذان فأخفت وضاحًا فى الصندوق، فلمح ذلك الخادمُ فأعطاها الجواهر وطلب منها قطعة من الجوهر، فرفضت إعطاءه فخرجَ حانقًا عليها، وأبلغ الخليفة بما رآه من أمرها، فقال له الخليفة: كذبتَ، وأسرع إليها فجلس بجوارها وتلفَّت فى حجرتها، ثم طلب منها أحد الصناديق لحاجة له، واختار الصندوق الذي وصفه له الخادم، فقالت له: أنا وما أملك لك. فجلس على الصندوق الذي فيه وضاح وقال لها: أريد هذا الصندوق. فقالت له: خذ واحدًا آخر فهذا الصندوق فيه حاجيات من أمور النساء، فقال: وما أريد غيره، فقالت: هو لك. فأمر الخليفة بحفر حفرة كبيرة أوهم الناس بأنها بئر، حتى إذا خرج الماء قال لغلامين من غلمانه: اذهبا بهذا الصندوق وضعاه فى ماء البئر، فإذا غمره اردموا البئر. ويقال إنه دفن الصندوق فى البئر ولم يفتحه ولم يعرف عنه شيئًا. ويقال إن حكمة

(١) إنظر– ديوان وضاح اليمن – محمد بهجت الأثري – أحمد حسن الزيات – جمعه وقدمه وشرحه محمد خير البقاعي– بيروت – دار صادر – ١٩٩٦م .

الأمير من ذلك أنه لم يكن يريد أن يعرف ما فى الصندوق حفاظًا على مشاعره تجاه أم البنين فقد كان يحبها حبًّا شديدًا. وقيل: كان على علم بوضاح ابن عمها وجماله وحب كليهما فقرر دفنه والخلاص منه.



لوحة تعبيرية من أعمال الكاتب زيت على قماش ٥٠في ٧٠سم

الولى والزوج الأعمى

كان يعيش فى إحدى القرى رجل فى العقد الثالث من العمر، توفيت زوجته فقرر الزواج، فتزوج من فتاة فى منتصف العمر كانت قد تزوجت رجلاً قبله. فأشار عليه بعض الناس بأنها الأنسب له، فطلبها فوافقت على الزواج منه وطمعت فيما عنده من مال، فقد كان يملك الكثير ولم ينجب أولادً من قبل، وسيتيح لها ذلك أن تكون وريثته الوحيدة، فتزوجته وعاشت معه، إلا أن هذه الزوجة كانت تعشق رجلا آخر وتقابله فى السر، وقد اتفقت معه على الزواج فى حال توفى زوجها المسن والذي تنتظر وفاته بفارغ الصبر لترث أمواله، لتكون بعد ذلك لعشيقها، فكانت تدعو وتتمنى أن يأتى أجله بسرعة، وقد طال عليها الآمد ولم يقبل دعائها. فكانت تتردد على قبر أحد الأولياء الذي يُعتقد بأن له القدرة على تحقيق الأمنيات. فكانت تداوم بكثرةٍ زيارته والتقرب إليه ووضع البخور بجواره، لعلة يهديها إلى طريقة تحلُ بها مشكلتها. وكان الناس يتناقلون الأخبار عن هذا الولي وقصصًا كثيرةً عن مساعدته لمن يتقرب إليه، وروايات

تفيد بأنه يتكلم لمن يزوره فيوجه له حديثاً بالتوجيه والنصائح. واستمرت هذه المرأة فى زيارتها لهذا الولى، وكان زوجها يراقبها، فوجد أنها كثيرة الذهاب إلى ضريح هذا الولى، فقرر الاختباء بجوار ضريحه لمعرفة ما تقوله زوجته في مناجاتها له، فاختبأ فى مكان داخل قبة الضريح وانتظرها حتى وصلت إلى ودخلت القبة، وبدأت تهمهم بالكلام والطلبات فسمعها وهى تطلب منه أن يخلصها من زوجها المُسن، وأن يحقق لها أمنيتها بالزواج من عشيقها الذي تحبه ، فهمس إليها زوجها وكأنه يتحدث بلسان الولى: هل أنت زوجة فلان؟ ففرحت بإجابة الولى وقالت: نعم، فقال لها: عليك أن تنعمى عليه كل يوم باللحم والسمن والعسل لمدة ثلاثة أشهر، وسوف يسبب له ذلك العمى تدريجياً. حتى إذا اقترب الشهر الثالث فسوف يصيبه العمى ولن يرى نهائياً وحينها إدعي معشوقك يأتيك إلى المنزل فى أى وقت، وهذا ما أستطيع عمله لك. وانقطع الصوت، فخرجت وعادت إلى المنزل مسرورة ببشارة الولى[1].

ثم جمعت الزوجة ما استطاعت من السمن والعسل والذبائح، واستمرت تطعم زوجها كل يوم، وهو يتسلى بغبائها ويتناول أفخر الطعام، ويسألها عن سر هذا الاهتمام الكبير: فترد عليه بأنها تريد أن تعيد له شبابه، وتخاف عليه من المرض، وكان كلما استنفد من المدة المحددة يقول لها إنه يشعر بأن نظره يضعف، فتزداد هى فرحًا بالنتيجة، وتوفرُ له أجود أنواع السمن والعسل وتذبح له الطيور والخراف وتنفق عليه كل ما تملك، وتمر الأيام وهو يشكو إليها ضعف نظره حتى اكتملت الثلاثة الأشهر، قال لها إنه لم يعد يرى شيئًا، وأنه فقد نظره تمامًا، وطلب منها أن تقف بجانبه إلى أن يختار الله له ما يختار ففرحت بذلك التطور والنتيجة.

وكان زوجها يمثل دور الأعمى وهو مبصر، فاطمأنت وبدأت تدعو عشيقها إلى المنزل، فيأتي ويدخل المنزل دون خوف، وكان يمر بجوار زوجها وهو يدعى أنه لا يرى

(١) وردت الحكاية على لسان الجار يحي عبد الله قاسم الحسام كان يحكي مع والدي ومع الجار محمد عبده صالح التريكي رحمة الله عليه.

شيئًا، مما زاد من اطمئنان الزوجة وعشيقها، حتى إذا جاء يوم فدعت عشيقها إلى غرفتها لعمل ما يعمله العشاق، تسلل إليها وبيده صميل من شجر العوسج تملؤه العُرى فأخذ يضربهما بالصميل ويقول:

يا صميل العوسج .... عدل الأعوج

ويا سمن ويا عسل .... خلى الشيبة بطل

وهكذا إنتقم منهما وأشبعهما ضربًا ثم طلقها، وأخرجهما من المنزل مكسّرى العظام، فقد كانت تعيش فى وهم مع عشيقها، وخسرت كل شىء ووقعت فى الفخ الذي نصبه لها الزوج.



لوحه تعبيرية من اعمال الكاتب

المرأة والجنس

يروى أنه كان هناك صديقان يعملان فى مزرعة بعيدة عن أهليهما، وكانا يذهبان إلى العمل لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر ثم يعودان إلى القرية التى يعيشان فيها فيقضيان شهرين أو ثلاثة ثم يعودان إلى العمل ثانية. وهكذا إستمر بهم الحال لسنوات، وذات

مرة حصل بين الصديقين حوار حول النساء أو الزوجات وما يحببن فى الزوج، وكان الأول يرى أن المرأة مهما أعطيتها واعتنيت بها فلن تحب زوجها ما لم يعطها حقها من المعاشرة والحب على الفراش، وأنها ستترك زوجها وتتخلى عنه فى حال قصر بذلك. وكان الثانى يرى عكس ذلك، وأن المعاشرة ليست كل شيء، بل مكملة فقط للكثير من الأشياء ويمكن الاستغناء عنها، وأنه يمكن للزوج أن يعيش مع زوجته بحب ووئام من مادام بينهما الحب والاحترام والتعامل الطيب.

فقال الأول للثانى: فلنتراهن وإن كنت لا تصدق كلامى فلتجرب هذه المرة عند عودتنا إلى القرية، ولتدبر أى كذبة على زوجتك لتقنعها أنك لم يعد لك قدرة على فعل ما يفعلة الأزواج، وأخبرنى ماذا حدث معك بصدق وأمانة. ففعل وقال لزوجته إن حادثًا مؤسفًا أصابه أثناء عمله، وإن أحد الجامل فى المزرعة التي يعمل بها لحق به وأكل عضوه الذكرى وإنه الآن من غير عضو. ففزعت زوجته لهول الأمر وقالت له: وهل أكله بأكمله؟ فقال لها: لم يبق منه شيء [1].

وكانت عندما يأتى موعد النوم يجانبها ويلتفت إلى الجهة الأخرى، وتحاول زوجته أن تستفسر إذا ما كان بقي من عضوه شيء ولو بسيطا، فيقول لها: إن الجمل انتزعه بالكامل، ولم يبق منه شيء. وهكذا مرت الأيام وبدأت تظهر علامات استغناء الزوجة عنه، وإهمالها لأمره، فأصبحت تقلل من الطبخ وإعداد الطعام، ومرت الأيام فتركت غسل الملابس ولم تعد تغسلها له، ومن ثم لم تعد تتكلم معه ولم تعد تُعره أي إهتمام وهكذا أصبح الرجل مهملاً، فقال لها: لماذا تفعلين هذا كله وبيننا حب وعشرة طويلة؟ هل نسيتِ كل ما كان بيننا من أعوام؟ فقالت صراحة فى وجهه: إن الرجل من غير عضو لا قيمة له، بل وأضافت أنها لم تعد تطيق العيش معه وتريد الطلاق، فما كان منه إلا أن قال: لا تقلقي من هذا الموضوع، فقد سألت عن أطباء لهذا لإعادته كما كان. وقد دلونى على طبيب فى منطقة بعيدة يعيد للناس العضو المفقود أحسن مما كان

(١) وردت الحكاية على لسان الصديق ماجد عبد الله القفري من أبنا قرية السرايم محافظة إب عزلة المكتب.

ويجعله ينمو من جديد وبالشكل الذي نريده، ولكنه يتطلب الكثير من المال، وليس لدى المال الكافى له، فأخرجت المرأة ما تملكه من مجوهرات وذهب وقالت له: اذهب إلى السوق وقم ببيع هذه الجواهر، واذهب إلى هذا الطبيب ولا تعد إلينا إلا بعد أن ينمو ذكرك ويكتمل، ولا دخول لك إلى المنزل بدونه. فقال لها الزوج إنه سمع أن هناك نوعين من الأعضاء، نوع صنعاني وهو طويل رشيق، ونوع ذمارى وهو قصير سميك، وخيَّرها هل تريد الصنعاني أم الذماري؟ فقالت: خليه يصلح لك واحد صنعانى مذمر، بمعنى: اجمع الاثنين مرة واحدة، فضحك الرجل منها وعرف صدق رأى صديقه، وأبلغها الحقيقة وأنه بخير، وأنه كان فقط رهانًا بينه وبين صديقه، وأعاد لها الذهب والمجوهرات.

الرازم

يروى الناس فى اليمن الكثير من الحكايات حول الرازم، ولكن قبل أن نسرد بعض هذه الحكايات سوف نتطرق إلى معنى مصطلح الرازم بالعربية الفصحى حتى لا يستغرب القارئ من خارج اليمن ويحتار فى معناه. فالرازم هو عبارة عن كابوس يراه النائم يجعل جسمه فى حالة شلل تام لا يقدر فيه على الحراك أو الصراخ، وهو ما يقابل مصطلح (شلل النوم) كما يعرف فى أغلب أنحاء العالم.

ويعتقد بعض اليمنيين أن سببه هو القرين الذى يعيش مع الإنسان ويقترن به يأكل من أكله ويشرب من شربه، وفى حال تعوَّد هذا القرين على تناول ما يأكله قرينه من الإنس ثم قطعه عنه فإنه يأتيه فى الليل على شكل كابوس يشل جسمه ولا يهدأ حتى ينفذ له طلبه، وبما أن غالبية اليمنيين يتناولون القات ويمضغونه نهارًا فإن الإعتقاد السائد بأن الرازم أيضًا يصبحُ مدمنًا على تناول شجرة القات كونه مصاحباً للإنسان وقرينه، وفى حال توقف الشخص عن مضغ القات فإن شبح الرازم سوف يأتيه ليلاً ويفزعه بالكثير من الكوابيس، ويسود إعتقاد شعبي مقابل ، بأن على الشخص الذي يأتيه الرازم ليلاً فإن علاجه أن يتناول الكثير من القات اليوم التالي ليعوضه عن

اليوم السابق، كي يتركه في حال سبيله ينامُ بأمان. ويروي الناس أوصاف متعددة للرازم منها: أن يحلم الشخص بأنه يسقط من جبل شاهق فيفزع ويصرخ للنجدة، ومنها أن يحلم أن موقفا صعبًا حصل له كالضرب أو الغرق، وغيره من مئات المصاعب والأهوال التى تختلف من شخص إلى آخر، وهنا تظهر الدعابة عند اليمنيين فينسجون حوله الكثير من الحكايات الفكاهية، فيقول أحدهم: جائني على هيئة رجالٍ يمسكون بي فيصيبني شلل وأصرخ ولا سمعني أحدوآخر يقول جائني على هيئة عبد اسود يضربنى بالسوط ولا أستطع الهرب، ويقول آخر: يشعرني بأني أسقط من شاهقٍ وصرخت لكى ينقذنى أحد حتى صحوت من النوم، ويقول آخر: كنت فى صراع واشتباك مع أحد الأعداء ولم أتمكن من ضربه وهو يضربنى، وهكذا والامثلة كثيرة.

وسوف أورد لكم حكاية من حكايات الحب والعشق الفكاهية حول الرازم وهي واحدة من مئات الحكايات الفكاهية المشابهة لها فى اليمن..

يقال إنه فى يوم من الأيام كان هناك امرأتان تتحدثان فيما بينهما عن الرازم، فقالتا إنهما لم يحصلا على القات فى ذلك اليوم وأنهما خائفتان أن يأتيهما الرازم فى تلك الليلة، وبقيتا تتحدثان عن الرازم، وكيف يتصور لهما بينما هناك رجل من الجيران يجلس خلف الجدار بالصدفة فسمع حديثهما حول عدم حصولهن على القات ذلك اليوم، فقالت إحداهما إنها عندما تترك القات يأتيها الرازم على هيئة رجل يدق عليها الباب فتفتح له فيجثم على جسمها فلا تتحرك خوفًا منه. وقالت الأخرى إنها لم يسبق لها أن جاءها الرازم كونها لا تترك القات يوماً، وأنها تخاف أن يأتيها فى ذلك اليوم لكونها لم تحصل على القات. فأشارت عليها صديقتها بألا تخاف إذا جاءها الرازم وأنه شيء طبيعى لا يؤثر عليها، فخطرت ببال الرجل فكرة، أن يذهب إلى صديقتها فى الليل ويدق عليها الباب ويدعى أنه الرازم، فذهب إليها ليلاً ودق الباب فأجابت: من وراء الباب، فقال لها: أنا الرازم، فظنت أنها تحلم وأن الرازم قد جاءها، ففتحت له الباب وذهبت وعادت للنوم، فدخل عليها الرجل وأخذ منها ما

يأخذه الرجال من النساء، وهى صامتة دون حراك، تنفذ ما أشارت عليها صديقتها بعدم الحراك مهما كان، ولكنها أعجبت به واستمتعت بوجوده ولم تحرك ساكنًا وتركته يفعل ما يريد حتى فارقها وخرج وأقفل الباب.

وفى اليوم التالى جاءت إليها صديقتها وقد أحضرت معها القات، وأعطت لصديقتها مجموعة من الأغصان لتمضغها فقالت لها صديقتها: لا أريد أن أمضع القات اليوم. فقالت لها: سوف يأتيك الرازم، فردت عليها: فليأت الرازم لقد كان ممتعًا جدًا فى الليلة الماضية، وحكت لها قصة الرازم الذي جاءها.

فقررت الأخرى ترك القات إذا كان سيأتيها رازم بهذه المواصفات، وكان الرجل يستمع إليهن سرًا فى نفس المكان، فاطمأن لذلك وذهب إلى صديقتها الأخرى، وهكذا خدع الاثنتين وظل يترد عليهن. وهي تنئى عن المحضور وربما من باب التسلية فقط.



لوحة للفنان التشكيلي اليمني عبد الجبار نعمان

عاشق ظبية النميرية

كانت ظبية النميرية شاعرة مشهورة من شاعرات اليمن، وكانت وحيدة والديها، جميلة إلى درجة أن سمع بها كل من فى الجزيرة العربية، وزيادة على جمالها كانت شجاعة إلى درجة أن والدها أوكل إليها حراسة مزرعته وبساتينه التى كانت مطلة على أحد الطرق العامة. ومع مرور الوقت تعرفت على أحد الشباب فأحبها وأحبته، وكان

راعياً متنقلاً يملك عشرين جملاً فذهب إلى والد ظبية لقصد خطبتها، فوافق والدها وخطبها إليه ولكنه طلب شرطًاً عالياً أربعين جملاً مهراً لها، فوافق الشاب على ذلك وذهب يجمع ما طلب والدها، فتعسَّر عليه ذلك، وطالت أسفاره وعظم اشتياقه لظبية، وطال كذلك انتظارها وشوقها إليه.

وذات يوم مر من أمام مزرعتها دون أن يستكمل القَدرَ المطلوب من الإبل فدعته إلى المزرعة، ووعد حبيبته أن يجمع ما اشتُرط عليه مهما كان الثمن، ولشوقهما للقاء حدث بينهما ما يحدث بين حبيب وحبيبته من المحظور، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن حملت، وسافر المحبوب، وانتظرت ظبية مصيرها المحتوم بالقتل على يد والدها غسلاً للعار، ولكن حبيبها كان شهمًا ووفيًا بالرغم من فقره، فعاد إليها بعد شهرين وقد أضاف إلى إبله العشرين عشرة أخرى، وعندما مر بالرابية المعهودة سمع صوتًا نسائيًا يستكثر عدد الإبل، وإذا بذلك الصوت يردد شعرا :

أمانة الله أمانة ألف أمانة ميات

.... أمانة الله يشدوها على الكوميات

أمانة الله يا ذا العيس يا ماويات

.... قلى لذاك الصفير يا حسين الصفات

قلى لذي تلم زرعه وصابح نبات [1]

... أن بايجى يصربه وإلا فهو للمات

سمع المحبوب ذلك الصوت فعرف مناجاة ومناشدة محبوبته، التي تمر بموقف خطير يحدد مصير حياتها. فانطلق بسرعة إلى حصن دار أبى ظبية، وبلا تردد عقر كل ما عنده من الإبل، أمام بوابة منزل والدها. فاضطر أبو ظبية إلى استقباله والترحيب به لما عرف عنه من الشهامة التى تفرضها القبيلة ومن لوازمها نحر الإبل أمام الدور، وقد عرفت ظبية النميرية إرغام والدها بتزويجها ممن أحبت ولأنها كانت شاعرة قالت على لسان كل أب يرزق بالبنات ولا يرزق بالذكور:

(١) تلم : بمعنى حرث أرضه وأصبح نبات _ أي أنه عاشرها وأصبحت حامل منه.

حملتنى حمل جاير يانميم العصب..

أن سرت احطك فسأله وان حملتك غضب..

اليوم أموال مرشد من سلب له سلب..

وتزوجت بحبيبها وعاشت معه حياة كريمة. ويقال إن الشاعرة ظبية النميرية عاشت فى نفس الزمان الذى عاشت فيه الشاعرة اليمنية المشهورة غزال المقدشية، وكانت ظبية مشهورة أيضًا بالرغم من بقائها فى القرى، بينما كانت الشاعرة غزال المقدشية تتجول فى المدن واشتهرت سمعتها فى أغلب الأحياء والمدن، ويؤكد لنا أديب اليمن البردونى هذه الحكاية فى كتابه (رحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه) كما يؤكد أيضًا أن حكايتها كانت من الحكايات التى تحكيها له والدته، وهذا يدل على أن عبدالله البردونى كان من أسرة تحب الشعر والحكايات، ولهذا لمع نجمه في الأدب الشعبي، وجمع بين الشعر والأدب، ويعود له الفضل فى تدوين الكثير من الحكايات الشعبية فى اليمن، فنقل الحكاية على لسان والدته التى يبدو أنها عاصرت زمن الشاعرة ظبية النميرية التى يقال إنها عاشت فى أوائل القرن العشرين، وهذا يوافق عهد والدة البردونى.



لوحة من أعمال الكاتب

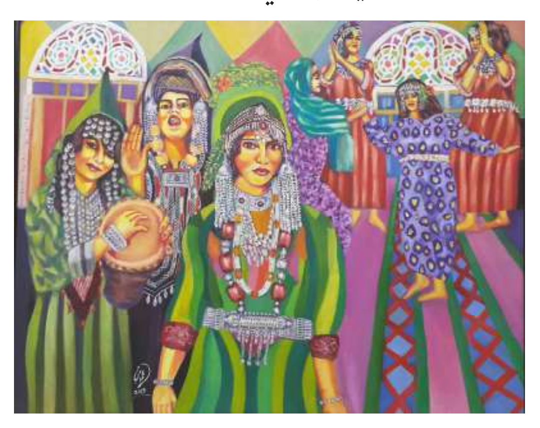
زواج اثنتين مرة واحدة

كان هناك شيخ حكيم، وله ابن شاب مدلل، وعندما عرض عليه والده الزواج لم يوافق على الزواج بواحدة كما يفعل بقية الناس، وقال إنه يريد أن يكون غير الناس وأن يتزوج اثنتين فى يوم واحد! حاول والده أن يقنعه بالزواج من واحدة فقط لكنه لم يوافق على ذلك، وبعد مشاورات طويلة عقد والده اتفاقًا معه ينص على أن يتزوج الشاب الزوجة الأولى فى أسبوع ويتزوج الثانية فى الأسبوع التالى.

قبل الشاب عرض الزواج من الفتاة الأولى فذهب الأب إلى الفتاة وأوصاها ببعض الوصايا التى إذا عملت بها حافظت على زوجها، وإن لم تعمل بها فقدت زوجها وستقف إلى جوارها زوجة ثانية حسب الوعد. فوافقت الفتاة وعاهدته أنها سوف تنفذ وصايا عمها من أجل أن تمنع زوجها من الزواج بالفتاة الثانية. وشدد عليها الأب وقال لها: لقد وعدتُ ابنى بالزواج بالثانية، فإن لم تفعلى ما قلتُ لك فإنى سأضطر للوفاء بوعدى وأزوجه بالثانية. وعندما وصلت الفتاة إلى منزل العريس وحصل بينهم مايحصل بين الأزواج من معاشرة زوجية، فقد كانت نعم العروس التى لا ترحم، فلم تتركه يرتاح ولو لساعة واحدة، فأصابه الضعف والوهن وضعف جسده ضعفًا شديدًا حتى لم يعد يستطيع المشي على قدميه بتوازي، ولم تعد رجلاه تحملانه، فحاول التهرب منها، ولكنها كانت ترجع إليه بنفسها وتقول له: ماذا بك ألست رجلاً ألا تستطيع تنفيذ متطلبات الزواج؟ أنت لم تفعل شيئًا، الزواج يحتاج أن تكون قويًا أكثر من هذا بكثير. فكان كلما حاول التهرب منها لحقت به وطلبته ثانية. واستمر الحال هكذا بنفس الطريقة لثلاث ليالٍ، وكلما جاءت ليلة كانت عليه أشد من سابقتها. وفى الليلة الرابعة قالت له زوجته إن عليه إثبات رجولته وإلا فإنها سوف تبلغ أسرتها أنه ليس رجلاً وأنه لا يصلح للزواج. فبذل الشاب كل طاقته حتى أنه كان يستلقي على الأرض كالميت، فيقع الذباب على وجهه فيدعو عليه قائلا: ابتعد عنى الله يجعل لك زوجة ذبابة مثل هذه المرأة.

وأصبح حاله لا يساعده حتى على ذَبِّ الذباب عن وجهه. وفى صباح اليوم التالى قرر الهرب من المنزل إلى بيت خاله فى القرية الأخرى، فلم يعد يطيق التحمل والاستمرار على هذا الحال، فخرج من منزله متخفيًا يجرى بسرعة كى لا يراه أحد. وعندما كان يجرى هاربًا فى الطريق وجد حمارًا يعدو ووراءه وكانت الإتان- أنثى الحمار- تلاحقه، فصرخ يقول للحمار: اهرب إلى بيت خالك، وأنا سأهرب إلى بيت خالى، هذا هو الحل، أنا لا ألومك أيها الحمار، وقد جربت الوضع بنفسى فليس هناك مفر من هذا الحال.

وعندما وصل إلى بيت خاله تخفى فيه فخرج والده للبحث عنه فى القرية، واستمر البحث عنه من الأهل حتى اكتشف أحدهم وجوده فى بيت خاله، ولم يبق على موعد الزواج من الفتاة الثانية إلا يوم، فذهب والده إلى بيت خاله وطلب منه العودة إلى المنزل للزواج من الزوجة الثانية حسب الوعد، وقال له إن الفتاة الثانية تنتظره بفارغ الصبر، فما كان منه إلا أن قال لوالده: يا أبى أما عن الزواج بثانية فلا داعي له، بل واحدة مثل بقية الناس، هو الخيار الأفضل. وإذا كان هناك طيبة نفس فإن فتاة واحدة تكفى قرية بأكملها. ومنها جاء المثل اليمنى (إذا فى طيبة نفس واحدة تكفي قرية) وأصبح هذا مثلاً يستخدمه الكثير من الناس في حال صادفهم موقف يطمع فيه الشخص بالحصول على قسط أكثر من غيره في أي شيء والكثير لا يعرفون قصته.



صورة لوحة من اعمال الكاتب

الفتاة التى تخاف من الزواج

يقال إنه كان هناك تاجر شيخ كبير من أغنياء الناس، وكان له فتاة جميلة يتهافت الشباب للزواج منها، حتى تقدم إليها أحدهم ووافق عليه والدها، ولكنه عندما تزوجها تبين أنه مغفل، فقد استخدم معها طريقة عنيفة فى أول ليلة من الزفاف، فخافت البنت من الزواج وهربت إلى منزل والدها وأصابها المرض والخوف، فطلب والدها من الشاب التخلى عنها فطلقها الشاب وتركها لحال سبيلها، ولكن الفتاة تأثرت من الحادثة فهزل جسمها وأصابتها حالة نفسية جعلتها تنطوى على نفسها، فأصبحت تكره كل الرجال ولا تحب الاختلاط بأحد، وأغلقت على نفسها غرفتها، فأخذها والدها إلى الكثير من الأطباء والعرافين لعلاجها، وكان الجميع لا يعرفون حلاً لمشكلتها، فدله أحدهم على رجل حكيم يعيش فى قرية بعيدة، فذهب إليه وحكى له قصتها.

قال له الرجل الحكيم: إن علاجها الوحيد هو الزواج مرة أخرى من شاب يدللها ويحببها فى الرجال بحيث تزول عنها هذه العقدة ويذهب خوفها من الرجال، فظل والدها مترددًا إذ كيف سيعرض عليها الزواج وهى تكره الزواج ولا تقبل به! وعندما وجد والدها أن حالها يزداد سوءا قرر أن يعطى مكافأةً قطعةَ أرض زراعية كبيرة لمن يستطيع أن يقنع ابنته بالزواج. فكان الشباب يرسلون أمهاتهم وأخواتهم إلى منزل الشيخ فيحاولن التقرب من الفتاة وإقناعها بالزواج، لكنها ترفض وتصرخ فى وجوههن بل وتطردهن من المنزل. ومرت الأيام، وأرسل إليها الكثير من الناس أهاليهم لإقناعها طمعًا فى المكافأة والأرض وفى القرب من والدها الغنى، وكان هناك شاب فقير لكنه خلوق ومحبوب وذكى، وكان يتمنى أن يحصل على هذه الفتاة الجميلة التى طالما سمع عنها وعن جمالها، ولكنه لم يكن يحلم أن يوافق والدها عليه، فانتهز الفرصة وأرسل أمه إلى والدها وقال لهم إنه يريد التقدم للفتاة وإنه الوحيد الذى يقدر على إقناعها وما عليهم إلا أن يتركوا له الفرصة فقط ويوافقوا عليه. فوافق والد الفتاة فلم يعد يهمه الفقر أو الغنى وأصبحت سعادة ابنته وشفاؤها من العقدة همَّه الأول والأخير، فأرسل الشاب أخواته من البنات إلى الفتاة وطلب منهن أن يقنعنها أن هناك شيئًا غير الزواج وهو

الوزن، ولكن عليهن أولاً أن يتقربن منها ويصاحبنها ويلعبن معها كالأطفال وأن يخرجنها من جو الاكتئاب إلى جو المرح والسعادة، فكانت أخواته يترددن على الفتاة كل يوم فيرقصن معها ويسلينها، حتى وجد والد الفتاة أن ابنته بدأت تتحسن، ومر أكثر من أسبوع على صداقتهن لها وتأكدن من حبها لهن، فسألت الفتاة صديقاتها الجدد عن سر سعادتهن الدائمة، ولماذا هن مرحات ومسليات على غير بقية النساء؟ فقلن لها إن السر فى أنهن لم يتزوجن بل فضَّلن الوزن على الزواج، فسألت الفتاة: ما هو الوزن؟ فقلن لها إنه شىء آخر غير الزواج، وهو اختيار شاب يوزن الفتاة ويسعدها ويعيش معها ويلعب فقط، فالوزن مختلف جدًا عن الزواج وإن كل النساء السعيدات فى العالم لم يتزوجن بل اخترن رجال الوزن فقط، وأنهن لم يتزوجن بل أرسلهن والدهن للوزن وهو شىء جميل أفضل من الزواج بألف مرة، وهو سر سعادتهن.

ومرت الأيام وتيقنت أخوات الشاب حبها لهن فعرضن عليها أن توافق على أخيهن فى حال طلبها من والدها للوزن، وأن توافق لكى تأتى للعيش معهن فى القرية المجاورة التى تمتلئ بالسعادة والمرح، ولأن الفتاة قد أحبتهن وأحبت صحبتهم وافقت على ذلك فأرسل الشاب والدته إلى الشيخ والد الفتاة وتم تحديد موعد للزواج، وتم إعداد عرس حضرته نساء العائلة وأخوات الشاب وأهله الذين طلب منهن إخفاء السر عن الفتاة، وعملن على إسعادها والمباركة لها على الوزن بالترفيه والرقص، فكانت الحفلة من تخطيط الجميع، ولم تشعر الفتاة بالخطة التى أُعِدَّت لها، وعندما وصلت الفتاة إلى منزل الشاب استقبلها بحفاوة وظل يرقص معها ويسليها ويلعب بكل الطرق، إلى اليوم التالى والثالث، ثم طلب منها أن يزنها بعمل مساج لها بعدما أتعبها الرقص وأنهكها اللعب، فكان يرقص معها كل يوم ثم يدلك جسمها حتى جذب مشاعرها نحوه، ثم أقنعها بأن عليه أن يتأكد من وزنها بشكل صحيح، وأن ذلك يحتاج إلى تركيب الميزان ويقصد بذلك معاشرتها، فوافقت الفتاة على ذلك وأعجبت بالوزن وبالميزان، وبعد مرور عشرة أيام جاء إليها والدها فى زيارة ليطمئن عليها، فقد بلغه أنها بخير، فحمل معه ورقة التنازل عن الأرض ليعطيها لزوج ابنته، ولكنه أحب التأكد والاطمئنان على ابنته

فاستقبلته الفتاة ووجها ملىء بالسعادة والبهجة، وقد عادت إليها نضارتها وجمالها، فسألها والدها عن حالها وهل هى مرتاحة فى هذا الوزن، فقالت له: يا والدى الوزن شيء جميل وممتع (أمانه عليك لا تمشى قبل ما تخلى أحمد يوزنك) فضحك والدها وأدرك سيطرة الشاب على الوضع، ورد عليها قائلا: (لا يوزنى ولا أوزنه) وإذا جاء زوجك أعطيه هذه الورقة وقولى له: هنيئًا لك الأرض، والوزن ووالدى يسلم عليك.

ومع مرور الأيام أدركت الفتاة أنه لم يكن وزنًا وإنما كان زواجًا، ولكنها كانت قد أحبت الشاب وأعجبت به فاستمرت معه وعاشت معه حياة سعيدة.



لوحة من أعمال الكاتب

الشاعرة دعد ودوقله

يقال إنه كانت هناك ملكة شابة جميلة تدعى دعد الحِميَريَة من أبناء ملوك حِميَر فى اليمن، وكانت وشاعرة فصيحة جمالها لا يوصف، وتغلب كل الشعراء بمهارتها وبلاغتها. فتقدم إليها الكثير من الملوك والخطاب برغبة الزواج منها، ولكنها رفضت كل المتقدمين إليها وحلفت ألا تتزوج أحدًا إلا إذا كان يفوقها فى الفصاحة

والبلاغة والشعر، فسمع بها الشعراء فى كل أقطار الجزيرة العربية فنظموا لها القصائد وسافروا إليها وكثر زوَّارها من الشعراء، فلم يعجبها شيء مما قالوا، فذاع صيتها وخبر جمالها وفصاحتها بين العرب، وقال فيها الشعراء الكثير من القصائد يصفون جمالها، فسمع بها شاعر يدعى (دوقله) فنظم قصيدة لها وانطلق راكبًا خيله متوجهًا إلى اليمن، فالتقى بأعرابى فسأله عن وجهته فأخبره أنه ذاهب إلى الملكة دعد، لكن الأعرابى كان شاعرًا أيضًا، وكانت الملكة دعد وجهتَه ومبتغاه، فقال: أسمعنى القصيدة. فأنشد الشاعر دوقلة القصيدة، فأعجب بها الأعرابى إعجابًا شديدًا، وترجاه أن يكررها على مسامعه، فشك دوقله أنه يريد حفظها وربما يغدر به ويقتله، فقرأها عليه ثانية ولكنه أضاف إليها أبيات تدل على أنه القاتل في حال غدر به. وعندما انطلق وودعه لحق به الأعرابى متخفيًا وغدر به وقتله، وبعد أن قتل دوقلة ذهب ليقابل الملكة دعد ليقول لها القصيدة، فلما وصل إليها استضافته فى مجلسها وأمام حاشية القصر وطلبت منه أن ينشد عليهم القصيدة، فأنشد يقولها أمامها، ولكنها فجأة أوقفته وصرخت فى الجنود: اقتلوا هذا الخائن لقد قتل بَعْلى. تقصد أنه سرق القصيدة وأن المقتول كان يوشك أن يكون زوجًا لها، وقالت لهم إن هذا الأعرابى ليس قائل القصيدة، وإن الأبيات توضح ذلك فى سياقها، فقائلها الحقيقى جاء ذكره وذكر بلده فى القصيدة ولهجة القائل ليست لهجة بلد قائلها. حيث يذكر فى أحد أبياتها موطنه الأصلى وهو تهامة، وأشار فى بيت آخر إلى كنده، وإلى قبيلته التى ينتمى إليها، بينما كانت لهجة الشاعر الذى غدر به تدل على أنه من بلد آخر، وقد أدركت "دعد" بذكائها بعد سماعها للقصيدة أن كاتبها ليس هذا القاتل الذى كان يقف أمامها لأن كاتبها الشاعر "دوقله" كان ذكيًا فأدرج أبيات تفضح الأعرابى الذى قتله. ومن الأبيات التى كشفت قاتله:

إن تُتْهمى فتهامة وطنى..... أو تُنْجِدى إن الهوى نَجْدُ
وزَعَمْتِ أنكِ تُضْمِرينَ لنا..... وُدًّا فهلاّ يَنْفَعُ الوُدُّ
وإذا المُحِب شكا الصُّدودَ ولم..... يُعْطَفْ عَلَيْهِ فقَتْلُهُ عَمْدُ
ولقد عَلِمْتِ بأننى رَجُلٌ.. فى الصالحاتِ أروحُ أو أغدو

ومعنى الأبيات أن الشاعر من تهامة، وهي موطن ممتد من تهامة اليمن وحتى الشام، بينما الأعرابى سارق القصيدة لم يكن تهاميًا لأن القصيدة تعرف بموطن القائل، ولم يدرك ذلك اللص ولم يفطن لكون الشاعرة عارفة بلهجات الشعراء ومواطنهم، وسميت تلك القصيدة بعد ذلك (القصيدة اليتيمة) وذلك لأنها قصيدة قيلت مرة واحدة ومات صاحبها فى سبيلها. وقيل سميت بالقصيدة اليتيمة لأنها لا شبيه لها من الشعر العربى ولا أخوات لها نظرًا لقوة سبكها وروعة تشبيهاتها ومعانيها وسلاسة صياغاتها ووضوح مقاصدها، وهى قصيدة طويلة لم يقل مثلها شاعر فى تاريخ الغزل، واليكم جزءًا من القصيدة.

هل بالطُّلول لِسائِلِ رَدُّ......... أَمْ هل لها بِتَكَلُّمٍ عَهْدُ

دَرَسَ الجَديدُ جَديدُ مَعْهَدِها......فَكَأنما هى رَيْطَةٌ جَرْدُ

مِن طولِ ما يَبْكى الغَمامُ على... عَرَصَاتِها ويُقَهْقِهُ الرعْدُ

وتَلُثُّ سارِيَةٌ وغادِيَةٌ............. ويَكُرُّ نَحْسٌ بعدهُ سَعْدُ

تَلْقى شآمِيَةٌ يَمانِيَة............. ولها بِمَوْرِدِ ثَرّها سَرْدُ

فَكَسَتْ مَواطِرُها ظَواهِرَها..... نَوْرًا كأنّ زَهاءَها بُرْدُ

تَنْدى فَيَسْرى نَسْجُها زَردا.... واهِى العُرى ويَغُرُّه عَقْدُ

فَوَقَفْتُ أسألُها وليس بها.......... إلاّ المهَا ونَقانِقٌ رُبْدُ

فَتَناثَرَتْ دُرَرُ الشؤونِ على..... خَدّى كما يَتَناثَرُ العِقْدُ

لَهْفى على دَعْدٍ وما خُلِقَتْ........ إلاّ لِطول تلَهُّفى دَعْدُ

بَيْضاءُ قد لبِسَ الأديمُ أديم..... الحُسْنِ فَهْوَ لِجِلْدِها جِلْدُ

وَيَزينُ فَوْدَيْها إذا حَسَرَت.... ضافِي الغَدائرِ فاحمٌ جَعْدُ

فالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبْيَضٌ... والشّعْرُ مِثْلُ الليلِ مُسْوَدُّ

ضِدّانِ لَمّا استَجْمَعا حَسُنا... والضِدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ

وجبينُها صَلْتٌ وحاجِبُها........ خْتُ المَخَطِّ أزَجُّ مُمْتَدُ

وكَأنّها وَسْنى إذا نَظَرَتْ........ أو مُدْنَفٌ لَمّا يُفِقْ بَعْدُ

بِفُتورِ عَيْنٍ ما بِها رَمَدٌ........بِها تُداوى الأعيُنُ الرُّمْدُ

وتُجِيلُ مِسْواكَ الأراكِ على..... رَتْلٍ كأنّ رُضابَهُ شَهْدُ

والجِيدُ مِنْها جِيدُ جُؤْذُرَةٍ..... تَعْطو إذا ما طالَها المَرْدُ

وكأنّما سُقِيَتْ تَرائبُها.......... والنّحْرُ ماءَ الوَرْدِ والخَدُّ

وامْتَدّ من أعْضادِها قَصَب........ فَعْمٌ تَلَتْهُ مَرافِقٌ مُلْدُ

والمِعْصَمان فما يُرى لهما..... مِنْ نَعْمَةٍ وبَضاضَةٍ نِدُّ

ولها بَنانٌ لو أرَدْت له..........عَقْدًا بِكَفِّكَ أمْكَنَ العَقْدُ

قد قُلْتُ لَمّا أن كَلِفْتُ بها.......واقْتادَنى فى حُبّها الوَجْدُ

إنْ لم يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكِ لنا... يَشْفى الصّبابَةَ فَلْيَكُنْ وعْدُ

قد كان أوْرَقَ وصْلُكُم زَمَنًا.. فَذَوى الوِصالُ وأوْرَقَ الصّدُّ

للّهِ أشْواقٌ إذا نَزَحَتْ............ دارٌ بِنا، ونَبا بِكُمْ بُعْدُ

إنْ تُتْهِمى فتِهامَةٌ وطَني.........أوْ تُنْجِدى أن الهوى نَجْدُ

وزَعَمْتِ أنّكِ تُضْمِرينَ لنا........... وُدًّا فهلاّ يَنْفَعُ الوُدُّ

وإذا المُحِبُّ شكا الصُّدودَ ولم..... يُعْطَفْ عَلَيْهِ فقَتْلُهُ عَمْدُ

ونَخُصُّها بالوُدِّ وهى على....... ما لانُحِبُّ، وهكذا الوَجْدُ

أوَ ما تَرى طِمْرَى بينهما........... رَجُلٌ أَلَحّ بِهَزْلِهِ سُهْدُ

فالسّيفُ يَقْطَعُ وهْوَ ذو صَدَأٍ... والنّصْلُ يَفْري الهامَ لا الغِمْدُ

لا تَنْفَعَنّ السيفَ حِلْيَتُهُ............. يومَ الجِلادِ إذا نَبا الحَدُّ

ولقد عَلِمْتِ بأنّنى رَجُلٌ......فى الصالحاتِ أروحُ أو أغْدوا

بَرْدٌ على الأدْنى ومَرحَمَةٌ........ وعلى المكارِهِ باسِلٌ جَلْدُ
مُتَجلْبِبٌ ثَوْبَ العفافِ وقد.... وَصَلَ الحبيبُ وأسْعَدَ السّعْدُ
ومُجانبٌ فعلَ القبيحِ وقد.........غَفَلَ الرقيبُ وأمْكَنَ الورْدُ
مَنَعَ المطامعَ أن تُثَلِّمنى.......... أنّى لِمِعْوَلِها صَفَاً صَلْدُ
فأظلُّ حُرًّا من مَذَلّتِها........... والحرُّ حين يُطيعُها عَبْدُ
آلَيْتُ أمدحُ مُقْرِفًا أبدًا........... يَبْقى المديحُ ويَنْفَدُ الرِّفْدُ
هيهات يأبى ذاك لى سَلَفٌ.... خَمَدوا ولم يَخْمَدْ لهم مَجْدُ
فالجَدُّ كِنْدَةُ والبَنونَ همُ........ فَزَكا البَنونَ وأنْجَبَ الجَدُّ
فلَئِنْ قَفَوْتُ جميلَ فِعْلِهِمُ....... بِذَميمِ فِعْلى إنّنى وَغْدُ
أجْمِلْ إذا حاولتَ فى طَلَبٍ.. فالجِدُّ يُغْنى عنك لا الجَدُّ
وإذا صبَرْتَ لِجَهْدِ نازلَةٍ....... فكَأنّما ما مَسّكَ الجُهْد
لِيَكُنْ لديكَ لِسائلٍ فَرَجٌ.........أن لم يَكُنْ فَلْيَحْسُنِ الرّدٌّ
وطَريدِ ليلٍ ساقَهُ سَغَبٌ........... وَهْنًا إلَى وقادَهُ بَرْدُ
أوْسَعْتُ جَهْدَ بَشاشَةٍ وقِرىً. ...وعلى الكريمِ لضَيْفِهِ جَهْدُ
فَتَصَرّمَ المشْتى ومَرْبَعُهُ........ رحْبٌ لدى وعَيْشُهُ رَغْدُ
ثمّ اغتَدى ورداؤهُ نِعَمٌ.......... أسْأرْتُها وردائى الحَمْدُ
ياليتَ شِعْرى بعد ذلكمُ.......... ومَحالُ كلّ مُعَمّرٍ لَحْدُ
أصَريعَ كَلْمٍ أم صَريعَ ضَنىً...... أرْدى فليسَ منَ الرّدى بُدُ

ويا له من موقف محزن أن يغادر هذا الشاعر الحياة قبل أن يلقى محبوبته التى صاغها لأجلها، ومن هنا تناقل العرب حكايتها وصارت تحكى فى اليمن، وفى غيرها من الدول العربية إلى الآن. ويقول سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام (استعينوا على

إنجاح حوائجكم بالكتمان) بمعنى أن على الإنسان أن يستعين بالكتمان حتى يصل إلى هدفه ومبتغاه.



لوحة تعبيرية تشكيليه لفنان أجنبي توقيعه على اللوحه

خيانة زوجية

كان هناك رجل دلَال يبيع الثياب مغرم بالنساء، وكان متعودًا على المشى بين القرى يتجول بقصد التجارة، فيحمل على ظهره بعض الثياب ليبيع حاجاته للنساء وفى طريقه يبحث عن الهوى والعشق فى كل مكان يحل به، وذات مرة التقى برجل يعمل فى حراثة الأرض بالثور، فجلس مع الرجل وأكل وشرب وجلسا يتحدثان، وكان الفلاح من النوع الذى يخرج خبايا من يجلس معه فيستدرجه حتى يعرف أسراره، فسأل الفلاح الرجل الدلال: من أين أنت؟ ولماذا جئت إلى هذه القرى؟ وماذا تبيع فى جعبتك فى هذا الكيس؟ فأستدرج الرجل فقال: أنا أبيع الملابس والثياب وأشترى الحُبَّ والأحباب، ومعى أشياء بسيطة أتجول بها فى القرى وأبحث عن الجميلات، وقد وجدت نساءً فى تلك القرية التى تعلو الجبل لم أرى لها مثيلاً في الجمال والدلَال فى حياتى. وأشار إلى قرية بعيدة فوق سفح الجبل وهو لا يعرف أنها قرية الفلاح الذي يجالسه. فقال له الفلاح: ولماذا تتعب نفسك بالذهاب إلى تلك القرى البعيدة ولا تبيع فى هذه القرى القريبة؟ فردَ البائع على الفلاح فقال له: لو أنك صعدت معى إلى تلك القرى ورأيت جمال النساء هناك لعذرتنى. واستأذن الفلاحَ للانصراف وواصل المسير

نحو القرى صاعدًا فى الجبال، والفلاح يشاهده حتى وصل إلى قريته، ولما أن وصل الدلال وجدته زوجة هذا الفلاح فأخرج لها بضاعته فدعته إلى جوار المنزل لتشترى منه وكانت شديدة الجمال، فأعجب بها، فعرض عليها بضاعته، ثم قال لها إنه جائع وعطشان، فدعته إلى دخول المنزل وأعطته الطعام، وأعجبت المرأة بكلامه وهو يمدح جمالها بين الحين والآخر، ويعرض عليها بضاعته، واستمر يتبادل معها الحديث ويلمح لها حتى استدرجها وأخذ منها ما يريد، واتفق معها على أن يزورها بين الحين والآخر وانطلق خارجًا من المنزل ينادى على بضاعته حتى أكمل التجوال فى القرية، ثم عاد فالتقى بالفلاح الذى جالسه صباح ذلك اليوم، فنادى عليه الفلاح ودعاه إلى الجلوس معه قليلاً ليشرب الماء، وسأله: لماذا رجعت بسرعة من القرية هل بعت شيئًا؟ فقال له: لا لم أبع شيئًا، ولكننى كنت محظوظًا فقد صعدت إلى القرية الفلانية– وأشار إليها– ووجدت امرأة لم يسبق أن رأيت مثلها، أطعمتنى وسقتنى وحصلت منها على كل ما أريد، ووصف له جمالها، فقال له الفلاح: ومن أى قرية هى؟ فأشار له إلى قريته وإلى منزله. فكتم الفلاح غيظه وقال له: وماذا قالت لك؟ فقال: لقد اتفقنا أن أعود إليها غدًا أيضًا، فقال له: إذا عدت غدًا إليها تعال إلى هنا وسر من هذه الطريق لنتناول الإفطار معًا.

وجاء اليوم الثانى ومر الرجل على الفلاح فى مزرعته وقال له: أنا ذاهب إلى تلك القرية، فانتظر الفلاح حتى ابتعد الدلَال قليلاً، ثم لحق به حتى شاهده ذاهبًا باتجاه منزله، فأسرع يجرى إلى المنزل، فشاهدته زوجته من النافذة من بعيد، فقامت بإخفاء الرجل فى الحصيرة، وعندما وصل زوجها بحث فى المنزل فلم يجد شيئًا فاطمأن أن الأمور طبيعية، وأن الدلال ربما لم يدخل منزله بعد أن شاهد المنزل خاليًا وعاد إلى الوادى للعمل فى مزرعته، وعندما قضى الدلَال منها ما يريد رجع كالمعتاد، ومر بالمزرعة فنادى عليه الفلاح وسأله: ماذا فعلت اليوم أمررت بعشيقتك؟ فقال له: نعم كنت معها، ولكن جاء زوجها إلى المنزل فجأة ولكنها كانت ذكية فأخفتنى داخل الحصيرة، فجلس يسألها ويبحث داخل المنزل ولم يجدنى ونجوت منه بأعجوبة،

وعندما غادر أخرجتنى من الحصيرة وحصل بيننا ما يحصل بين العشاق. فقال له الفلاح: وماذا قالت لك؟ فقال له: طلبت منى أن أعود إليها غدًا، فقال له الفلاح وهو يخفى غيظه: إذا جئت إليها غدًا تعالَ إلى هنا نتناولُ الإفطار سويًا.

فجاء اليوم الثانى ومر عليه الدلَال إلى الحقل وتناول معه الإفطار وواصل مسيرته إلى القرية ولحق به الفلاح حتى وجده دخل القرية فأسرع إلى منزله وظل يبحث ويفتش فى كل جوانب المنزل، ولكنه لم يجد شيئًا فزالت شكوكه، وعاد إلى ثوره وحقله للعمل، وعندما عاد الدلال كعادته مر على الفلاح فى الحقل فسأله الفلاح: ماذا جرى معك اليوم؟ فقال له: لقد جاء زوجها اليوم أيضًا ولولا ذكاؤها لكان قضى علينا، ولكنها أخفتنى داخل فرن الحطب وغطتنى بالأطباق، فقال له الفلاح: وماذا قالت لك؟ قال: قالت لى أن أرجع غدًا. فقال له الفلاح: إذا جئت غدًا تعالَ إلىّ هنا قبل أن تذهب إلى القرية.

فجاء الدلَال ومرَ عليه فى اليوم التالى وقال له: أنا ذاهب إلى القرية. ولحق به الفلاح كالعادة وقلبه يمتلئ بالغيظ فلم يتمكن من التأكد من شكوكه، وقرر أن ينتقم منه فى ذلك اليوم، فقد طال صبره. وعندما وجده يدخل باتجاه منزله دخل إلى المنزل وفتش فى كل مكان ولكنه لم يجده أيضًا، فما كان منه إلا أن طلب من زوجته الخروج من المنزل، فقالت له: لماذا؟ فقال لها: أريد أن أحرق منزلى، فقالت له: ولِـمَ ذلك؟ فقال لها: منزلى وأنا حر فيه، وسوف أشعل فيه النار فى كل مكان، فحاولت منعه من ذلك ولكنه كان مُصرًا على إحراقه، فقالت له: إذا كنت مُصرًا على ذلك خذنى مع ثيابى إلى منزل والدى وافعل ما شئت، فوافق على طلبها وأخرجت ثيابها فأحرق المنزل وأوصلها إلى دار والدها، وعاد إلى الحقل سعيدًا بالقضاء على ذلك الرجل.

وبينما هو يعمل بالحقل إذا به يرى الرجل الدلَال قادمًا إليه فأصابه الذهول من مشاهدته حيًّا يرزق وهو يعتقد أنه قد تخلص منه، فقد ضحى بمنزله فى سبيل ذلك، فنادى عليه وهو يكتم غيظه، وقال له: ماذا فى جعبتك اليوم وماذا جرى معك؟ قال له الدلَال: لقد جاء زوجها اليوم أيضًا ويبدو أنه كان يشك فى زوجته، فقال لها إنه قرر

أن يحرق بيته، ولولا ذكاؤها لكنتُ احترقت فى المنزل، فقد أدخلتنى فى صندوق ملابسها وحملنى المسكين على ظهره إلى منزل أبيها، وهناك حصل بيننا ما يحصل بين العشاق ونجوتُ وعدت سالمًا إليك. فقال له الفلاح: إن قصتك هذه قصة عجيبة، وأنا أدعوك إلى بيت أحد الأصدقاء غدًا وهو شخص يحب هذه النكات والقصص العجيبة، وسوف يحبك ويعجبُ بقصتك، ونريد أن نذهب إليه ونسليه فى جلسة المقيل والقات، وسأشترى لك كل شيء على حسابى قبل أن نذهب إليه، فوافق الدلال على ذلك، وقال له: سوف أكون معك على الموعد غدًا؟ وقام الفلاح بأخذه إلى مجلس عمدة القرية، ودعا والد زوجته ليحضر إلى منزل العمدة معهم، وكان يرمي للخلاص من زوجته والعمل على فضيحتها أمام الناس انتقامًا منها وذلك بإستدراجة لقول القصة بنفسه أمام الحضور ولكن حدث أن شاهدت الزوجة زوجها من النافذة وهو قادم مع الدلال ذاهبا لمجلس العمدة، فعرفت أن زوجها قد كشف أمرها وأنه سيجعله يعترف أمام والدها، فذهبت متخفية إلى منزل العمدة وكأنها ذاهبة لزيارة نسائه هناك، ثم جلست مع نسائة وطلبت أن تذهب لمجلس الرجال لتعطى والدها كوزاً من الماء البارد، وأخذت معها قطة كانت تربيها فى المنزل، فتخفت من وراء الستار فسمعت الدلال يحكى القصة لهم، فخافت أن يكملها فاقتربت من وراء الباب وقد عرفت مكانه ورمت إليه بالقطة الصغيرة التى كانت تربيها فى المنزل، وكان يعرفها ويشاهدها عندما يذهب إليها، ففطن لذكائها وغالط فى الكلام وصرخ قائلاً: وبعدها فجأة استيقظت من النوم واكتشفت أنى كنت أحلم. وبهذه الحيلة صدقه كل الجالسين ونجا بنفسه [1].

عِشق الراعى والراعية

كان هناك راعٍ يتجول بأغنامه يرعاها فى الجبال المجاورة لقريته، وفي يوم من الأيام شاهد راعية جميلة القوام حسنة الطالع كأنها غصن ممشوق، فحاول التقرب منها والتغزل بها إلا أنها تجنبته. وفى اليوم التالى شاهدها مرة أخرى فكان قلبه يدق

(١) وردت هذه الحكاية أيضا باللهجة العامية الصنعانية فى الصفحات ٥٤–٥٥ من كتاب عباس على السوسوة: دراسات فى المحكية الشعبية، ط١، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية.

ويرتجف لرؤيتها، وصار هذا ديدنه؛ يخرج بغنمه باتجاه ذلك الجبل ويراها، وبمرور الأيام اطمأنت له الراعية الجميلة، وبدأ قلبها يدق ويأخذها الشجن لرؤية هذا الراعى الذي أصبحت تأمن بوجوده قربها فى الجبال والهضاب المترامية المخيفة، فقد كانت تخاف الوحدة وتتمنى أن تجد من يؤانسها، فاقترب منها الراعى ذات يوم وأنشد يقول:

قلت يا راعية....

يا داعسه فى الشعوب

هيل شيء مع ابوش عسل.

من غير أجباح نوب

فردت عليه الراعية وقلبها يضطرب ويحن لمبادلته الحب والعشق قائلة له:

قد شى مع ابى عسل.

...... داخل ثلاثة جيوب

جيب للعشاق.........

.......وجيب لله يتوب

وجيب مع الحجاج.....

.. يمحي به الله الذنوب

وقد أحب الراعيان بعضهما، فكانا يلتقيان كل يوم يتبادلان الشعر والحب والغزل بين الشعاب المقفرة الخالية من الناس، يتغنيان فيها كما يحلو لها ويصدحان بأعلى صوتيهما، ويوجهان أغنامهما بين الهضاب ويسلتقيان على العشب ويفعلان ما يفعله العشاق فى خلواتهم، حتى رأتهما بعض الأعين، ووصل خبر حبهما إلى أهل الفتاة فقرر والدها وإخوتها أن يتأكدوا من الخبر بأنفسهم، فوضعوا خطة تمكنهم من أن يتخفوا بين الشعاب لمراقبتهما، فإن صدقت الرواية تخلصوا من العار الذي لحق بهم بقتل الراعى وتأديب الفتاة. وكان لها سبعة إخوة بالإضافة إلى أبيها فسمعتهم الفتاة يتشاورون ليلاً. وعندما جاء صباح اليوم التالي تخفى الإخوة ووالد الفتاة فى طريق

الجبل سرًا وجعلوا ينتظرون وصول الراعى والتقاءه الفتاة، وعندما اقترب الراعى من الجبال قادت الفتاة الأغنام إلى مكان قريب مطل على الطريق التى كان الراعى قد اقترب منها دون معرفتهم، وشرعت تغنى من قمة الجبل كأنها تنشد ما ينشده الرعيان فى مراعيهم بهدف وصول صوتها إليه وتردد وتقول ليسمعها الشاب قبل أن يقع فى الفخ المخطط له :

قُلت ياطير الحمام... طيرٌ من الحيد سكب

قُلت لا تنزل الوادى... تجاهك جمعٌ مرتب

تجاهك سبعه لصوص... والثامن العبد الاسود

فأخبرته بهذه الأبيات من الأغنية أن هناك من ينتظر قدومه ليتأكد من علاقتهما، فرد عليها الراعى وكأنه ينشد لأغنامه قائلا :

كيف شرعكم فى الطريق.. انا غبي ما اعرف أحد

فقالت له وكأنها تنشد أيضًا لتخبره كيف يتصرف فى هذا الموقف بحيث يتركها فى حالها :

شرعنا فى الطريق... ماحد يسلم على حد

وقصدت بذلك ألا يسلم عليها ولا يمر بها فى ذلك اليوم، وألا يسلم على من يراهم فى الطريق. وهكذا أخبرته حبيبته بطريقة الخلاص من الورطة التى أحدقت بهما، فما كان من الشاب الا أن غيَّر المرعى ذلك اليوم، ومشى من طريق آخر، ومر من جوار أهلها وكأنه عابر سبيل بين الجبال متجاهلاً الراعية وأهلها دون أن يشعرهم بأن هناك أى معرفة بينه وبين ابنتهم. وهكذا نجت حبيته ونجا بنفسه، فلم يجدوا منه شيئًا فعادوا إلى ديارهم ولم يصدقوا شيئًا مما قيل لهم، بل زادت ثقتهم بالفتاة فتركوها ترعى كالعادة كل يوم حتى نبهت الفتاة الراعى وطلبت منه التقدم لها فتقدم لها الفتى وتزوَّجها.



لوحة تعبيرية من أعمال الكاتب

الفاسدة والعشاق الستة

يقال إنه فى عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت تعيش فى صنعاء امرأة فاسدة تدعى (أم أصيل)، وكان لها ستة عشاق، ولها ولد فى مقتبل العمر، ولأن هذه المرأة فاسدة قررت الخلاص من ابنها عندما كبر وصار عائقًا لها عن الاختلاء بعشاقها فضلاً عن شكوكه فيها، فقررت واتفقت مع عشاقها على قتله. وفى يوم من الأيام طلبت منه البقاء فى المنزل وحضر عشاقها واجتمعوا عليه وقتلوه، ثم أخذوا جثمانه ورموه فى بئر قرب غمدان، وقامت أم أصيل بحيلة لتبعد الشك عنها فخرجت تدعى البحث عن ابنها فى شوارع صنعاء، فتبكى وتصرخ، فوصل الخبر إلى الوالى آنذاك ويقال كان اسمه (على بن أمية) فغضب الوالى واهتم بقضية ولدها، وبذل كل جهده فى حل هذه القضية، وقرر جائزة كبيرة لمن يدل على الولد، وبعد أيام قلائل، وصلت أخبار إلى الوالى بأن هناك رائحة كريهة تصعد من بئر قرب قصر غمدان، ويتصاعد منها ذباب بكثرة، ويقال إن هذا الذباب لا يكون إلا عند جيفة، فخرج الأمير ومعه بعض الجند إلى البئر المذكورة، وأمر بنزول أحد من الحاضرين لاستكشاف الأمر، فقام أحد

القتلة المتخفين وسط الناس ورشح نفسه للمهمة والنزول للبئر، وهم لا يعلمون أنه واحد من المجرمين فقد كان حضوره لمراقبة الوضع، فنزل إلى البئر ووجد القتيل طافيًا على الماء فأخفاه فى حفرة بجانب قاع البئر، وصعد قائلا إنه لم يجد شيئًا، ولكن لم يصدق أغلب الحضور ذلك فقد كانت الرائحة شديدة، فأمر الوالى رجلاً آخر من الحاضرين بالنزول للبئر، فنزل الرجل وأحضر الجثة وانكشفت الحقيقة، وبدأت الشكوك تدور حول المستكشف الأول الذى نزل للبئر، فصرخ فيه الأمير وأمر بالقبض عليه، فظهرت عليه علامات الخوف والفزع وشعر بالورطة، واعترف بالجريمة وبمن هم معه من القتلة واعترف بمشاركة والدة الفتى فى الجريمة، وذكر لهم من هم شركاؤه وأماكن تواجدهم، فأمر الوالى بالقبض عليهم مع والدة الفتى. واحتار الوالى فى الحكم عليهم فهل يحكم بالإعدام على ستة لقتل فتى واحد! فرفع بالقضية إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستشار عمر رضى الله عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما يحكم، فقال له على رضى الله عنه: أرأيت لو أن نفرًا اشتركوا فى سرقة جمل فذبحوه وأخذ كل منهم عضوًا أكنت قاطع أيديهم؟ قال: نعم، فقال له على رضى الله عنه: فكذلك هو حال هؤلاء، فقد اجتمع فيهم الزنا والقتل، فأرسل الخليفة عمر إلى الوالى على بن أمية يأمره بالقصاص من جميع المشاركين فى قتل الفتى حتى أمه التى ثبت عليها وعليهم الزنا والحِرابة فى نفس الوقت. وحينها قال عمر بن الخطاب مقولته المشهورة: والله لو اجتمع عليه أهل صنعاء جميعًا لقتلتهم به [1].

زينة العاشقة

كانت زينة فتاة تعيش فى إحدى القرى، وقد عشقت شابًا من أبناء القرية وأحبته حتى الجنون، وكان هذا الشاب لا يلتفت إليها ولا يعيرها أى اهتمام، وكان يعمل فى حرث الأرض، وقد كانت زينة تحاول التقرب منه ولفت نظره، فكانت تذهب للاحتطاب فى الأماكن والحقول التى يعمل فيها، وتحاول جذب أنظاره إليها ولكنه لا يبدى أى نوع من الاهتمام. ولما اشتد عشقها له ولم تلحظ منه اهتمامًا ذهبت تشكو

(١) وردت هذه الحكاية في كتب التراث الدينة والفقه...

حالها إلى عجوز حكيمة تسكن فى كهف، يقال إن لها قدرة على جمع قلوب الأحبة، فطلبت منها حلاً لمشكلتها، فقالت لها العجوز الحكيمة:

خليه يطعم سكر ثعيل

وسوف يجيش بين العتيل

و(سكر ثعيل) عبارة عن نبتة معروفة فى اليمن تنمو فى الجبال ويأكلها الرعاة إذا صادفوها، وهي رمز للحب والعشق عند القرويين، و(سوف يجيك بين العتيل) تعنى أنه سيأتيك مجبرًا برضاه.

فذهبت إلى الجبل ووجدت النبتة فاقتلعت مجموعة منها، وذهبت إلى المزرعة التى يعمل فى حراثتها ذلك المحبوب وناولته النبتة وقالت له:

اعطيك سكر ثعيل [١]

ما أحد عرف له مثيل

نبت فى الحجر

ورضع من حليب

فأعجب بكلامها وأخذ منها النبات وأكله، ففرحت زينة لما حققته من نجاح، وغدت تعاود الذهاب للاحتطاب من نفس الوادى، وتمر من جوار الفلاح، ولكنها لم تجد منه أى اشارة تدل على حبه لها، فانشغلت أكثر وذهبت إلى كهف العجوز، فلم تجدها فى مكانها المعروف، فزاد حزنها واستلقت عند باب الكهف تملأ قلبها الخيبة، وفجأة ظهرت العجوز وقالت لها:

خليه يذوق ويطعم زينه

وغدا يجى بعينه

فقالت لها الفتاة: وكيف أجعله يذوق زينة ولم يطلبها؟! فقالت لها: اذهبى إلى البركة التى يسقى منها واغطسى فيها حتى يموت الحب الذي فى داخلك. فقالت لها: وكيف أغطس فيها وأنا لا أعرف السباحة؟! فقالت لها العجوز: كلى سكر ثعيل واستلقى فى الماء ولن يحصل لك شىء، وأبقى فى الماء فقط حتى يَروِى عشقك الماءَ ويرمى بجذوره فى البركة، ثم اخرجى منه، فذهبت الفتاة وسبحت فى البركة قبل

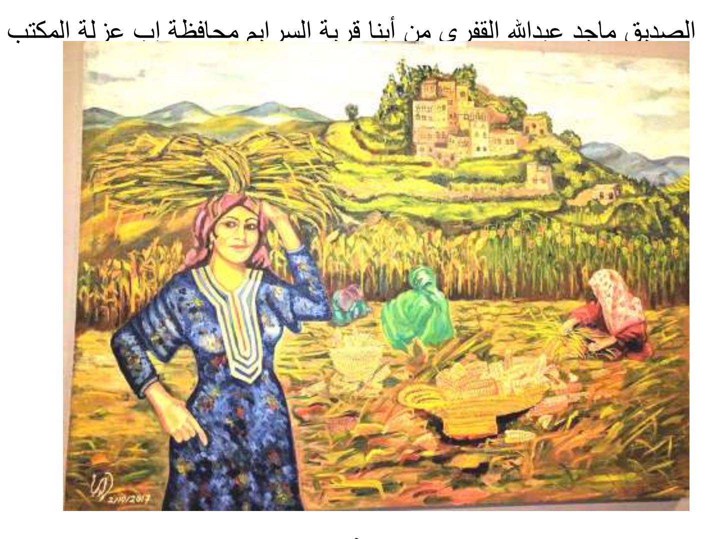
(١) سكر ثعيل: نوع من النبات البري ينمو في الجبال ويأكله بعض الناس.

موعد وصول الناس والرعاة لسقى أغنامهم ومواشيهم، وكانت تغطس فى الماء وتخرج منه حتى ارتوت، ثم خرجت منه وعادت إلى منزلها.

وصل راعى الأغنام وأورد أغنامه البركة، فرفضت الأغنام الشرب، فخاف من الماء وترك البركة. وجاء بعده حبيبها الفلاح الذي انتظرته بفارغ الصبر فنزل مع ثوره فشرب منها الثور ولم يرد أن يفارقها، ووجد الفلاح الماء صافيًا فشرب منه ومازال يشرب ويتلذذ بشربه ولا يرتوى، فملأ أوعيته وأخذها إلى منزله ليشرب منها. وعندما جاء اليوم الثانى خرج إلى العمل فى الحقل وخرجت زينة إلى العمل والاحتطاب فشاهدها فى الطريق فترك كل ما فى يده وراح ينظر إليها متلهفاً وكأنه لم يشاهدها من قبل، وقال لها: أنا قادم لخطبتك هذه الليلة، ولم أعد أحتمل الانتظار.

وذهب مساء إلى دارها وخطبها فى تلك الليلة، ثم تزوجها بعد أيام وأصبحت زينة محبوبته التى اكتملت لها جميع جوانب السعادة.

الصديق ماجد عبدالله القفري من أبنا قرية السرابم محافظة اب عزلة المكتب



لوحة من أعمال الكاتب

تزوج البكر تفديك بروحها

كان هناك شاب يعيش مع والده الغنى، وشعر والده أنه أصبح قادرًا على اختيار زوجته بنفسه، لكنه وجد ابنه يبحث عن امرأة جميلة مهما كانت سمعتها، فقال له

والده: أنصحك يا بنى نصيحة ضعها نصب عينيك قبل أن تتزوج. فقال له الولد: ما هى هذه النصيحة يا والدي؟ فقال له: تزوج بكرًا تفديك بروحها وإياك أن تتزوج أرملة أحبت قبلك. فقال له الولد: لا تقلق يا والدي فقد اخترت امرأة شابة وسوف أخطبها قريبًا. وذهب الشاب إلى عشيقته التى أحبها وكانت امرأة سبق لها أن تزوجت من رجل ثم انفصل عنها، وأوهمت المرأة الشاب أنها لم تعد تفكر فيمن قبله وأنه أصبح مستأثرًا بكل حبها، فاتفق معها على أن يكذبا على والده فيدعيا أنها بكر لم تتزوج من قبل.

وبهذه الحيلة تزوج الشاب بها. واستطاعت المرأة أن تنفذ إلى قلب والده الغنى، فكانت تتقرب إليه حتى أحبها وأحبته، لدرجة أنه أمِنها على كل ثروته من الذهب والمال، وقال لها: أوصيك يا ابنتى بوصية قبل أن أموت، إنى لأئتمنك على هذا الكيس من المال والذهب. وكان كيسًا من الجلد، فقال لها ادفنيه فى مكان مخفى لا يعرفه حتى زوجك، فإذا جاء يوم واحتجت إلى مال أنت وزوجك فأخرجيه، ولكن لا تكلميه عنه إلا بعد موتى فإنى راحل عنكم لا محالة. وتوفى والد الشاب وأخفت الزوجة عن زوجها الكنز، فقال لها الشاب: هل وصاك والدي بشىء؟ فقالت له: لقد ترك بعض المال، وكذبت عليه مدعية أنه مبلغ من المال بسيط، فظل الولد الشاب ينفق منه حتى نفد هذا المال، واحتاج الشاب إلى المال ولم تعطه منه شيئاً فذهب إلى القرى البعيدة للبحث عن عمل، وكانت هذه الزوجة ترسل إلى عشيقها السابق الذي كانت ما تزال تحبه فيأتى إليها فى غياب زوجها ويبيت معها وتعطيه من الذهب والمال حتى يشترى ما يريد لها وله لكي يأتى يوم ويتزوجها بعد أن تتخلص من هذا الشاب الذي لا يعرف بكنز والده [1].

---

(١) وردت هذه الحكاية على لسان أكثر من إخباري وتُقال عند الحديث عن الوفاء وإن كان فيها نوع من الإجحاف بحق النساء المتزوجات من قبل فليست كل النساء بهذه الأخلاق فقد يكون الخطأ من الرجل والتعميم ثقافة منتشرة في اليمن بدأت بالتلاشي في وقتنا الحاضر.

وفى يوم من الأيام التقى الشاب بصديق والده وهو تاجر فى منطقة أخرى، فقال له هذا التاجر: لماذا تبحث عن العمل ولقد كنت أعرف والدك التاجر الذي كان لديه الكثير من المال! هل وصى لك بشىء منه؟ فقال له الشاب: لقد ترك لى وصية عند زوجتى، وقالت لى زوجتى إنه ترك لى بعض المال وكان المال قليلاً ولا أدرى لماذا لم يترك سواه؟! فقال له: هل زوجتك من اختيارك أم من اختياره؟ فاعترف له الشاب أنه كذب على والده، وقال له: لقد أوصانى أبى قبل أن أتزوج ألا أتزوج إلا بكرًا، وقد خالفته وهى من اختيارى. فقال له الرجل: لأنك ابن صديقى فسوف أقترح عليك حلاً نعرف به إذا كان والدك ترك لك مالاً أكثر عند زوجتك، سوف أرسل معك ابنتى على أنها خادمة اشتريتَها لخدمة زوجتك، وأتركها هناك لمساعدتها، ثم عد إلى هنا للعمل معى ولكن بشرط أن تتزوج ابنتى ولا تمسها حتى نعرف حقيقة زوجتك، فوافق الشاب وتعهد ألا يمس ابنته حتى يكملوا المخطط.

فدهن جلد الفتاة بدهان أسود وعاد بها الشاب على أنها خادمة سوداء، وقال لزوجته: لقد اشتريت لك هذه الجارية كى ترتاحي من العمل، وسوف أعود أنا إلى عملى فى قرية بعيدة، وقد أغيب عنك لأشهر.

وهكذا عاد الرجل إلى عمه الجديد، وقال للفتاة إنه سيرجع لها بعد أسبوع ليعرف ماذا حصل، وبعد أن ذهب كانت زوجته تأتى بعشيقها الأول وتجلس معه فى المنزل ويفعلان ما يفعل العشاق، ومن ثم تعطيه قطع من الذهب الذي كانت تخرجه من مكان تحت درج المنزل، وقد كانت تجعله يشترى لها جمالاً وأغنامًا ليستثمرها.

وعندما عاد إليها الشاب بعد أسبوع قالت له الفتاة الخادمة إن زوجتك تأتى بعشيقها وتفعل كذا وكذا، وتخرج له مالاً من تحت الدرج من كيس جلدىّ، فقام الفتى فى الليل وعرف مكان الكيس فتركه كما هو كأنه لا يعرف عنه شيئًا. وفى اليوم التالى قال لزوجته: لقد قررت السفر إلى قرية أخرى وجدت فيها عملاً، فلنذهب معًا إلى هناك. فاعتذرت زوجته وقالت له: اذهب أنت وسوف أظل هنا وأنتظرك حتى تعود. لكنه قال لها إنه سوف يشترى دارًا هناك ويعرض منزله هذا للبيع، فوافقت على ذلك،

وقالت له: نبيع المنزل ونرحل. واستأذنته أن تذهب إلى دار أهلها لتزورهم قبل الرحيل، فذهبت إلى عشيقها وأبلغته بالخبر، وطلبت منه أن يذهب لبيع الإبل وكل ما اشتروه لكى يشترى المنزل بالكنز الذي فيه، ففعل ذلك عشيقها وذهب إلى دار الشاب واشترى منه الدار، وقال له: تعال لاستلامه غدًا. وفى الليل أخرج الشاب كنز والده ووضع مكانه ورقةً كُتب فيها: لقد خالفتُ وصية والدي وتزوجتُ خائنة، وهذا جزاء من لا يسمع لنصائح والده، وطلقها بهذه الورقة. وبعد أن دفن الورقة فى كيس آخر. ثم أخذ زوجته التى كانت تمثل دور الخادمة وسافر معها، وعندما وصلا إلى الطريق وجدا نهرًا فنزلت الفتاة واغتسلت، فزال عنها السواد وظهر جمالها الذي لم يكن الشاب قد رآه من قبل فسحر بها وواصل معها السفر، وعندما وصلا إلى استراحة خالية بين الجبال ينام فيها المسافرون وجد نفسه خاليًا بها فقال فى نفسه: لقد أصبحتْ زوجتى، واستدرجها إلى فراشه مخالفًا وصية والدها وعهدَه الذى قطعه معه، وعندما عاد إلى والدها حكى له القصة ولكنه واعتذر لعمه على مخالفته العهد مع ابنته. فقال له العم: لقد اتفقت معك ألا تخالف عهدى، ولكن عقابك هو أن أقطع يدك لفعلتك هذه. فوافق الشاب فقد كان يشعر بالندم لعدم وفائه بالوعد، وقال له عمه: سوف نثقب فى الجدار ثقبًا تخرج منه يدك إلى الجهة الأخرى بحيث لا تراني ولا أراك عند قطعها حتى لا أحزن عليك ولا تحزن من رؤيتى أفعل ذلك ، فوافق الشاب، وفتح الرجل فتحة فى الجدار وجاءت زوجته إليه متخفية وقالت له: لا تخرج يدك أنت وسوف أخرج أنا يدى بدلاً منك، فنحن نحتاج إلى يدك للعمل فى الأسواق والزراعة والتجارة، أما أنا فامرأة أجلس فى البيت لا يرانى أحد، وأقنعت الشاب فحاول الرفض إلا أنها أصرت وأخرجت يدها بسرعة وكستها بالتراب حتى لا يعرفها، وعندما رأى والدها يدها عرفها وقال: هذه يد ابنتى وقد عفوتُ عنك، وإنما أردت أن تعرف كيف أن الشابة تفديك وتضحى لك بأغلى ما تملك ولو بجزء من جسدها، وهذه هى الحكمة التى كان والدك يريد أن تدركها، فالشابة تضحى لزوجها بنفسها وبروحها لأنها أول تجربة فى حياتها بينما يغلب على المطلقات عكس ذلك ولا يعرف الصالحُ منها من الطالح وعليك إختيار ذات التربية الصالحة فهي أهم من كل شيء.

الفصل الخامس

(حكايات الكواكب والجن والوحوش)



تمهيد

نسجت الكثير من الشعوب والحضارات حول العالم الأساطير حول الآلهة وأنصاف الآلهة من البشر، فمزجت بين الإنسان والآلهة فى تصورات عديدة. وفى الحضارة اليمنية نسجت الحكايات والأساطير التى تتحدث عن تأثير الكواكب وكذلك الحكايات التي يمتزج فيها الإنس مع الجن فقد لعبت الطبيعة الجبلية المليئة بالمرتفعات الشاهقة دورًا فى اتجاه الخيال الشعبى إلى هذا النوع من الحكايات، فالجبل يقترب من النجوم والسماء لتصبح مواجهة للنظر ليلاً فى الغالب فكانت هذه السمة الغالبة على باقى التصورات فى الخيال الشعبى اليمنى، واستمر تأثير تلك التصورات إلى ما بعد الإسلام، فلم يندثر الاعتقاد بالجن كما اندثر الاعتقاد بالكواكب فى اليمن، وربما يعود ذلك إلى كون الإسلام أكد على وجود الجن فى الكتاب والسنة وإجماع الأمة، حتى أن هناك أسطورة يمنية تقول إن آدم أنجب طفلين من حواء فى البداية، فأخفت طفلاً لم يجده آدم فأصبح خفِيًا لا يُرى بالعين المجردة لبقية إخوته من البشر، ومنه جاء الجن. كما تقول الأسطورة إن حواء أبقت على واحد فقط من الأبناء وهو من جاء من نسله البشر وهذا يوصلنا إلى نتيجة واحدة وهي اعتقاد غالبية اليمنيين بالجن.

وهذه الأسطورة ربما تعود إلى فترة إنتشار الديانة اليهوديه في اليمن قبل الإسلام، ولكن هذا يقودنا إلى تفكير منطقى؛ فيهود اليمن هم جزء من الحضارة اليمنية، وهم أيضًا من القبائل اليمنية التى عاصرت حضارات يمنية مختلفة، واحتفظت بالكثير من تراث هذه الحضارة كونها لم تتغير كثيرًا بفعل تغير الدين ولكن المعتقدات العامة والتي تنتشر في اليمن بكثرة هي الإعتقاد بالجن والكواكب وهي السمة الظاهرة في المعتقد الشعبي اليمني.

والمطالع للتراث الشعبى اليمنى يلاحظ أن أغلب الحكايات الشعبية فى اليمن نُسجت حول حياة البشر مع الجن، وكانت وأقدم هذه الحكايات التي تروي زواج سبأ الأول بالجنية التى كانت فى صورة غزالة مرورًا بالملكة بلقيس وحكايات استعانتها فى

بناء العرش بالجن، ثم سيرة سيف بن ذى يزن الملك اليمنى الذي تدور حول عالم الجن والإنس، واستمر هذا الخيال إلى وقتنا الحاضر.

وسوف تطالعون فى هذا الفصل الكثير من الحكايات حول الجن والكواكب والكثير من التسميات التي يعتقد اليمنيون بوجودها، وإليكم بعض هذه التصورات التى توارثها الناس على شكل حكايات شعبية تروى فى اليمن حول الجن إلى وقتنا الحاضر.

زواج الآلهة فى اليمن القديم

كان الإنسان اليمنى القديم يتأمل فى الجبال الشاهقة ليلاً فيرى الكزاكب والنجوم تضىء من حولها، فعبد النجوم واعتبرها الآلهة الحقيقية له، فقد كان يراقب الظواهر المختلفة من حوله وينسج حولها الكثير من الأساطير التى انقرضت واختفت من الذاكرة لاحقًا واعتبرها اليمنيون خرافات محرمة بعد دخول الإسلام. ومن هذه الأساطير والمعتقدات أن اليمنيين قديما كانوا يعتقدون أن الإله القمر هو الأب وأن الإله الشمس هى الأم وأن كوكب الزهرة الإله الابن الذي جاء من تزاوج الشمس والقمر.

وكانوا يعتقدون أن ظاهرة الكسوف والخسوف هى زواج الآلهة حيث رويت الكثير من الأساطير حول زواج القمر بالشمس، واعتقدوا أن أكثر النجوم نتجت عن هذا الزواج، ونسجوا عنها الكثير من الأساطير، فمثلاً كانوا يعتقدون أن نجوم الثريا هى بنات الآلهة الشمس والقمر ونتجت من تزاوج الشمس والقمر، الذي نتج عنه أجمل ما فى السماء، وكانوا يصفون المرأة الجميلة بأنها من بنات الثريا، تشبيهًا لها بجمال النجوم من بنات الآلهة الجميلة والتى كانوا يعتقدون أنهن سبع أخوات وُلدن معًا وتجمعن بجوار بعضهن فى السماء. وكذلك كانوا يعتقدون أن نجم سهيل نتج عن هذا التزاوج وهو نجم البركة والخير فى اليمن، وكانوا يسمونه (سهيل اليمن) وارتبط بسقوط الأمطار التى يعتمد عليها غالبية اليمنيين فى الزراعة.

تصور الجن

يعتقد الكثير من اليمنيين وخاصة فى القرى بوجود الجن فى كل مكان، فالبعض يروى أنه يراهم فى الحقول على شكل بشر أو حيوانات، والبعض يراهم يعملون مثل البشر ولكنهم يختفون بسرعة بمجرد أن يكلمهم البشر. أما فى حال سماع الإنسان صوتَ شخص يناديه باسمه فإن عليه أن ينتظر حتى يكرر الصوت مرة أخرى لأنه إذا رد عليه من أول نداء فسوف يتلقى صفعة من الجنى؛ لأن الجن لا يسمح لهم فى قانونهم بنداء البشر إلا مرة واحده حتى لا يحترقوا كما تقول الروايات والمعتقدات.

ويقول البعض إنه رأى جماعات من الجن الصالحين بينما كان يحرس حقله ليلاً فى الجبل، وكان هو الوحيد الذي يبيت هناك، بينما كان جالسًا فى (المحراس) [1] ويقول الراوى: بينما كنت أقرأ بعض الأذكار قبل الفجر إذا بصف كبير من الرجال يمشون فوق الحقول وكأنهم يطيرون ولا يمشون على الأرض، وكانوا يرتدون لباسا أبيض ووجوههم يشع منها النور. ويضيف الراوى: لا أدرى ربما كانوا من الملائكة أو من الجن الصالحين.

وتقول راوية كبيرة فى السن إنها فى شبابها كانت تنقل الأعلاف لبيعها للتجار فى مدينة جبلة القديمة، وذات مرة صحت مبكرة قبل أن يخرج الناس إلى الوديان، وبينما كانت تمر بين الحقول والطرقات فى الوادى الذي يفصل جبلة عن قريتها مرت بمنطقة كثيفة الأشجار، فرأت قطة تمشى أمامها فاستغربت وجودَها فى الطريق فى هذا الوقت المبكر فنظرت إليها وقالت لها: صباح الخير، ماذا جاء بك فى هذا الوقت من الصباح؟ فردت عليها القطة: صباح النور، ما الذي جاء بك أنت فى هذا الوقت؟

(١) المحراس: أى غرفة الحراسة التى يبنيها الفلاحون فى الحقول على ربوة عالية لكي يطلع منها على كل المدرجات الزراعية،

ففزعت المرأة عندما سمعت القطة تنطق بالكلام كالبشر ورمت بالأعلاف عن رأسها وعادت هاربة إلى قريتها[1] .

ويقول راوٍ آخر إنه ذات مرة كان فى الجبل يرعى الأبقار، وبينما الأبقار ترعى وتتجول فى الجبل من مكان إلى آخر تاهت إحداها فبحث معه من كان حاضرًا من الرعاة، فذهب كل منهم فى اتجاه للبحث عنها، وبعد لحظات وجدها ترعى العشب أسفل جدار يطل عليه، فاطمأن وظل يراقبها حتى ترعى قليلا، وبينما هو كذلك إذ بأحد الراعيات التى كانت معه تنادى عليه من الجهة الأخرى من الجبل أنها قد وجدت البقرة الضائعة، فالتفت إلى البقرة معتقدًا أنها مخطئة وأن البقرة موجودة بالقرب منه، فوجد أنها قد اختفت ولا أثر لها، ففزع وهرب إلى الرعاة خائفًا يحكى لهم ما حصل، فقالوا له إن الجن تصوروا له بصورة البقرة التى بحث عنها وأنه سبق أن حصل معهم ذلك.

العدار

يعتقد بعض اليمنيين بوجود نوع من مَرَدة الجن الذي يطرَدون من السماء بالشهب فيهربون إلى الأرض فإذا تصادف سقوط الجنى على دار أحد الناس فإنه يتحول إلى خادم للمنزل، وهذا الجنى يكون مطيعًا لأهل هذا البيت ولا يؤذيهم، وهو لا يظهر لأهل المنزل ولكنه يهز الأبواب بقوة لكي يعطوه عملاً بين اللحظة والأخرى، فيرد عليه من يسمعه قائلا: اعمل كذا وكذا، فيعمل الجنى ما طُلب منه ويعود بعد انتهاء العمل لهز الأبواب ثانية لطلب عمل آخر.

فصادف أن سكن عدار [2] منزل أحد الناس فى صنعاء، وكان هذا العدار نشيطًا جدًا ينجز الأعمال التى يكلف بها بسرعة ثم يعود لهز الأبواب، ولا يتركهم يهنأون

(١) سمعت هذه الحكاية من الحجة سيدة مسعد رحمها الله ترويه عن نفسها.

(٢) **العُدار**: تسمية يمنية باللهجة العامية وهى في أساطير اليونان حية عظيمة قتلها هرقل زعموا أن كان لها تسعة رؤوس كلما قطع رأس منها نبت آخر. وفي أساطير العرب دابة في اليمن لها شيء أعظم من رؤوس **عدار** اليونان.

ولكنها ترد في اللهجة اليمنية بفتح العين وليس بالضم،

بنوم لكثرة طلباته، فشكا أهل المنزل من هذا العدار إلى امرأة عجوز تسكن بجوارهم، فطلبت منهم العجوز أن يتركوها تنام فى منزلهم فى تلك الليلة، وأن يذهبوا للنوم فى منزلها حتى تخلصهم منه، وأن يحضروا لها قَدَحًا من القمح وقدحًا من نفل الذرة، ودلوًا فارغًا وخمس مكانس ومنفضة كبيرة، وقالت: سوف أجعله يكره العمل فى المنزل ويغادره.

فأعطوا العجوز ما طلبت وتركوها تنام فى المنزل فى تلك الليلة، فلما وصلت إلى المنزل قامت برمى القمح مع نفل الذرة على الأرض، ووضعت الدلو بجانبها وذهبت إلى النوم، فجاء العدار وهز الباب بقوة وقال: ماذا أفعل؟ فقالت له العجوز: التقط حب القمح وأخرجه لوحده من بين نفل الذرة، وضعه فى الدلو. وخلدت إلى النوم. ولما أن كادت تغفل عيناها جاء وهز الباب بقوة وقال: أنهيت العمل ماذا أفعل ثانية؟ فاستغربت العجوز من سرعة عمله فقالت له: اطحن الحبَّ بالرحى التى فى مكان كذا وكذا، فذهب العدار وخلدت إلى النوم، ولما كادت تنام جاء ثانية وهز الباب وقال: لقد أنهيت طحن الحب، فقالت العجوز: يبدو أن هذا العدار نشيط جدا، فقالت له: ذُرَّ الطحين على المنزل بأكمله، فذر الطحين، وعاد إليها ثانية، فقالت له: خذ المكانس التى فى مكان كذا وكذا واكنس المنزل على أن لا تترك فيه ذرة طحين واحدة، فكنس العذار المنزل وحرص أن لا يبقى شىء من الطحين، ثم وضع الكُناسة فى الدلو، فذهبت إلى النوم مطمئنة أنها قد أعجزته، فأكمل العدار العمل قبل أن تنام وعاد لهز الباب بقوة أكثر، ففزعت العجوز وقالت فى نفسها: إنه مطيع ونشيط لابد أن أكلفه بعمل يجعله يكره المنزل الذى سكن فيه. فقالت له العجوز اسكب الطحين والكنس الذي فى الدلو ثم افصل ذرات الطحين عن ذرات الغبار والتراب وضع ذرات الطحين فى الدلو وذرات الكناسة بجانبه، واحذر أن يبقى أثر للتراب بين الطحين. فلما ذهب العدار لهذا العمل طال به الأمر وشعر بالتعب الشديد، فهو متعود على الأعمال التى ينجزها بسرعة ولم يتعود على تلك الأعمال الدقيقة والبطيئة، فما كان من العدار إلا أن هرب وترك المنزل وهكذا تخلصت العجوز منه ولم يعد مرة أخرى.

بئر الهرامسة عدن

بئر الهرامسة موجود فى منطقة فى أعلى جبل صيرة [1]، وتقول الأسطورة إن الجن هم من حفروا هذه البئر، ومازال الكثير من الناس يعتقدون أن هذه القلعة يسكنها الجن والأرواح الشريرة. وكان أبناء عدن قديما إذا اضطرب البحر وساء الطقس وصعب دخول السفن إلى المنطقة يرجعون ما يحدث إلى غضب الأرواح الشريرة التى تسكن فى هذا الجبل الذي يحتوي على هذه البئر، فكانوا يأخذون سبعة ثيران فى الغروب إلى الجبل كقربان لهذه الأرواح، وعندما يعودون إلى المدينة يأخذون ستة من الثيران ويتركون ثورًا واحدًا مربوطًا هناك، وقبيل الفجر يذهبون إلى الثور المربوط ويذبحونه ويرمون بلحمه فى البحر اعتقادًا منهم أن هذا يرضى الأرواح التى تسكن البحر. ويروى البعض أن السكان القريبين من البئر يسمعون صراخًا داخلها، كما يروي الكثير من الزوار للمكان ممن حاول الدخول فيه سماعهم للأصوات ويقال إن أحد الأجانب جاء إلى عدن وكذَّب هذه المقولة، وذهب لاكتشاف البئر، وعندما أنزل الكاميرا للتصوير سمع أصوات صراخ فهرب من المكان وعاد إلى عدن فزعاً يحكي للناس ما حصل معه. ومازال الكثير من الناس يخافون الاقتراب والنزول إلى هذه البئر حتى الآن [2].

طاهش الحوبان

هناك العديد من التصورات الشعبية لدى اليمنيين حول الوحوش، ومن هذه الوحوش ما هو حقيقى ومنها ما هو من نسج الخيال، فطاهش الحوبان [3] عبارة عن وحش يفترس الناس فى الطرقات ليلاً، والبعض يقول إنه عبارة عن وحش من الجن مَهمي لا يظهر للعين المجردة وإنما يسمع بجواره طائر يسمى طائر اليرار وعند مشاهدة هذا الطائر يعرف الناس وجودَ الطاهش فى المكان وأنه قادم مع هذا الطائر، وإذا لم

(١) قلعة صيرة: من أهم القلاع الأثرية اليمنية في محافظة عدن وتقع أعلى جبل صيرة.

(٢) الحكاية وردت عل لسان عدد من الإخباريين من أهل عدن..

(٣) سمي بطاهش الحوبان نسبة إلى منطقة الحوبان في محافظة تعز وسط اليمن.

يهربو منه فإنه لا يسمع إلا قرع أقدامه حين يهجم على البشر ويأكلهم، كما هناك روايات أخرى تقول بأنه يتصور للناس فى عدة أشكال، فيقال إنه يكون على شكل إنسان يغطى جسمه الشعر وله رأس ذئب، وفى أطرافه مخالب وأنياب طويلة.

ويحكى فى تعز أيضًا أن هناك وحشًا آخر اسمه (عرجاء الحوبان) ويقال إنها زوجة طاهش الحوبان، ولكنها تظهر للناس على شكل امرأة جميلة جدًا وتدعو الرجال إليها حتى إذا اقترب منها الرجل عضته بأسنانها، وتقوم بالتحول إلى وحش ملتهم يمص دماء الإنسان ويأكل لحمه ثم يرميه إلى الجبال، وإذا هرب منها وعضته عضة صغيرة فإنه يتحول إلى شبح مثلها.

والبعض يروى أنه حيوان برأس ذئب وجسم حمار وعيونه تضىء فى الليل، وله مخالب حادة وطويلة. فأطلقت عليه الكثير من التسميات الشعبية، والطاهش اسم عامى باللهجة اليمنية العامية فى اليمن، وتعني المفترس أو المتوحش ويقال في الأمثال اليمنية (كل طاهش وله ناهش) بمعنى كل قوي هناك ماهو أقوى منه.

ومن الحكايات التى سمعتها عنه أنه عبارة عن وحش يسكن فى الجبال وفى الكهوف التى تعلو قمم الجبال، يصحو فى الليل ابتداء من المغرب للبحث عن فريسة يشبع بها جوعه، وهو أعمى وليس له حاسة شم أيضًا، وإنما يستدل على فريسته عبر الصوت، فإذا خرج أحدهم فى الليل إلى الطرقات أو أزقة القرى بين المنازل وسمع الطاهش وقع قدميه فإنه سوف يحدد مكانه وسينطلق مسرعًا لالتهامه. ويقال إن الحل الوحيد للتخلص منه هو الاختباء منه أو الوقوف فى أى مكان دون أى حركة، بحيث لا يسمع أى أصوات فيستدل عليه. وإليكم حكاية من أحد الرواة كبار السن فى قرية عائلتنا فى حى الثجة بمحافظة إب، حيث يرويها عن نفسه..

ذات مرة فى أيام شبابه فى الستينيات خرج فى الليل لأمر ضرورى فتأخر فى العودة، وبينما هو عائد إلى المنزل سمعه الطاهش ولحق به فهرب منه إلى مخزن أعلاف بجوار منزلٍ أحد الجيران توضع فيه الأعشاب للحيوانات، وجلس بهدوء دون حراك،

ولأن الطاهش يسمع ولا يرى ولا يشم [1] فقد ظل يجول بالمكان بحثًا عنه فلم يجده مع أنه كان قريبًا منه جدًا، حتى إذا اطمأن لابتعاده هرب إلى منزله وأقفل على نفسه وعائلته الباب.

وإليكم حكاية مشهورة جدا عن قتل أحدهم للطاهش:

كان بإحدى القرى رجل يملك الكثير من الأغنام والأبقار والحيوانات التى ترعى فى النهار فى الجبال، وكان الطاهش يختطف الأغنام والأبقار بين الحين والآخر، فقام الراعى بعمل حصيرة من الأخشاب بجوار منزله وأدخل فيها الحيوانات، وكان يطعمها الأعلاف فى مكانها بجوار المنزل، وكانت هذه الحظيرة من الأخشاب فكان هذا الطاهش يأتى بين الحين والآخر ليلاً، وكان قويًا إلى درجة أنه كان يتمكن من إبعاد الأخشاب وكسرها، فكان كل يوم يصطاد واحدة منها حتى ضاق صدر الرجل فقرر التخلص من هذا الطاهش بأى ثمن، فسخر جهودة لإكتشاف نوعية هذا المفترس فعرف مع الآيام أنه وحش يسمع ولا يرى فذهب فى النهار إلى الجبل وبحث عن مكان تواجد هذا الطاهش، فاكشف أنه يتخفى فى الجبل بداخل كهف كبير، وإنه يدخل إلى كهفة موجهاً مؤخرتة للداخل حتى يطمئن من عدم لحاق أحد به وليكون جاهزاً لصد أي قادم من الخارج.

فقرر الرجل القضاء على هذا الوحش وجلس فى مكان عالٍ من الجبل حتى إذا جاء الليل تناول حجرًا بيده وقام برميه إلى مكان بعيد منه فى أسفل الجبل، فسمع الطاهش أصوات الحجر وارتطامه بالأرض فأسرع خارجًا من كهفه متجهًا إلى المكان الذى سمع فيه الصوت للحصول على الفريسة التى تصدر ذلك الصوت، واستغل الرجل عدم وجود الوحش فى الكهف فأخذ معه رمحاً طويلا ودخل إلى الكهف، وانتظر حتى عودة الطاهش، وبينما كان هذا الطاهش يدخل إلى الكهف وظهره للداخل حسب عادتة

(١) يروي البعض أن من عيوب الطاهش انه لا يرى وأنه يعتمد على سمعه لتحديد مكان الضحية لذلك على من سمع صوته وطارده أن يختبئ في مكان ولا يتحرك حتى يعود الطاهش الى أدراجه حسب ما رواه لي الراوي.

وجه الرجل الرمح إلى مؤخرته بكل ما أوتى من قوة حتى أخرج الرمح من فمه، فمات الطاهش وحمله الرجل معه إلى القرية وخلص الناس من شروره.

ويروى فى مدينة تعز حكاية مشهورة عن طاهش الحوبان، ويقال إنه كان عبارة عن أسد كبير في منطقة وديان الحوبان التي تتوسط الطريق التى يمر منها المسافرون بين محافظات جنوب اليمن وشماله بالقرب من تعز وسمي (طاهش الحوبان) نسبة لمنطقة الحوبان بين إب وتعز وكان الناس يسافرون من هذه الطريق لأغراض التجارة ونقل البضائع وغير ذلك وكان هذا الحيوان يلتهم كل من يتأخر بالسفر ليلاً عن طريق ذلك الوادي ويرى البعض أنه حيوان الضبع وهو الرأي الأكثر إحتمالاً حيث أن الضباع كانت تعيش في جبال اليمن إلى وقت قريب وهي حيوانات سريعة وقوية وتنطبق عليها أكثر الأوصاف التي ترد في الحكايات الشعبية حول الطاهش.

وكل هذه الحكايات تصب فى بوتقة واحدة وهي التصورات المختلفة للوحوش التى كانت متواجدة فى هذه المناطق الجبلية، فحكاية الطاهش موجودة فى أغلب محافظات اليمن وخاصة الجبلية منها.

الرامى

الرامى أيضًا من التصورات الشعبية التى كان اليمنيون يعتقدون بوجودها إلى وقت قريب ويصفونه بأنه عبارة عن حيوان بشكل إنسان خفىّ، يظهر للناس فى الطرقات فقط قبل أن يدخل إلى القرى، ثم يرتدى قبعة تجعله يختفى بمجرد وصوله للقرية فلا تراه الأنظار [1]، وعندما يدخل إلى قرية فإنه يصيب الأبقار والحيوانات فى هذه القرى بالمرض والهلاك، ويقال: كان يأتى من عام إلى آخر فتهلك الأبقار والحيوانات فى الكثير من القرى التى يمر بها، ولعل هذا ما يفسر كثرة دعاء اليمنيات على المؤذين من الأولاد أو المشاغبين بقولهن (جعل لك رامى وحنش هامى) بمعنى المهتمي الذي لا يرى

(١) تختلف الرويات والتصورات من منطقة إلى أخرى وهذا هو الحال في معظم عناصر الثقافة الشعبية .

بالعين المجردة والحنش باللهجة العامية اليمنية الثعبان وقد أشار البردونى فى كتابه (الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل)[1] على لسان أحد الرواة إلى أن الرامى يأتى على شكل إنسان له رأس جمل وعيناه كعينى الثور، وأثر قدميه كأثر أقدام الجمل، ويحمل على ظهره جِرابًا مطرَّزًا بالودَع، ويخفى سكينًا أحمر فى إحدى يديه، ويأكل الأشجار الشائكة كالشوحط والعتم والضهياء، ويقول الذين يشهدون رؤيته أنه عندما يدخل القرية يرتدى كوفية الهماء حتى لا تقع عليه عين، ويفتك بالأبقار سرًا فلا يعرف ذلك إلا من موت الثور أو الأبقار. ويقال إن القرى تتحوَّل إلى مسالخ بمجرد دخوله إليها، فيقال "قرية فلان أصابها رامى" فهلكت كل الحيوانات فيها ولعل هذه الحكاية كانت انعكاسًا وتبريرًا للأمراض التى كانت تصيب الأبقار فتودى بها، ولأن هذه الأبقار هى سر تغذية الناس فمنها السمن واللحم واللبن، كان أن انشغل بها الإنسان واهتم الخيال الشعبى بقضاياها ونسج لها الكثير من الحكايات الشعبية.

الصَيادَ

يعتقد الكثير من أبناء اليمن أن هناك جنية تظهر فى صور متعددة خاصة فى الليل فيسمونها فى بعض المناطق من اليمن (الصياد) بفتح الصاد، وأحيانا يسمونها (أم الصبيان)، وعندما يدعو النساء على أبنائهن يقلن: (لك صياد تشلك أو لك أم الصبيان). ويقال إنها تتصور أحيانًا بصورة امرأة جميلة لإيقاع الشباب والرجال فى شباكها، وإذا عاشرها أحدهم فإنها تنجب منه أبناء وتحوله إلى مجنون، وتظهر له بين الحين والآخر فى الطرقات أو فوق الأشجار فتكلمه وتلاحقه، وأحيانًا يجده الناس يكلم أبناءه أو يكلمها وينظر للأعلى، فيقولون عنه: مجنون أو ركبته صياد [2]. وعندما يتزوج الإنسى بالجنية يتحول اسمها إلى (أم الصبيان) أى تصبح أمًا لصبيانه. ويقال إن الصياد فى الغالب تتصور بشكل آخر للإنسان الذي تقع فى حبه، فتتصور له بصورة أجمل النساء

(١) عبد الله البردوني –الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل – دار المأمون للطبع والنشر، ١٩٨٨.

(٢) ركبته صياد أي لبسته جنيه أو ما يسمى بالمس.

التى يرغب في معاشرتها وتأتيه فى خلوته، وبعد أن يعاشرها الرجل تعود وتتصور بشكلها الحقيقى بصورة جنية، فإذا احتاجت إليه لمعاشرتها تغيرت وعادت إلى التصور له بشكل امرأة جميلة وهكذا. ويروى أن الحل الوحيد لمعرفة هذه الجنية قبل أن يقع الرجل فى معاشرتها هو أن يحاول الكشف عن أسفل رجليها؛ حيث إن إحدى رجليها من الأسفل تكون واحده منها رجل إنسان والأخرى بضلف [1] حمار، حيث يقال إن الصياد الجنية لا تستطيع تغيير هذا الجزء من جسمها، أما الباقى فهو يتغير بمختلف الأشكال، وهكذا عندما يكتشف الرجل شكل رجلها عليه أن يذكر بعض الأذكار لكي تحترق وتهرب منه.

وأما ما يشاع عنها كشبح يظهر فى الليل فى الطرقات أو المناطق الخالية فلها أشكال وصور متعددة فمنهم من يتصورها بشكل امرأة شعرها مشعّث تخرِج من عيونها الشرر، والبعض يقول إنها تظهر بشكل داهية كبيرة، أى حيوانات مفترسة مركبة وكبيرة ومخيفة، وهناك حكايات كثيرة جدًا عنها، فعلى سبيل المثال يروى فى بعض المناطق من اليمن حكاية مشابهة لحكاية الصياد وهي حكاية (الجنية الفاتنة) ويقال إنها نوع من الجن تتصور للبشر إنسانة جميلة تطلب من الرجال مرافقتها إلى منطقة بعيدة ثم تقتادهم إلى مكان خالٍ فتتحول إلى وحش مخيف. ومن هنا كان لابد أن نذكر بعض الحكايات التى رواها لنا الرواة حول هذه التصورات لهذه الجنية. وإليكم حكايات تم تسجيلها من بعض الرواة الذين أجريتُ معهم مقابلاتٍ شخصية من كبار السن.

يقول الراوى إنه بينما كان يمشى ليلاً عائدًا من قرية أخرى، وبينما كان فى مكان خال من الناس بين القريتين مر ببركة الماء التى تجلب منها النساء الماء فى النهار، وتفاجأ بوجود امرأة جميلة عارية تغتسل فى البركة، فظن أنها إحدى نساء القرية فاقترب منها، وقد شده جمالها الذى لا يحتمله بشر، وكانت تنظر إليه وتغريه

(١) الضلف تعني باللهجة اليمنية ضفر رأس قدم الحمار وأحيانا يقال بضلف دابة وتسمية لأنثى الحمار.

للاقتراب منها، ونادته باسمه للحضور ومؤانستها ومساعدتها فى الاغتسال، وقالت له: تعال وَنّسنى أنا خائفة، فاقترب منها قليلاً ثم تذكر أن النساء لا تأتى إلى البركة فى الليل وشعر أنها ليست إنسية، فقرأ بعض المعوّذات فاختفت المرأة، ولم يعد لها أثر ففر هاربًا.

ويقول آخر إنه بينما كان ذاهبًا إلى عمله فى الصباح الباكر والطريق خالية من الناس، وجد امرأة يعرف أنها فلانة ابنة فلان، وكانت هذه المرأة بديعة وجميلة، وكان يتمنى الزواج منها فى شبابه، ولكنها تزوجت برجل يعيش في قرية أخرى وشاهدها ذلك الصباح بالقرب من الطريق وهى تخلع ثيابها بين الزروع، وقد كشفت عن عورتها، فظن أنها تريد قضاء شيء، ولكنه اكتشف أنها كانت تتعمد أن يراها لتغريه حتى أذهله جمالها وانجذب إليها فذهب إليها، وعندما اقترب منها من الخلف تردد وشك فيها، وقال: ماذا جاء بفلانة الآن إلى الحقل فى هذا الوقت المبكر وظن أنها جائت لزيارة أهلها لكنه فكر وقال ربما تكون (صياد). فقال لها: ماذا جاء بك يا فلانة إلى هنا فى هذا الوقت؟ وتلا بعض الأذكار فاختفت وتحولت إلى قطة صغيرة هربت بين الزروع واختفت من أمامه [1] فما كان منه إلا الفرار والهرب بعيدا من المكان.

البدات

تقول الحكاية إن هناك بعض النساء والشابات شديدات الجمال وهن فى الغالب من نساء الأغنياء، ويكون هؤلاء النساء من النوع الذي يحب الجنس، فيمسخن أنفسهن إلى بدة على شكل أنثى حيوانية، لكي تستطيع ممارسة الجنس علنًا كسائر البهائم. ويقال إن هؤلاء النساء يتحولن إلى بدات عن طريق نساء كبيرات السن من الجدات اللاتى لديهن الخبرة بذلك، فيعلمن الشابات أسرار التحول إلى البدات، وهذه الطريقة تكون باتباعهن بعض التعليمات، ومنها أن تقوم الشابات بالصعود إلى قمم الجبال لمدة سبعة أيام مرة قبل بزوغ الشمس ومرة قبل الغروب، وبعد ذلك تنهض الشابة لمدة أربعين

(١) الراوي من كبار السن في منطقة إب وسط اليمن.

يومًا مع بزوغ الشمس وتكشف سوءتها لأول بزوغ شمسى كل يوم، وبعد الأربعين يومًا تغتسل الشابة أربعين ليلة تحت ضوء النجوم، وتدلك جسمها بورق شجر (الضرو) وهذه هى آخر الطقوس، وبعد ذلك تتعرض هذه الشابة إلى أى رجل تريد مسخه إلى حمار وتنمسخ هى أيضًا إلى (أتان) ثم ترتد هذه المرأة بعد اغتصاب الرجل إلى موقع رماد قد أوقدت ناره قبل أيام من حطب (القرض) فتمرّغ جسمها بهذا الرماد حتى تسترجع صورتها الحقيقية، وهكذا يظل النساء متنقلات بين صورة الحيوانات وصورة الإنس، وعندما تفقد الكثير من جمالها تحل محل الجمال القدرة على المسخ للرجال، فتستمع هذه المرأة بين الحين والآخر بمسخ الرجال الذين يعاشرونها بصورتها الحقيقية، فتقوم بتحويلهم إلى حمير ولا يستطيع الرجل الممسوخ منهم العودة إلى هيئته البشرية الا على يد هذه المرأة التى مسخته أو على يد (المبدبد) وهو شخص يقوم بعلاج هؤلاء الرجال عن طريق كتابة تميمة ويمسح على رأس الرجل البدة بالزباد، وهو دهان معجون من فضلات الغزلان والظباء[1].

وفى هذه التصورات يبدو لنا أن الخيال الشعبى قصد من ورائها إلى تخويف الرجال والنساء من الخوض فى المحرمات، وربما استخدمت هذه الحكايات ، وهى من الطرق التى تعكس حكمة الشعب التى كانت تحكى لفئة الشباب من الجنسين بحيث تجعلهم هذه الحكايات يتخلون عن الأفكار التى تدعو إليها النفس من اقتراف المحرمات، فالمرأة هنا سوف تحتاج إلى الكثير من التضحية والعمل الشاق للوصول إلى تحقيق رغباتها الخفية، بالإضافة إلى أنها سوف تفقد الكثير من جمالها وأيضا تصور هذه الحكاية أن الرجل سيتحول إلى حمار ممسوخ إذا ما تبع نفسه وشهواته وأنه لن يعالجَ الا على يد هذه المرأة أو بعلاج خاص من روث الغزلان والظباء، وهو نادر ولا يتوفر إلا حيث تواجد الغزلان، فى أماكن بعيدة ونادرة من جبال اليمن، وبهذا يكون الخيال الشعبى قد وضع صورة سوداوية للانحلال لدى الشباب والشابات. ويرى

(١) إنظر فنون الأدب لشعبي للبردوني .

الباحث أن هذه الحكايات ربما تعود إلى فترة ما قبل الإسلام حيث نسجت حينها كضوابط لعلاقات الرجال بالنساء، فنسج الخيال الشعبى حكايات تحكم هذه العلاقات وترمي لضبط هذا الاتجاه وتخوف الشباب منه.

كنوز الجن

تحتفظ الذاكرة الشعبية فى اليمن بالكثير من الحكايات التى تصاغ حول الكنوز التى يعتقد أنها تملأ الجبال والقلاع والحصون القديمة فى الجبال والقفار المختلفة، حيث يعتقدون أن هذه الكنوز تحرسها طوائف من الجن، لذلك نجد الكثير من المواقع الأثرية فى اليمن التى يخاف الناس من الاقتراب منها لما نُسج حولها من الحكايات المرعبة التى يروى أنها أصابت الكثير ممن يحاولون الاقتراب من هذه الأماكن. ومن هذه الحكايات ما يدور حول أحد الأماكن فى محافظة إب حيث كانت هذه الأطلال بقايا لمدينة قديمة.

كانت هناك امرأة تعمل فى الحقل عند الجبل، وبينما هى تنظر حولها فى الجبل تبحث عن أبقارها وأغنامها بين التلال وجدت كمية كبيرة من الذهب معرَّضة للشمس فوق الصخور يلمع بريقها الذي يعكس أشعة الشمس، فاقتربت منه وأخذت غرفة بيدها فضربها الجنى على وجهها ضربة أعاقت لسانها عن الكلام. وسمعت جنيًا آخر يقول لصديقه: دعها تأخذ ما بيدها فهو بالكاد يكفى لعلاجها، وفجأة اختفت كل الكنوز التى أمامها وبقى الذى فى يدها فقط، وعندما عادت إلى القرية كانت عاجزة عن الكلام فأعطت زوجها هذا الذهب، فباعه وظل يعالجها منه ويدور بها على العرافين والأطباء، ولم تتعافَ أو تتكلم الا بعد أن أنفق عليها كل ما حصل عليه من هذا الذهب، وعندها شفيت وعادت إلى طبيعتها وتكلمت بعد سنوات من انعقاد لسانها، فحكت لهم القصة ، وعندما سمع الناس الحكاية قال بعض الحكماء إنها لو أخذت قطعة من الملابس أو ستارتها أو أى قطعة من القماش ورمتها على الكنز فإنه سيكون من نصيبها وأن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي ينجو من يشاهد كنوز الجن من عقابهم بواسطة

قطعة من القماش فيبقى الذهب فى مكانه ويختفى الذهب الذى لم تغطِّه فقط، وبهذا يتركها الجن ولا يؤذون من شاهدها، بمعنى أن هذا هو الحل الوحيد الذى يمكن من خلاله الحصول على الذهب الذى يخرجه الجن ما بين الحين والآخر لتعريضه للشمس فوق الصخور كما تقول الروايات[1].

ويقول راو آخر إنه ذات مرة كان يمشى فى الجبل ومر بأطلال دور وقلاع قديمة فوجد بين الصخور جنيهات الفرانص [2]وكانت هذه العملات الذهبية موضوعة على الأحجار، ففرح لرؤيتها فذهب إليها والتقطها وعاد بها إلى المنزل ووضعها فى نافذة مرتفعة من المنزل، وقال لزوجته: لقد وجدتها فى الطريق فى مكان كذا وكذا، وهو مكان مهجور، وحذرها أن يصل إليها أحد، وعاد إلى عمله فى المدينة. وعندما أكمل عمله فى المساء عاد إلى المنزل من نفس الطريق بجوار هذه الأطلال، وعندما اقترب من الطريق التي تمر على بقايا القلعة المهجورة سمع أصوات غناء ورقص واحتفال كبير، ولكنه لم ير أحدًا فاستغرب من قوة الصوت والغناء كأن هناك فرحًا أو حفلَ زواج فإذا به يسمع أحدًا يقول "هذا هو الإنسى الذي أخذ ذهب العروس" فعرف أنه أخذ ذهب الجن فصاح مخاطباً للجن كي ينجو منهم: خذوه من المنزل من الطاقه [3] العلياء، فى مكان كذا وكذا من المنزل، وهرب باتجاه القرية مسرعًا يتلو بعض الأذكار وقد تملكه الرعب. وعندما وصل إلى منزله حكى لزوجته ماحصل معه وذهب ليرى الذهب فى النافذة فلم يجد شيئًا فسأل زوجته عما إذا كانت رأت أحدًا يأخذه، فقالت له: لم يدخل أحد إلى الغرفة منذ أن غادرتَ فى الصباح [4].

(١) هذه الرواية تنسب إلى جدتي وهي من أبنا قرية حي الثجة في محافظة إب وطالما كنت أسمع عنها من الناس ومن والدتي ولكني لم أكن أصدق ذلك.

(٢) نوع من العملات الذهبية القديمة كانت موجودة باليمن، وتسمى بالفرانس ربما نسبة إلى فرنسا وكانت معروفة آنذاك ويتعامل بها الناس ويشترونها لزوجاتهم إلى وقت قريب كزينة يعمل منها حلي حول الرقبة والصدر.

(٣) الطاقة العليا أى النافذة، باللهجة اليمنية وقد حثني بهذه الرواية الأستاذ أحمدجزيلان الجهمي من منطقة دار الشرف وسط محافظة إب.

(٤) الراوي من كبار السن في محافظة إب وسط اليمن موضح في قائمة الإخباريين.

جارة البيت

يعتقد الكثير من اليمنيين بوجود طائفة من الجن المسالمين الذين يعيشون معهم فى المنازل، ويعتقدون أن هذه العائلات من الجن لها حق العيش مع البشر فى منازلهم، ويطلقون على ربة المنزل من الجن تسميات مختلفة، ففى المناطق الوسطى من اليمن تسمى (جارة البيت) ويقصدون بها ربة المنزل من الجن الذين يسكنون مع البشر فى نفس المنزل، وربما جاءت التسمية من لفظ الجار أى من يجاورهم فى السكن، وهذه المرأة الجنية فى الغالب تكون طيبة جدًا إلا أنها فى حال لم تحصل على ما تريد من الإنسى فإنها تؤذى سكان المنزل من البشر، فنجد أثر ذلك ينعكس على تعاملات سكان القرى ممن يعتقدون بذلك، فعلى سبيل المثال عندما تقوم نساء المنزل بعمل الحناء فى المناسبات المختلفة فإنهن يقمن فى الغالب بوضع بعض من عجينة الحناء على جدران المطبخ أو الصالة، لاعتقادهن بأن جارة البيت تريد أن تتحنّى مثلهن، وأنها سوف تأخذ هذه الحناء من الجدران وتضع منها لنفسها ولبناتها، ويتصادف أن يسقط بعض الحناء عن الجدران بعد جفافه بأيام، فيعتقد أهل المنزل أنها قد أخذت منه. وإليكم بعض الحكايات عن جارة البيت من رواة قمنا بسؤالهم..

يروى لنا أحد الأشخاص أنه فى ذات ليلة بينما كان أهل المنزل فى نوم عميق استيقظ من نومه فى وقت متأخر من الليل وشعر بالجوع، فقرر الخروج إلى المطبخ ليتناول قطعة من الخبز يسد بها رمقه، وعندما خرج باتجاه المطبخ وجد جارة البيت قد تصورت بشكل أمه، فظنها أمه فنادى عليها فاختفت من ناظريه، وكان أحدًا لم يكن، ففزع وعاد إلى نومه وعندما استيقظ فى الصباح أكدت له والدته أنها لم تصحُ فى تلك الليلة وأن المرأة التى رآها هى جارة البيت التى تعيش فى كل المنازل، وطمأنته بأنها لا تؤذى أحدا إلا فى حال داس أحدهم على أبنائها أو أزعجها بالسهر فى وقت متأخر من الليل، حيث يعتبر هذا الوقت خاصًا بها هى وأبنائها ولا يجوز لأهل المنزل من البشر السهر واستخدام المنزل بكثرة، وخاصة المطبخ، لذلك نجد غالبية أبناء القرى

ينامون باكرًا وتصبح المنازل هادئة كأنها خالية من السكان.

ويذكر لنا أحد الرواة أن والدته كانت تقوم بقطع رغيف من الخبز قبل النوم إلى قطعتين وتضعه فوق كومة الخبز، وعندما كان يسألها عن السبب كانت تقول له: حتى جاعت جارة البيت لاتحرج من الأكل منه، وإلا فإنها تظل جائعة فى حال وجدت أرغفة الخبز سليمة. وهذا يدل على مدى الانسجام فى المعتقد بين الإنس والجن من خلال هذه الأفكار التى يعتقد بها الناس.

العضروط

مثلما تروى قصص حول الجن من النساء، هناك من يعتقد أيضًا أن ذكور الجن لهم وجود أيضًا فى المنازل، ويعتقد أبناء القرى أن هناك نوعًا من الجن الذكور يعيش فى المنزل إلا أنه لا يتصور بصورة البشر مثل جارة البيت من النساء الجنيات وإنما يسمونه (العضروط)[1] ويقال إنه يكون فى الغالب على صورة عِجل قريب الولادة، حيث تروى لنا إحدى النساء كبيرات السن فى القرى أنها ذات مرة تأخرت فى السهر ليلاً ونسيت حلب الأبقار مبكرًا كالعادة، فنزلت منتصف الليل لحلب البقرة فى ذلك الوقت فى إسطبل الأبقار وهى بصحبة (السراج)[2] وعندما وصلت إلى الدرج المؤدية للسفل[3] واقتربت من الدخول فى إسطبل للأبقار وجدت عجلا غريبا يهرب من جوار الأبقار انخلس بين أرجلها وهرب من الدرج، ولمسته بأيديها خوفًا منه وانخلس منها بمرونة وأطفأ السراج الذى تستضىء به حتى لا تراه. فقد ذكرت الراوية أن (العضروط) لا يستطيع الاهتماء والاختفاء مثل جارة البيت بل يهرب إلى زاوية من المنزل ويختبئ فيها، وغالبا ما يختبئ فى مخازن الأعشاب أو إسطبلات الأبقار، ويتسلل فى الليل لشرب الحليب من الأبقار فى حال لم تحلب ربة المنزل الأبقار فى الموعد المحدد، فإنه

(١) – له تصورات متعددة ومنهم من يعتقد أنه على شكل

(٢) وهو نوع من الفتيل يعمل بالزيت أو الجاز وتكون تيلة الضوء فيه مكشوفة ويضىء كالشمع.

(٣) مكان مبيت الحيوانات، وهو فى الغالب الدور الأول من المنزل.

يتناول حليبها بدلاً من رضيعها فلا تجد المرأة شيئاً في حال جائت متآخرة لحلبها ويقال إنه غالبا ما يعيش فى المنازل الكبيرة والقديمة المتعددة الأدوار، والتى تكثر فيها الدهاليز والغرف الخاصة بالحيوانات كما فى البيوت الحجرية فى القرى للمناطق الوسطى من اليمن، حيث يكون المنزل فى الأدوار السفلى عبارة عن إسطبلات كثيرة تكثر فيها الممرات والدهاليز، فهذا دهليز للعشب، وآخر لروث الأبقار، وآخر لحفظ أدوات الزارعة، وآخر لجمع الأعلاف، وآخر لجمع بقايا السنابل التى تطعم منها الأبقار فى الشتاء عند انتهاء موسم الخضيرة فى الجبال وغير ذلك فيعتقد أن ذلك يساعد على إختباءة .

فكاهة الناس عن العضروط وجارة البيت

يقول أحد الرواة المعروفين بالنكات والضحك[1] إن ما يروى عن جارة البيت والعضروط ما هو إلا تراهات كان يستخدمها الرجال والنساء ممن كانوا يتبادلون العشق الممنوع، فتخفى المرأة عشيقها الذى يأتى إليها ليلاً، وتخوف أبناءها بالعضروط لكي تتمكن من إخفاءة في المنزل، وهكذا أيضا يقوم العاشق بإخفاء حبيبته فى المنزل على أنها جارة البيت فتأتى إليه أو يذهب إليها فى منزلها ويتخفى من أهل البيت، وفى حال شاهدهما أحد قالوا له: ربما وجدت العضروط أو جارة البيت، حيث كانت المنازل فى القرى متصلة ببعضها، وقد يصل اتصال المنازل إلى ثلاثين منزلاً وأكثر أحيانًا، ويمكن أن ينتقل الأشخاص من منزل إلى آخر عبر السطوح المكشوفة، وكانت ومازالت أغلب المنازل فى القرى القديمة تتصل ببعضها إلى أن تصل إلى ثلاثين أو أربعين منزلاً ، فكان الرجل إذا أراد أن يأتى بعشيقته والعكس،إلى المنزل حكى لأهله حكاية رعب يخوف بها أبناءه ، حتى إذا نام الجميع جاءت عشيقة الرجل عبر أحد الممرات الفاصلة بين المنازل أو الجهات الخالية من المنزل، ويتسامران فإذا سمع أحد أبناء المنزل أصواتًا تبادر إلى ذهنه حينها أنها أصوات سكان المنزل من الجن. وإن صادف

---

(١) أحد كبار السن من منطقتنا قرية الحيثجة معروف بالنكات وهو الحاج أمين ماعر المرهبي حفظه الله .

وخرج أحدهم ووجدهما فإنه سيصاب بالرعب ويعتقد أنه رأى جارة البيت تصورت له بصورة امرأة، ويقول الراوي مداعباً: فى الحقيقة هى امرأة حقيقية من معشوقات صاحب المنزل، وهكذا يحصل العكس مع النساء الحاذقات ممن يملكن معشوقًا بأن تقنع من فى المنزل بوجود الجن والعضروط الذي هو حبيبها في الحقيقة.

ويقول الراوى: لقد كان الجميع يصدق أغلب هذه الحكايات، واستثمرت هذه الحكايات ليستفيد منها العشاق إلا أن هذه الحكاية ربما من باب الفكاهة والطرفة فى الغالب وربما استغلت لهذا الصالح لكن المعتقد بوجود هذه الكائنات موجود لدى فئة كبيرة وخاصة كبار السن ممن عاشوا تلك الفترة.

الثعبان يحرس الكنز

يعتقد اليمنيون فى أغلب الأماكن من اليمن بأن الثعابين الكبيرة تحرس الكنوز، وتروى الكثير من الحكايات حول حراسة الثعابين العملاقة للكنوز القديمة المدفونة فى الجبال والكهوف، فنجد الناس يخافون من الاقتراب من هذه الكهوف أو الحفر أو الآبار فى الأماكن الأثرية التى يعتقد الناس أنه يوجد فيها كنوز قديمة من الذهب والفضة وغيرذلك، ويعتقدون أن الجن سيطرت عليها ووضعت لها حراسة شديدة بواسطة حارس على شكل ثعبان معمر يصل عمره إلى آلاف السنين. ويقال إن هذه الثعابين كبيرة الحجم لا تخرج إلا مرة واحدة فى العام لتشرب وتأكل ما يكفيها للعام. ويقال إن لها قرونًا مثل قرون الماعز، ويتوسط رأسها جوهرة صغيرة، وإذا تمكن إنسان من كسر هذه القرون وأخذ الجوهرة فإنها ستموت وفي هذه الحالة يمكنة أن يأخذ الجوهرة ويقوم بالدخول به إلى مكان الكنز ولا تعترضه الجن، وذلك لكونه يحمل هذه الجوهرة، فيدخل فى الكهف فتظهر له الكنوز المدفونة ويمكنه أن يأخذ هذه الجوهرة أيضا كنوع من الحروز التي يستطيع بواسطتها إضاءة الكهوف التي يعيش فيها الثعبان فيكشف له بواسطتها مكان الكنز حيث تضيء له المكان المظلم، وفى حال دخل الحاصل على الجوهرة إلى المكان ولم يجد الكنز ووجد بعض الفحم فإنه بمجرد وضع

الجوهرة على هذا الفحم يتحول إلى كنز من الذهب، ولا يمكن الحصول على الكنز إلا إذا كان الثعبان له قرون ويحمل الجوهرة، وهى الأشياء الوحيدة القادرة على إظهار هذه الكنوز وفك طلاسمها. ويروى اليمنيون الكثير من الحكايات المشابهة لهذه الحكاية.

(الحكيم ديحيكو والمراة الطيبة في جزيرة سقطرى)

كان فى قديم الزمان فى إحدى القرى من جزيرة سقطرى [1] نبع يتجمع فيه القليل من الماء طوال النهار، ولا يكاد هذا الماء يملأ قربة جلد الماعز، ولا يَغترِفه إلا الشاطر الذي ينهض مع بزوغ الفجر ويأتى إلى النبع قبل الآخرين، أما من يتأخر فلا يحصل على قطرة من الماء، وكان هذا سببًا فى تشاجر أهل القرية على هذا الماء، وكان هذا الشجار يتكرر كل يوم مع من يغترف الماء ولا يترك قليلاً للآخرين. وذات مرة جاءت امرأة فقيرة إلى النبع قبل غيرها من الناس، واغترفت الماء وهمت بالانصراف قبل أن يراها أحد، وما أن خطت خطاها عائدة حتى رأت رجلاً شيخًا يقتاد حمارًا، وكان القادم هو الحكيم (ديحيكو)[2] الذي يحقق الأمنيات، ولم تكن المرأة تعرف ذلك فاقترب من المرأة وقال لها: اسقينى يا بنت الحلال.

فقالت له المرأة ومن أين لى بالماء إذا سقيتك! فهذه القربة أقتصد فيها لتكفينى أسبوعًا كاملاً على قلتها.

فقال لها الرجل: أكاد أموت من العطش أرجوك اسقينى.

فرق قلب المرأة ففتحت القربة فشرب منها ديحيكو، ثم قال لها:

أعطينى بعضًا منه لأغتسل.

فأجابت المرأة: الماء العذب نادر جدًا هنا فهل يصح أن تغتسل به!.

(١) جزيرة يمنية على المحيط الهندي وردت هذه الحكاية فى كتاب (سقطرى جزيرة الأساطير) للكاتب الروسى فيتالى ناومكين– ترجمة خيري جعفر الضامن– أبو ظبي – هيئة أبو ظبي للسياحة– ٢٠٠٩م

(٢) الأسماء هنا باللغة السقطرية حيث يمتلك أبناء جزيرة سقطرى لغة خاصة متوارثة منذ القدم.

فكرر لها الطلب، فصبت عليه الماء ليغتسل، فقال بعد أن اغتسل: أريد أن أسقى منه حمارى. فقالت له: وماذا سيبقى لى بعد ذلك! فأصر الرجل فأعطته المرأة القربةَ فسقى منها الحمار، ثم قال لها: أريد أن أغسل حمارى، فقالت له: اغسله وخذ بقية الماء. ويئست من بقاء شىء من الماء، فعرف أن هذه المرأة طيبة القلب فقد أعطته كل ما معها من ماء النبع النادر ولم تعد أمامها فرصة للعودة، فقد جف ماء النبع، فقال لها: أيتها المرأة الطيبة اطلبى ما تشائين وسأعطيك.

فقالت له المرأة: لن أطلب شيئًا وسوف أرضى بالمقسوم.

فقال لها: أعطيك ماء هذا النبع وأجعل الماء ينبع بغزارة بمشيئتى، وكل هذا لك وحدك. وقال لها: تعالى إلى هنا غدًا مع بزوغ الفجر وسترين كل ذلك بنفسك.

لم تصدق المرأة قوله ولكنها قالت فى نفسها: سوف أحضر إلى هنا غدًا وأشاهد ذلك بنفسى، وإن لم يكن فربما ملأتُ القربةَ بالماء.

وعادت فى اليوم التالى باكرًا إلى النبع فوجدته قد تغير وكثر ماؤه، ووجدت النخيل والعشب والأشجار تحفه كالجنان من حوله، وعلى النخيل رُطب لم ترى مثله فى حياتها. واجتمع أهالى القرية منذهلين لا يصدقون ما تراه عيونهم، فشربوا حتى ارتووا، ثم ملأوا جرابهم وأوعيتهم وسموا هذا النبع بنبع "مصبيحو" باسمها تكريما لهذه المرأة الطيبة، وراحت مصبيحو ترعى نخيلها وأشجارها، وتركت النبع فى متناول الجميع، وزرع أحفادها وأبناء المناطق المجاورة فسول النخيل، ومازالت إلى وقتنا الحاضر موجودة حول هذا النبع تشرب ماء رقراقًا عذبًا.

ويروى أبناء سقطرى عن الحكيم (ديحيكو) الذى جاء فى هذه الحكاية أنه كان رجلاً صالحاً، وكان أبناء سقطرى يمجدونه قديمًا ويسمونه الملاك الطاهر، حيث يقول الراوى إنهم يقولون عنه إنه كان يسير بين الجبال فيضرب الجلمود بعصاه فتنفتح مغارة أو تنفجر عيون ماء عذبة، وكان يوفر للسكان المراعى المعشوبة والينابيع النقية للشرب،

ويعتقد الكاتب أن الايمان بديحيكو يعود إلى فترة ما قبل الإسلام وربما نسجت حوله حكايات أخرى كأحد الأولياء لاحقاً كون الإعتقاد والبحث عن تفسير للظواهر الطبيعية كالكهوف وعيون الماء قديم جداً ويعود إلى فترات ماقبل ظهور الديانات.

وهناك حكايات أخرى ذكرها الكاتب الروسى فيتالى ناموكين عن الجن فى سقطرى، حيث يقول إن أحد الرواة حكى قصة غريبة عن جنية تعيش فى جزيرة سقطرى تظهر للأشخاص بين الجبال ومن وراء الأشجار بلباس أبيض ووجه أبيض أيضًا، وتلحق بالناس وتؤذيهم، ويقول هذا الشخص إن هذه الجنية لحقت به ذات مرة وفر منها مسرعًا وأمسكت به لبرهة ثم أفلت منها وهرب إلى منزله، وعندما وصل إلى المنزل وجد أن أسنانه غير موجودة، وفعلا يقول فيتالى إن هذا الشخص كان بلا أسنان، ويقول الراوى إنه سأل رجلا آخر عن موضوع الجنية، فقال له إن هناك جنية اسمها (أم مسامير) تبدو للناس من بعيد فى شكل امرأة عادية، وحين تقترب منهم تُكتَشَف على حقيقتها، ويمكنه معرفتها من خلال مشاهدة أرجلها حيث إن لها رجلاً واحدة أشبه بمسمار حديدى، وعندما يفر منها الإنسان تقفز وراءه بمسمارها الوحيد، وكلما هرب وجدها أمامه.

ويذكر الراوى أن أبناء سقطرى أيضا يذكرون أن هناك جنيات أخر مثل الجنية إيتهيمتن أكلة لحوم البشر وسنرويها فى الصفحات القادمة، ويروى أن هناك من الجن نساء طيبات أيضا.

الجنية إيتهيميتن فى جزيرة سقطرى

هذه الحكاية وردت فى كتاب (سقطرى جزيرة الأساطير) لأحد الباحثين الروس الذين زاروا سقطرى، وقد ذكر الكاتب فى أحد فصول الكتاب بعض الأساطير أشهرها

وأطولها أسطورة الجنية (ايتهيميتن) [1] فى منطقة روكب، وهي جنية تأكل لحوم البشر. وقد روى حكايتها فتى من جزيرة سقطرى قائلاً:

كانت هذه الجنية العجوز تأكل البشر والأبقار والماعز وكل ما يدب على الجزيرة من بشر أو حيوانات، فلا ينجو أحد من أنيابها الحادة إذا صادفها فى الطريق، مما اضطر الناس إلى ترك ديارهم فى المناطق التى تتواجد فيها، ونزحوا إلى أماكن أخرى فى الجزيرة. وكان لأحد أهالى الجزيرة ولد له بقرة وثور، فجاء غريب للعيش فى بلدة (روكب) وهى منطقة مشهورة فى الجزيرة، ونحَرَ ما لديه، ومقابل نحرِه وهب الإله لهذا الابن مرعى يملؤه العشب الأخضر بين الجبال، وعلم والد الفتى بالأمر فأعطى ابنه ست بقرات فصار الولد يرعاها فى ذلك المرعى إلا أنه عاد يومًا إلى والده مذعورًا وقال له إنه علم أن العجوز الشريرة ايتهيمتن موجودة فى بلدة روكب قرب مزرعته وإنه سمع أزيزها من بعيد. فقال الأب لابنه: اذهب إلى العراف (ديحيكو) وسوف ينصحك بشىء ما، فمضى الفتى إلى الحكيم ديحيكو وحدثه بما سمع وطلب منه النصح، فقال له الحكيم: غدا سوف تلد بقرتك الشقراء وليدها الأول وعندها خُذ هذا العجل الرضيع إلى البقرة الأخرى واجعله يرضع من لبنها ومن لبن أمه الشقراء معًا لينمو ويصبح ثورًا قويًا لا يقدر عليه أحد، وعندما يظهر له قرنان حكمها يوميًا لكى يطولا ويصبحا حادّين، وعندما يكبر هذا الثور ويصبح قويًا اذهب إلى منطقة "فرمهم" واقطع عدة أغصان من شجرة سيرهن دى ببيرهين، واصعد على سطح منزلك واجلس هناك محتميًا بتلك الأغصان ولا تنهض من مكانك مهما كان ما يأتى إليك، وإذا قال لك أى منهم عبارة فكرر ما قال لك قبل أن تجيب عليه، وعند الفجر فك وثاق الثور وأطلقه على ذلك الذى أتى وتحدثَ إليك، وعندما يجهز عليه الثور انظر إلى مكان القتيل واحذر إذا ظهر حيوان آخر فى مكانه فاقتله.

(١) وردت هذه الحكاية فى كتاب (سقطرى جزيرة الأساطير) للكاتب الروسى فيتالى ناومكين. سقطرى جزيرة الأساطير– ترجمة خيري جعفر الضامن– أبو ظبي — هيئة أبو ظبي للسياحة– ٢٠٠٩م

وبعد أن عاد الفتى من عند الحكيم إلى منزله وجد البقرة الشقراء قد ولدت رضيعًا فأخذه وأرضعه من البقرة الأخرى أيضًا فرضع الوليد من البقرتين وأخذ ينمو بسرعة حتى تحول إلى ثور قوى، فاقتاد الفتى الثور إلى المكان المطلوب وذهب وأحضر الأغصان المطلوبة وجلس على سطح المنزل منتظرًا وراء الأغصان التى جلبها معه، وقضى الليل وراءها وفجأة جاءت فتاة من حيث لا يدري واقتربت منه وأنشدت له بصوت غنائى جميل:

أنا وإياك فى ريعان الصبا

وحدنا هنا

تعال تعال نعانق بعضنا

ولم يتزحزح الفتى من مكانه فقالت الفتاة:

انزل أيها الفتى الجميل أنا متشوقة إلى لقائك.

فرد عليها: أنا مريض لا أقوى على النزول.

فأخذت الفتاة تحوم حول البيت وتحاول الدخول إليه بكل السبل، وتبحث من كل الجهات عن مدخل فلم تستطع، فحاولت إقناع الفتى بأن ينزل فلم يوافق حتى مضت تاركة المنزل، وفجأة ظهرت امرأة أخرى وأخذت تغنى:

آه آه نحن معًا وحدنا... تعال نعانق بعضنا

فأجابها الفتى:

آه آه نحن معا وحدنا...تعال نعانق بعضنا

فقالت له: انزل إلى الأبقار واحلب لى لبنًا.

فقال لها: لن أنزل.

وظلت تلح على الفتى وهو يمانع حتى مضت دون أن تحصل منه على شيء ولم يأت أحد بعدها، حتى اشتد الظلام وهبت ريح عاصفة تهدر بصوت مخيف، وفجأة ظهرت عجوز كبيرة فى السن وصرخت بالقرب من الفتى بصوت مرعب: أنا إيتهيميتن أهيج العواصف والرياح وسأتعشى الليلة عندك فى هذا المنزل.. هيا انزل وافتح لى الباب أريد أن أتدفأ بالداخل.

فأجابها الفتى: كلا لن أفتح الباب وسوف أظل فى السطح وإن تجمدتُ من الريح والبرد. وحاولت العجوز أن تدخل إلى المنزل بكل الوسائل والطرق فلم تنجح فصرخت بصوت عال: أنا إيتهميتن أهيج العواصف والرياح، أنا خالتك، افتح الباب يا ابن أختى.

صمت الفتى ولم يرد عليها وحاولت أن تلح عليه لكي يفتح الباب ولكنه رفض ذلك، فأنشدت الجنية بصوح مخيف:

ما أكثر أبقارك شقراء ومبقعة يا لها من أبقار!

فأجاب الفتى: سأطعمك لهبًا وحطبًا ولن تذوقى رطبًا أو لبنًا وسأرميك بالفحم المستعر ولن تذوقى طعم اللبن. فواصلت العجوز الغناء:

ما أكثر معزك كلها مليحة وكل واحدة أجمل من الأخرى، فأجابها الفتى:

لن تذوقى طعم لحم أغنامى، وسوف أُلقِمك الصَبِر المر ليغرز أشواكه الحادة فى حنجرتك. وواصلت العجوز الغناء: ما أجمل إخوتك بثيابهم الأنيقة وكل واحد أجمل من الآخر.

فأجاب الفتى: لن تملئى بطنك الخاوى بإخوانى، بل ستملئينها بماء البحر المالح حتى تسقطى فى هاوية الجحيم. وظل الجدال بينهما حتى بزغ نور الفجر فنفد صبر الجنية العجوز الشريرة، وقفزت على السياج حتى دخلت إلى داخل الحوش، فانطلق الفتى وحل عقدة الثور كما طلب منه الحكيم، فاستدار الثور وهرع مسرعًا صوب

العجوز الشريرة وغرز قرنه الحاد فى بطنها حتى خرج من ظهرها، وذهب الفتى فوجد العجوز ميتة فتلفَّت حوله فوجد نعجة سوداء جميلة، فالتقط حجرًا حادًا من الأرض ورمى به النعجة بكل ما أوتي من قوة فأصابها فى صدرها فسقطت ميتة. وبهذا قضى الفتى والثور على هذه الجنية التى ظلت لسنوات تؤذى أبناء جزيرة سقطرى.

الراعية فارعة ومدينة الكنوز

كان هناك فتاة تدعى "فارعة" ترعى الأغنام وكان والدها فلاحًا فقيرًا، وكان أهل القرية يحبونها، وفى حال انشغالهم يأمنونها فيتركون أغنامهم لديها لترعاها لهم، وكانوا يكافؤنها كل عام بأن يعطوها جزءًا من هذه الأغنام كأجرة لما تقدمه لهم من مساعدة. ومع مرور الأيام تكاثرت أغنامها وأصبحت بالمئات، وأصبح الناس يضربون بها المثل فى القرى، ويتحدثون بأنها السبب فى غِنى والدها.

وفى ذات يوم سقطت أمطار غزيرة منعت الفتاة من مغادرة الجبل، فانتظرت مع أغنامها فى كهف داخل الجبل، فظهر لها وحش كبير فهربت منه واحتمت بشجرة عالية، وصعدت إلى أعلى الشجرة خوفًا منه وظلت متخفية ساكنة من غير صراخ خوفًا من أن يسمعها الوحش حتى طلع القمر فنظرت إلى أسفل الشجرة فوجدت حصانًا جميلاً يجهِّز لها صَهوته لتركبه فنزلت بهدوء من الشجرة وركبت صهوة الحصان وانطلق بها فى اتجاة القرية، ولما اقترب من القرية قفز بها فى اتجاه ربوة، فانشقت له الصخور وظهرت بوابات دخل منها إلى مدينة تسر الخاطر وتبهج الناظر.

فى تلك الليلة بحث الناس عن فارعة فى كل مكان واستمروا فى البحث إلى صباح اليوم الثانى، وعند مرورهم بتلك لشجرة وجدوا جثتها مرمية بجوار الشجرة فحملوها إلى القرية وأجروا لها مراسم الدفن ودفنوها وكان نجمها وطالعها هو الحَمَل، فقرر والدها الذهاب مع مجموعة من أحفاده لحراسة قبرها ثلاثة أيام من وحش الحَمَل الذى يأتى إلى قبر من نجمُه الحمل ليحفره ويأكل جثته كما تقول الأساطير اليمنية، ويتم حراسة القبر لكى يُطرَد هذا الوحش فلا يعود بعدها، وقد اندهش الأب عندما لم

يجد الحمل خلال هذه المدة، ولم يشموا رائحته التى تدل على مجيئه، فاعتقدوا أن هناك خطأ يستلزم العودة إلى المنجِّم لينكشف لهم السر، وعندما أخبروا المنجم بالقصة قال لهم إن فارعة لم تمت وإن ما دفنوه لم يكن جثتها بل كان جذع شجرة صوَّره لكم الجنى بصورتها، فصدق والدها القصة وعاد إلى تلك الشجرة وكان يجلس بجوارها كل مساء فسمعها تصدر صوتًا كصوت ابنته فارعة، فأنصت إليها فإذا بها تقول مثل الرعاة عندما يسوقون أغنامهم: عه عه عه عه. وبعد أيام تفاجأ أهل القرية بفارعة بجوار منزلها، فسألوها عن قصتها وأين كانت فقصت لهم حكايتها مع الحصان وأخبرتهم عن ذلك الجبل الذى دخلت فيه، ووصفت لهم المدن المليئة بالقصور والحور والعقيق والعطور وأصناف الحرير والديباج، وقالت لهم إن الجان زفّوها من باب تلك المدينة إلى بيت زوجها الجنى (طحنوس) وظلت معه فى العذاب النعيم العظيم، وذات يوم رجع إليها هذا الجنى وهو يحمل كبشًا صغيرًا وقال لها: سنذبح هذا الكبش صباح غد، فأحبت الكبش وتذكرت أنه كبشها وأخذه الجنى من بين أغنامها واحتضنته بحنين لغربتها، وشمت رائحته ومسحت وجهها بجلده، وما شعرت به إلا وهو ينادى بصوت إنسانى على الولى يا (أحمد بن علوان) يا سريع الغارات. وفورًا شاهدت الغبار والدخان يغمر كل المدينة وانسل من بين الغبار فارس هبط بحصانه جوارها وعلى رأسه عمامة خضراء وعليه قميص أخضر وجبة خضراء، وفى يده سيف أخضر، فحملها مع الكبش على ظهر حصانه وتحول كل الجن فى المدينة إلى فئران وحيات وعقارب. ولم تعد ترى من المدينة إلا مبانيها الشامخة والدخان ينتشر برائحته فى كل مكان، وفى لحظات هبط بها الفرس فى سطح منزل أبيها وعادت إليهم سالمة معافاة [1].

هذه الحكاية. من الحكايات الشعبية التى تبين اعتقاد اليمنيين بالجن وإخفائهم للكنوز داخل الجبال كما تؤكد إعتقاد البعض بكرامات الأولياء ومنهم إبن علوان الذي إشتهر كثيراً كأحد الأولياء الصالحين.

(١) ذكر البردونى فى كتاب (فنون الأدب الشعبى) هذه الحكاية بعنوان (فارعة النواش) ويبدو أن نفس الحكاية تروى فى بعض المناطق كما في محافظة إب بشكل مختلف قليلاً كما أوردنا هنا.

الداهية

يعتقد الكثير من الناس بوجود داهية كبيرة من الجن تخرج فى الليالى المظلمة لتصطاد من يمشى فى الطرقات والقفار الخالية من الناس، ولذلك تدعو الكثير من النساء فى بعض مناطق اليمن على من لا يسمع كلامهن بقولهن (جعل لك داهيه تشلك) بمعنى: جعل الله لك جنية تأخذك ونتخلص منك. ويقال إنها تأكل لحوم البشر بعد أن تخطفهم إلى الجبال وترمى بعظامهم هناك.

ويقول أحد الرواة إنه ذات مرة كان يمشى فى وقت متأخر من الليل بسيارته عائدًا إلى القرية، فظهرت له الداهية بشكل امرأة أضخم من السيارة، شعرها منكوش وأظافرها حادة كأظافر النسور، ويخرج من عيونها ضوء كالشرر، وأسنانها تشبه أسنان النمور والذئاب، وفمها كبير يستوعب جملاً بما فوقه، وبشرتها مخضبة بالدماء ولا يظهر إلا منتصف جسمها العلوي، ويختفى الباقى فى الظلام. وقد أحاطت بيديها السيارة لإعاقتها عن المشى، إلا أنه قرأ بعض الأذكار والمعوذات التى جعلتها تصرخ وتصغر فى الحجم حتى اختفت من أمامه فواصل السير مذعورًا يقرأ القرآن حتى وصل إلى المنزل.

ويطلق البعض تسميات مختلفة لهذا النوع مثل (طاوى الليل) وهو أيضًا من الكائنات الأسطورية المتعلقة بعالم الجن، حيث يقال إنه نوع من الجن يظهر ليلاً فى الطرقات، ويظهر للبشر على شكل إنسان، وعندما يقترب منه الإنسان يكبر فى الحجم ويحاصره بيديه ليصيبه بالذعر ثم يختفي كعمود من الدخان. ويقال إنه لا يؤذى أحدًا ويقتصر على إرعاب الناس [1].

---

(١) وجدنا تصورات متعددة للجن تختلف من منطقة إلى أخرى.

وهناك أيضا نوع آخر من التصورات يسمى (المتشكل) وهذا النوع أيضًا من الجن، ويعتقدون أنه يظهر للإنسان ليلاً فى الأماكن الخالية على شكل بشر عاديين، ثم يصطحب من يرافقه إلى مكان بعيد ويتحول إلى جنى يرعب ضحاياه.

كهوف البوميس عدن

توجد هذه الكهوف فى الجبل المطل على مدينة كريتر فى عدن. ويعتقد البعض أن هذا الكهف كانت تسكنه كائنات أسطورية كانت تسمى قبائل الجبريتين، وكانت عبارة عن كائنات مختلطة من الجن لها أشكال مختلفة عن البشر، وكانت أشكالهم تثير مخاوف الناس. ويقال إن هذه الكائنات تخطف الناس فى الليل وتمتص دماءهم، وإنها كائنات تخاف من الشمس ولا تخرج إلا فى الليل، فتخطف الناس إليها. حيث تتربص بالناس نهارًا وتخطفهم إلى هذه الكهوف وتعلقهم بعد الذبح وتدلِّى رؤوسهم حتى تمتلئ الجرار بالدم، ثم تقوم بشربه. ويتداول بعض الناس فى دن هذه الحكايات عن هذه الكائنات، لكن غالبية السكان يرون أن هذه الكهوف مجرد كهوف نتجت عن استخراج مادة البوفيس قديمًا والتى كانت تستخدم بدلاً من الإسمنت فى صناعة مواد البناء قبل ظهور مواد البناء الحديثة.



الفصل السادس

(حكايات من أيام الإمام)



تمهيد

عاشت اليمن فترة طويلة فى ظل حكم الإمامة وأسرة بيت حميد الدين، وكانت هذه الفترة مشهورة بالجهل والظلم إلى درجة أن اليمن انعزلت عن العالم الخارجى نهائيًا، ووصل الحال إلى أن قال الإمام لليمنيين إن الكرة الأرضية هى اليمن ومكة، وإن الأمم الباقية التى ذكرت فى القرآن قد أهلكها الله (1) . حتى أن بعض الناس كان يسأل عما وراء عدن والبحر، فيقال له: إن وراءها أرضَ الظلمات وماءً لا نهاية له.

والحقيقة أن أرض الظلمات كانت هى اليمن ذاته فى تلك الفترة، أما ما خلف البحار فكان أرض العلوم والأنوار، وسوف نورد لأعزائنا القراء فى هذا الفصل بعض هذه الحكايات التى ارتبطت بهذه المرحلة من تاريخ اليمن، وتعبر عن مدى التخلف والجهل الذي تم غرسه فى أذهان الناس آنذاك، وما حصل من بتر لتاريخ اليمن العريق وحضارته المستنيرة التى لم يكن لها مثيل فى العلم والهندسة. وبرغم أنه كان هناك قلة قليلة من الناس يخرجون ويسافرون خارج اليمن فى تلك الفترة إلا أنهم كانوا فى الغالب يلاقون الكثير من المعاناة للنفاذ إلى خارج البلاد، إما للتعلم وإما بحثًا عن الرزق. وسوف نورد بعض الحكايات التى وصلت إلينا عن هذه الفترة من عصر الإمامة الذي تحولت قصصه إلى حكايات شعبية تروى بين الناس.

ثورة سعيد الفقِى

هذه الحكاية تمهيد لفترة الإمامة فى اليمن، وهي قديمة عن فترة حكم الأئمة، ولكننا أحببنا أن نوردها لأنها من أقدم حكايات الحكم الإمامى لليمن، وتعود لفترة الإمام الهادى قبل إمامة آل حميد الدين والتى سنورد بعضًا منها لاحقًا.

(1) روى هذه الحكاية أحد كبار السن ممن عاشوا أيام حكم الإمام أحمد حيث قال ان الجهلاء من الناس كانوا يصدقون ما ياقال لهم أن اليمن هي كل الكرة الأرضية ولا بلدان خارجها.

حكاية ثورة سعيد الفقى تحولت إلى حكاية شعبية مشهورة جدًا فى اليمن بسبب كثرة رواجها بين الناس وأهميتها، وإليكم الحكاية..

اشتد الظلم على اليمنيين فى فترة من فترات الحكم الإمامى البغيض، وكان الظلم على أشده فى أيام الإمام الهادى فى نهاية القرن الثامن عشر، وكان الناس فى المناطق الوسطى وخاصة فى إب وتعز وتهامة قد ذاقوا الويلات من هذا الحكم الظالم ومن النهب الذى يحصل لمتلكاتهم من أبناء المناطق العليا باليمن، حيث أرسل الإمام الهادى قبائل المناطق العليا لنهب المناطق الزراعية من اليمن الوسطى، وتوافدت هذه القبائل على شكل مجموعة من النهابين المدعومين من الدولة آنذاك فكانوا يقدمون إلى القرى والوديان ويأخذون الأراضى والجبال والأملاك بالقوة، ولا يستطيع أحد الوقوف ضدهم، فقد كانت الدولة إلى جانبهم، فأفسدوا فى الأرض ونهبوا الناس، وكان كل من يخافهم يتعرض للهتك بالقوة والتشريد، وقد كان الفقى سعيد عالمًا محبوبًا تلقى العلوم فى كل من جبلة وزبيد، وأصبح من الدعاة الكبار الذين يحظون بمكانة كبيرة بين الناس، وغالبا ما يرجعون إليه فى حل الكثير من القضايا العالقة بينهم، وكانت تصله الكثير من قضايا الظلم التى يعانى منها أبناء وسط اليمن، فما كان منه إلا أن أنشأ محكمة خاصة به، وجند جنودًا من أبناء الوسط، فكان يحكم على كل ظالم من المشايخ النهابين بالطرد من كل مدن الوسط، وكان يعيدهم إلى بلدانهم خاسئين، فتجمع الناس حوله وتسلحت الكثير من القبائل لحمايته من سطو الدولة عليه وأعلنوه أميرًا لهم، ووجد الناس فى ثورة الفقيه سعيد طوق النجاة من الظلم وسبيلاً إلى إنقاذ أنفسهم من حكم الإمام الظالم، فخرجوا فرحين يرددون الأناشيد والأهازيج، وكان من أشهرها:

يا باه سعيد يا باه

أسلمتنا المحنة

يا صاحب الدنوة [1]

---

(١) الدنوه: والدنوة هى قرية الفقيه سعيد

والعسكر الزُّؤبة

، وهي منطقة عريقة ورجالها أشداء، وإلى وقت قريب كانت الناس يدعون على من يؤذيهم بقولهم (لك أهل الدنوة) وهي دعوة على الظالم بأن يسلط الله عليه رجالا أشداء مثل أهل الدنوة. ويقال إنه بعد أن تخلص الفقى سعيد من الكثير من القبائل المتنفذة على مدينة إب طالبه الناس بعمل ثورة كبيرة على كل الشخصيات المتنفذة من أبناء قبائل الشمال وعساكر الإمام، فكان يطلب منهم الصبر والتريث، وكان يرسل الطلاب إلى المناطق التعليمية كجبلة وزبيد وتعز وعدن، وقام بتأسيس المدارس والأربطة، فقد كان يرى أن نشر العلم هو أفضل ثورة ضد الظلم، وزادت مناداة الناس له بالثورة فاتخذ بعض الإجراءات التأديبية ضد المتنفذين منهم حيث قام بترحيل الكثير منهم إلى بلدانهم، وأرجع الأراضى إلى أهلها، فزادت شعبيته وتجمعت القبائل حوله من كل مناطق الوسط والجنوب، وكان أول إعلان لثورته ضد نظام الحكم عندما أعطى أمرًا بتولية أحد معاونيه من بنى الدعيس فى بعدان، وأعلن واليًا على بعدان، وعندما علم مندوب الإمام بتولية الدعيس للمنطقة هرب من بعدان إلى صنعاء وأنشأ الناس يهللون ويزفون الأفراح إلى والى الفقيه سعيد، واجتمع حوله محاربون من أبناء بعدان وإب وانضم إليهم من أبناء تعز وشرعب، وكانوا مقاتلين أقوياء وشجعان ومخلصين، فشكلوا قوة عسكرية وفدت إلى الفقيه سعيد بعتادها فكانت هى النواة لجيش كاسر فى وجه الإمام الهادى، وكانت الجماهير تستقبل جيش شرعب قائلين:

حيوا رجال شرعب

ذى جددوا المذهب

خلوا السيوف تلعب

من سفح نعمان

وعندما سمع الإمام الهادى بهذه التطورات أعلن النفير العام فى مناطق اليمن العليا، وجهز جيشا كبيرا للهجوم على جيش الفقيه سعيد والقضاء عليه، فتجمعت قبائل الوسط والتقت معها قبائل جنوب اليمن، واستطاعوا أن يردعوا جيش الإمام الهادى فى جبال سمارة. وهكذا استمر الفقى سعيد فى الحكم وقام ببناء جيش قوى وردع كل القوات القادمة من اليمن العليا وأستقل بجنوب ووسط اليمن وصك عملة جديدة فى عدن يتعامل بها أبناء الوسط وجنوب اليمن، وعندما شعر الإمام الهادى بأن هذه الخطوة قد أثرت على اقتصادهم وضيعت حكم وسط وجنوب اليمن منهم أعلن النفير ضد حكم الفقيه سعيد، وأرسلوا جيشًا كبيرًا من كل قبائل الشمال، فوصل الجيش إلى سمارة واشتبك مع جيش الفقى سعيد فى منطقة يريم، واقترب الفقى سعيد من النصر لكن خيانة من الداخل كانت تنتظره فانقلبت مجموعة من القبائل التى كانت قد حصلت على عفوه من قبل، وهى قبائل شمالية تنازلت عما نهبته مقابل بقائها فى مناطق الفقى سعيد، فغدرت بالفقى سعيد أثناء المعركة، فتحولت فجأة إلى محاربة جيش الفقى، فوجد الجيش نفسه غير محمى من جيش الإمام، فاختطف الفقى سعيد أسيرًا. وهكذا دخل جيش الهادى إلى إب وتعز وتهامة وإلى كل اليمن، وقتل الكثير من أتباعه، ونهب ممتلكاتهم، وأعدم الفقى سعيد فى بوابة مدينة إب أمام أعين الناس.

الحكم بربط الشجرة

يقال إنه فى أيام الإمام حصلت حادثة قتل لم يعرف فاعلها، وكانت الحادثة قد حصلت بجوار شجرة فى إحدى القرى، وقد علم الإمام بالأمر فطلب من جنوده أن يذهبوا إلى المكان وأن يقوموا بربط الشجرة بالسلاسل [1]، ثم أمر أحد الجنود أن يتخفى بالقرب من الشجرة بحيث لا يراه أحد، وكان الجميع يمر بجوار الشجرة ويستغرب كيف تُربَط الشجرة! فيتساءلون عن السبب فيقال لهم إن الإمام حكم على الشجرة بالسجن وأمر بتقييدها حتى تعترف بمن قتل الرجل بجوارها، وتشهد بذلك عليه. فمر

(١) من أشهر الحكايات الشعبية عن عصر الإمام وقد سمعتها من أكثر من عشرة رواة بنفس الصيغة.

القاتل يومًا من جوار الشجرة وضحك قائلاً: يربطون الشجرة لكي تعترف لهم وهى صمّاء لا تتكلم! ونادى على الشجرة قائلاً بسخرية: إنى أنا القاتل فقولى للإمام ذلك. فسمع العسكرى كلامه فذهب إلى الإمام وأخبره الخبر، فأرسل الإمام جنودًا إلى منزل الرجل وتم القبض عليه، وبعد أن اعترف القاتل سرى الخبر وانتشر بين الناس أن الشجرة هى من أقرت للإمام بهوية القاتل، فأصبح الناس يخافون من الإمام أكثر ولا يتحدثون بشىء يؤذيه، وتخوفوا من كل ما حولهم، حتى آمنوا بأن للإمام قدرة حتى على محاورة الأشجار والأحجار. وهذه من الحكم العجيبة لهذه الفترة فبالرغم من الظلم إلا أنه كان حكيمًا فى استخدام الجهل الذي نشره بين الناس.

عسكرى الإمام والبندقية

هذه حكاية من الحكايات الظريفة التى علقت فى أذهان الناس وتوضح مقدار إهانة عساكر الإمام للشعب آنذاك، وهي ناتجة عن خوف الناس من مخالفة أوامر هؤلاء العساكر لئلا تكون عواقبهم وخيمة.

فيحكى أن أحد عساكر الإمام ذهب فى مهمة إلى إحدى القرى، وعندما وصل إلى منزل المتهم كان يضع البندقية على كتفيه بالعرض، وطلب الدخول إلى المنزل والبندقية على حالها، فطلب منه أهل المنزل أن يقلبها بالطول لكي يتمكن من الدخول لكن العسكرى رفض ذلك، وقال إنه لن يدخل إلا وهي على هذا الحال، وإن عليهم هدمَ باب المنزل وتوسعته بحيث يصبح أوسع ليتمكن من الدخول منه وبندقيته على كتفه عرضيًا [1].

فلم يكن من حيلة آنذاك للمسكين فمن يتجرأ ويرفض أوامر عسكرى الإمام ربما يُهدم بيته على من فيه. فقام الأهالى بتخريب وتهديم الباب الخارجى للمنزل، ودخل

(١) من أشهر الحكايات الشعبية عن عصر الإمام وقد سمعتها من أكثر من عشرة رواة بنفس الصيغة.

عسكرى الإمام كما شاء ثم خرج من المنـزل دون أى مبـالاة بمـشاعر النـاس، وإنمـا فقـط لمجرد التسلية.

عساكر الإمام والثور

يقال إنه ذات يوم دخل ثور لأحد المشايخ فى غلال ومزارع أحد الرعية فى صنعاء، فأكل الثور بعض الزروع التى يملكها هذا الرجل فذهب يشكو هذا الشيخ إلى الإمام ما حل بأرضه من خسائر، فأرسل الإمام عساكره إلى هذا الشيخ وطلب منه الحضور لتعويض صاحب الأرض عما أكله ثوره من زرعه. فرفض الشيخ الرد على الإمام ولم يقبل دعوته وهدد العساكر بالسلاح، فعاد العساكر إلى الإمام وأبلغوه بالخبر فما كان من الإمام إلا أن حشد قوة كبيرة من الجنود وأمرهم بالذهاب إلى منزل هذا الشيخ والقبض عليه وذبح الثور وإخراج الزرع من بطنه وإعادته إلى المزارع من بين الفرث، فذهب الجنود وحاصروا منزل الشيخ وقبضوا عليه وأخرجوا الثور من الحظيرة وذبحوه وأخرجوا الزرع من بطنه وأعادو الفرث للمزرعة [١].

الجن فى بيت الإمام

يقال إن الإمام قبل أن يصل الراديو إلى اليمن، استثمر الراديو فى الكذب على الناس وادعاء أن هناك من الجن من يخبره بكل ما يحصل فى خارج اليمن، فكان يشغل الراديو فى مجلسه ويضعه على قطعة من القماش فى رأس المجلس، فيفتحها للحظات فى ساعات الأخبار، فيسمع الناس الراديو ويظنون أن الجن يتحدثون إلى الإمام.

وبعد مرور السنوات وجلب بعض اليمنيين أجهزة راديو من عدن حيث كانت عدن تحت الحكم البريطانى، وكان هناك شباب يتهربون للعمل فيها ويأتون بكل

(١) سمعت الحكاية من عدد من الرواة من مناطق الحادثة.

جديد، بدأ الخبر ينتشر بأن جنيّى الإمام ما هم إلا جهاز راديو، فعرف الناس القصة بعد أن توفر فى بعض القرى وشاهدوه بأنفسهم، ولكن الإمام لم يقف عند هذه الخدعة وكان لديه رحلات يقوم بها أبناؤه إلى معظم الأقطار العربية، ومنها مصر، فأبلغه أحد أبنائه أنه قد ظهر فى مصر جهاز يقال له السينما، وهو جهاز يعرض صور الناس وهى تتحرك على الجدران، فطلب الإمام من ابنه أن يشترى سينما من مصر ووفر لها كل لوازمها من مولد كهربائى وغيره، وجلب مهندسين قاموا بتركيبها فى قصره فى إحدى القاعات التى يستقبل فيها الضيوف، وبعد أن جهز السينما أرسل جنوده إلى كل المشايخ فى القرى، وقال لهم إن الجن قد غضبوا منهم لما يكذبونه ويتحاورون به فى غيبته. وعندما وصل المشايخ وتجمعوا فى منزله فى صالة الاستقبال طلب منهم الإمام أن ينظروا إلى الجدار المقابل لهم لكي يشاهدوا الجن بأنفسهم وأدار أحدهم السينما من مفتاح سِري فظهرت صور الممثلين وهي تتحرك أمامهم بحجم كبير على الجدار، ففزع الحاضرون وصدقوا أن هؤلاء من جن الإمام، ثم أمرهم الإمام أن يعودوا إلى القرى ويبلغوا كل من كذّب الإمام بأن الجن هربوا من القصر وخرجوا إلى القرى لينتقموا من كل من استهزأ به، وأمرهم أن يدهنوا أجسادهم بالقطران لكي يحموا أنفسهم من الجن، فخاف الرعية ودهنوا أجسادهم بالقطران. وقد أكد عليهم المشايخ أنهم فعلاً شاهدوا بأعينهم جن الإمام تتحرك وتتكلم، وصدق الناس هذه الكذبة أيضًا لفترة من الزمن [1].

طير أبابيل (الطائرة)

ذكر لى أحد الرواة من كبار السن[2]وهو من الحكماء ومن المراجع التى تحفظ الكثير من الحكايات الشعبية، وممن أحب الجلوس معهم والتحدث عن وقائع مرت

(١) يتداول الناس الحكاية في كثير من المناطق وقد قرأت في أحد الكتب أن الإمام فعلا عهد إلى إبنه احضار سينما من القاهرة واستخدمها لهذا الغرض.

(٢) وهو أحد جيرانى الحاج قاسم أحمد رحامى أطال الله فى عمره.

بحياتهم، فقال لى ذات مرة قصة عن أول طائرة حلقت فى سماء اليمن، وكانت حوالى الأربعينيات فى عصر الإمام، وكانت طائرة هليوكوبتر (مروحية)، وقد قامت هذه الطائرة بالتحليق فوق أحد الوديان الزراعية التى تكتظ بالحقول والمزارعين، وكان الناس فى موسم الحصاد، والكل فى الوديان يحصدون محصولهم، وكان الوقت ظهرًا والشمس ساطعة والناس تردد المهاجل الزراعية بأمان واطمئنان، فإذا بهم يسمعون صوتًا غريبًا لأول مرة يطرق آذانهم فى حياتهم، فرفعوا رؤوسهم إلى السماء فوجدوا الطائرة تحلق فوق الوادى وتدور يمينًا وشمالاً فخافوا وفزعوا منها فزعًا لم يسبق له مثيل، وظنوا أنها طير أبابيل وأن الله قد غضب عليهم وأرسل عليهم عذابًا من السماء، فكانوا يصرخون بأعلى صوتهم ويهربون فى كل اتجاه، فقال البعض إنه قيام الساعة، وآخرون كانوا ينادون الناس للذهاب للصلاة فى المساجد، وانتشر بين الناس أن الله قد أرسل هذه الطيور لأن الناس لم تؤد الزكاة وأن عليهم دفعها لبيت المال بسرعة وإلا فإن هذه الطيور سوف تعود ثانية إليهم، فتوجه الناس إلى المساجد يصلون ويبتهلون إلى الله أن يرفع عنهم أذى الطير الأبابيل، وتركوا الحقول والأبقار والأغنام والجمال ترعى فى المزارع إلى اليوم التالى.

وفى اليوم التالى أبلغهم أحدهم أن هناك شخصًا يملك جهاز راديو قديمًا فى إحدى القرى البعيدة، وقد سمع أخبارًا تقول إن هناك طائرات أجنبية قدمت إلى اليمن من الخارج بهدف التصوير، وأوضح لهم أن هذه الطائرات من صنع الإنسان وأنها تحلق فى السماء وتطير بواسطة المراوح، وأن هذه أول مرة تحلق فيها طائرات فى سماء اليمن، فعاد من سمعوا الأخبار وبلغوا أهل القرى بأنها طائرات، فلم يصدق أغلب الناس ذلك وقالوا إنه أمر مستحيل أن يصنع الإنسان شيئا يطير فى الهواء بهذا الحجم، ولم يقتنع الكثير منهم إلا بعد سنوات طويلة عندما توفر التلفزيون وشاهدها الناس على الشاشات بأعينهم.

شق الطريق الإزفلتى الحديدة – صنعاء

يقال إن الإمام تعاقد مع شركة صينية لشق طريق إزفلتى من ميناء الحديدة إلى صنعاء، وذلك لربط الميناء بالعاصمة بداية ظهور السيارات، وبهدف نقل الواردات والبضائع عُرض المشروع على عدة شركات وفدت إلى عدن ورست المناقصة على شركة صينية، واتفق مهندس الشركة مع الإمام على ستة وعشرين مليون جنيه إسترلينى آنذاك، فدفع الإمام جزءًا من المبلغ واتفق مع الشركة على دفع الباقى بعد انتهاء المشروع وافتتاحه، فوافقت الشركة الصينية واجتهدت فى العمل وشقت الطريق وخسرت الكثير من عمالها ومعداتها نتيجة لوعورة الجبال. وعندما أكملت الشركة العمل كانت خسارتها أكبر من المبلغ الذي اتفِق عليه، فقد توفى الإمام قبل تسليم المشروع بأشهر، وخلفه فى الحكم ابنه أحمد فجمع اليه المنجمين والعرافين، وطلب منهم أن يقرأوا عليه الطالع، فقالوا له إن مستقبله فى خطر، وإن الشر قادم إليه من هذا الطريق الذي تم إنجازه من الحديدة إلى صنعاء، فغضب الإمام من هذه الأخبار.

وعندما أكمل المهندس الصينى الطريق كان مسرورًا بتولى الابن للحكم لما رآه من جفاء والده الإمام يحيى، فجاء يوم تسليم المشروع وحضر الإمام أحمد وافتتح الطريق، وطلب المهندس الصينى من الإمام أحمد دفع باقى التكاليف، فقال له: أنا لم أتفق على شيء فقد اتفق معك الوالد على ذلك، فصُعق المهندس الصينى وقال: أنا اتفقت مع الدولة والحكومة وليس مع شخصٍ معين، ووزير الأشغال لوزارتكم الموقرة هو من وقع العقود معنا، فأرسل الإمام أحمد إلى الوزير للمجيء للاجتماع، فحضر الوزير إلى الإمام فأمر جنوده بإعدام الوزير أمام المهندس، فصعق مهندس ثانية وخرج غاضبًا وقاد سيارته فى طرق الجبل الملتوية فسقط بها فى هوة كبيرة بأحد الجبال ومات [1] .

---

(١) لا نعلم مدى حقيقة إنتحار المهندس الصيني ن عدمها.

هدم منزل الشيخ على باشا

فى أيام الإمام حصلت حكاية أخرى مع أبناء "العُدَين" فى محافظة إب، فيقال إن الشيخ على باشا كان يدعم الثوار ضد الإمام، فبلغ ذلك الإمام فأمر جنوده بالذهاب إلى قرية هذا الشيخ وعقابه بهدم منزله، فذهب الكثير من الجنود إلى القرية وحاصروا الشيخ وقبضوا عليه ثم أمروا أهل القرية أنفسهم بهدم منزله وأن يلقوا بحجارة المنزل إلى أسفل الجبل، فما كان من أهل القرية إلا أن فعلوا، فكانوا يرمون بحجارة منزل الشيخ إلى أسفل ويرددون:

يا حجر بيت اليهودى

انزلى ولا تعودى

ومرت الأيام وانتصرت الثورة على الإمام، وخرج الشيخ على من السجن وعاد إلى قريته معززًا مكرمًا، فجاء الشيخ بعساكر من الجمهوريين وأمر نفس القبائل بإعادة بناء المنزل بنفس الأحجار التى رموها سابقًا، فكان أبناء القبائل يحملون الأحجار من أسفل الجبل ويعيدونها إلى القمة وهم يرددون زاملاً آخر عكس زامل خراب المنزل، ويقولون:

ياحجر عودى عودى

فوق ظهر اليهودى [1]

بمعنى أصبحوا هم اليهود وليس الشيخ، وصارت القصة حكاية تحكى للأجيال ويضرب بها المثل فى التخلف الذي مر به الناس.

(١) اليهودي هنا لا يقصد بها طائفة اليهود في اليمن — فمصطلح يهودي يطلق كإسم شعبي للأشخاص الذين يقومون بأعمال تستحق العقاب.

زواج الإمام يحيى

يحكى أن الامام يحيى كان له قصة عجيبة فى زواجه من إحدى نسائه، وهى بنت الدرويش من محافظة إب، وحصل ذلك عندما قصدت منزل الإمام يحيى لتقدم إليه شكوى من أحد المتنفذين على أملاكها، وكانت هذه المرأة حكيمة وذكية فسافرت إلى تعز مركز الحكم، ووصلت إلى بيت الإمام يوم الجمعة صباحًا لمعرفتها بأن الجمعة هو يوم يتجول فيه الإمام بين القرى، وربما تتمكن من مقابلته كونها امرأة، فذهبت إلى قصره فى تعز صباحًا تطرق الباب، فأجابها الحراس بأن الإمام يوم الجمعة يكون مشغولاً بجولة بالمرافع، ولا يقابل أحدًا كى يتمكن من العودة بسرعة ليلحق بصلاة الجمعة، وطلبوا منها مغادرة المكان والعودة بعد العصر، وعندما عادت إليه بعد العصر قالوا لها إن الإمام يوم الجمعة يجتمع بالرجال من القبائل لحل المشاكل ولا يستطيع مقابلتك، وطلبوا منها العودة إليه بعد المغرب بعد مغادرة المشايخ مجلسه. فرجعت بعد المغرب فأجابها حرس البوابة بأن الإمام فى خلوة مع أهل بيته وطلبوا منها العودة في اليوم التالى، ففكرت المرأة بحل فجاءت إلى مسجد الإمام فَجرًا وقت خروجه منه وقالت أبياتًا من الشعر بشجاعة وفصاحة وخفة روح:

الصباح دوره ومرافع

وبعد الغداء مقيل ومدايع

وفى العشى والحس ضايع

يا غارة الله عند من نشارع

فسمعها الإمام يحيى فأعجبه جمالها وشجاعتها ولطافة حكمتها فى الكلام، فسألها لماذا لا ترسل أحدًا من أهلها؟ فعلم أنها غير متزوجة فطلبها للزواج، فوافقت

وتزوجها، فعلم الرجل الذي كان قد اغتصب أرضها فى مدينة إب بذلك الخبر، فخاف منها وقد أصبحت زوجة رأس الدولة فأعاد لها الأرض.

جزاهم هد موفاهم

فى عهد الإمام انتفض الزرانيق فى تهامة على حكم الإمام، فأرسل الإمام أحمد جنوده لحربهم فى الحديدة، وكانت هذه القبائل شديدة لم يقدر عليها الجنود فانهزموا فيها عدة مرات، فأرسل إليها الإمام الكثير من الجند التى كانت تُباد بقوادِها ولا يعود منهم أحد، فذهب الإمام بنفسه إليهم وحاربهم حتى نفد الذخيرة من الطرفين، فتحاربوا بالعصىّ والجنابى، وانهزم الإمام أيضًا ولاحق الزرانيق جيش الإمام بالعِصِى وضربوهم بها، ولحق أحدهم بالإمام وكان يملك بعض الذخيرة فأطلق على الإمام ثمانى رصاصاتٍ أصابه بعضها وهو فوق الخيل، ولكنه لم يمت بل واصل الهرب حتى وصل إلى منطقة تسمى الصعيد، وجلس فيها للعلاج، وقال الناس عنه إنه بسبع أرواح.

بعد تعافى الإمام أراد الانتقام بكل ما أوتيه من قوة، فجمع كل أعوانه من كل مكان ثم عاود الحرب مرة أخرى، وانتصر على الزرانيق بعد جهد كبير، وأرسل جنوده إلى القرى لتأمينها، وحكمَ على أهل القرى بإطعام كل مجموعة من الجنود، فذهب مجموعة من الجنود لتناول الطعام فى إحدى القرى التى التزمت بإطعامهم فتأخر الغداء والجنود جائعون، فقام قائدهم إلى المطبخ فوجد الغداء فوق الموفى[1] والنساء تطبخه وقد قارب على النضج والاستواء، فأمر زملاءه بأخذ الغداء كما هو، ثم أمر الجنود بهدم الموفى وهدم المطبخ، فقال أهل القرية فيما لاقاه أهل المنزل بعد إحسانهم إلى الجند: (جزاهم هدم موفاهم) وأصبح مثلاً يقال لمن يقدم الخير ويُقابل بالشر.

(١) الموفى عبارة عن تنور من الفخار يستخدم فى اليمن ويُشعَل بالحطب وقد وردت هذه الحكاية في كتاب اللهجة التهامية في الأمثال اليمانية للأستاذ عبد الله خادم العمري.

الامام وترحيل يهود اليمن

يحكى أنه بعد احتلال الاسرائلين لدولة فلسطين ارسلت بريطانيا خطابا إلى الامام احمد لارسال اليهود إلى عدن لترحيلهم إلى فلسطين واغرتهم بالمال والحياة الكريمة لترك اليمن فسافر بعض اليهود إلى عدن ومنها إلى اسرائيل فوجه الإمام أحمد بان اليهود الذين يريدون ان يهاجروا يجب أن يبيعوا بيوتهم وأراضيهم واختار لهذه المهمة تاجر يقال له القريطي للمهمة وأرسله إلى مدينه ذمار وضواحيها لكي يشتري من اليهود اراضيهم وبيوتهم ، مقابل ان يستقطع عمولته فاشترى القريطي عدد لا بأس به من المنازل حتى وصل إلى منطقه آنس[1] وكان فيها الكثير من اليهود ، ففرح القريطي حيث ان العمولة سوف تكون كبيره ،ولكن اهالي منطقة انس كانوا قد اقنعوا اليهود ان اليمن بلدهم الاصل وهي خير لهم من السفر وكانت تربطهم بهم علاقة طيبه فلما وصل القريطي إلى هناك وعرض عليهم بيع منازلهم واملاكهم والسفر إلى فلسطين، خاف اليهود ان يتم معاملتهم معاملة سيئة في اسرائيل فرفضوا قائلين : لن نهاجر ولن نبيع منازلنا وأراضينا واعلنوا دخولهم الاسلام فانزعج القريطي وقام بعرض الرسائل الموجهة اليهم من الوكالة اليهودية، وكذا الرسائل التي كانت الجمعية اليهودية في عدن. قد ارسلتها معه إليهم وهي من بعض أقاربهم الذين سبق وان هاجروا الى اسرائيل. وكلها تطمئنهم بانهم لن يلقوا اي مضايقات ومع ذلك فانهم تمسك اليهود بقرارهم عدم الهجرة الى اسرائيل واشهر العشرات منهم اسلامهم ودخلوا الدين الاسلامي في حين اقتنع من تبقى منهم وهاجروا الى اسرائيل ولم يقتنع سواء القليل فغضب القريطي بشده وارسل برقية الى الامام أحمد حميد الدين وأخبره فيها بما جرى وكان قد تحمل نفقات ومصاريف مالية كبيرة مقابل انجاز المهمة مع يهود انس والتي فشلت وكانت البرقيه عباراتها قاسية حيث كتب للامام أحمد «مولانا أمير المؤمنين حفظكم الله نبلغكم بأن يهود آنس أسلموا والقريطي تيهود ولما وصلت البرقيه للامام أحمد وكان يتناول الطعام

(١) منطقة آنس في محافظة ذمار شمال اليمن.

فقرأ البرقية وضحك بشدة حتى كاد أن يختنق فحلف أنه سوف يسجن القريطي لأنه تسبب في إختناقه بالطعام وحين وصل القريطي الى تعز تم القبض عليه من جنود الامام وارسلوه إلى سجن الامام في تعز.

وعندما سجن القريطي لفترة استعان ببعض الاشخاص للتوسط له لدى الامام حتى يطلق سراحه فوافق الامام ان يخرجه من السجن وطلبه إلى مجلسه فخرج القريطي ودخل إلى مجلس الامام فلما رآه الامام ضحكَ ضحكاً شديداً واشترط عليه ان يُسلم وأن يعتنق الاسلام لأنه كما ذكر له في البرقية بأنه بعد اسلام يهود أنس تحول هو يهودياً فقال له القريطي انها كانت مجرد مزحه فقال له الامام ان مزحتك اضحتني وكدت اموت من الاختناق وقت الأكل لهذا سجنتك ثم أمر باطلاق سراحه وعدم ارجاعه إلى السجن .

الإمام والقردعى

يقال إن القردعى كان من المقربين من قصر الإمام، وكان القردعى يحاول أن ينصح الإمام بإصلاح أحوال الناس وإحسان السيرة فيهم، فلم يستجب له الإمام فأعلن القردعى الحرب ضده، وانضم إلى الثوار والأحرار الهاربين فى الجبال، فأرسل إليه الإمام رسالة يقول له فيها:

يا طير مهما طرت فى جو السماء ..... لا بد ما تنزل رضاك والا صميل.

من وين باتشرب إذا جاك الضما..... وان قلت ريشك يخزن للماء مستحيل.

فأرسل إليه القردعى يقول:

الطير حلف بالله بالرب اقسما..... ما اطاعكم لو تشعل الدنيا شعيل.

مادام له جناحين حاكم محكما..... لا أفك ريشه يقطع الخط الطويل.

فرد عليه الإمام يقول:

خوفى عليك يا طير لا القناص رمى..... لا امدها من بندقه وتصبح قتيل.

بنون والاعراف وسورة مريما..... لا أقص مخاليبك وريشك والزجيل.

فأرسل إليه القردعى قائلا:

الطير فى عشه تحمى ويحتمى.... ما يقنصه ذى هو من امثالك ذليل.

هل شى بعلمك طير قد صابه عمى.... والا بنى عشه على درب السبيل.

ويقال لقد ظل القردعى شوكة فى حلق الإمامة يعيش مقارعاً له حتى استشهد.

وهناك حكاية لأشهر ثوار اليمن وهو الشهيد الثلايا وهو من أشهر الثوار الذين خرجوا على الإمام وقد استطاع الإمام أن يقبض عليه وأعدمه فى الميدان العام فى صنعاء أمام كل الناس، حيث جمع الإمام القبائل من كل مكان يوم إعدامه فقال لهم: إن هذا "الثلايا" الذي يقف أمامكم ربيته فى قصرى وعلمته وأحسنت إليه والآن يريد أن يخرب البلد هو ومن معه، فبمَ تحكمون عليه؟ فصرخ الناس: الإعدام.

فقال لهم "الثلايا" قولته المشهورة: (لعن الله شعبًا أردت له الحياة وأراد لى الممات). وأعدم أمام الناس فى ذلك اليوم.

لعبة الألغام

بعد أن قامت الثورة على الإمام وانتفضت اليمن وكوّن الثوار جيشًا لمحاربة الإمام وأعوانه من المؤيدين له، وأرسلت مصر جيشًا لمساعدة الثوار فى اليمن، كان هناك مجموعة من اليمنيين يعملون على خداع جميع الأطراف بخدعة طريفة من أجل الحصول على المال، فقد كان هؤلاء الرجال من القبائل الفقيرة والذين يحتاجون إلى المال، فكانوا يذهبون إلى الملكيين أتباع الإمام ويقولون: أتريدون أن نساعدكم فى زراعة الألغام فى طريق جيش الثورة وأعوانه من المصريين؟ فيقولون: نعم، فيطلبون منهم أن يعلموهم كيفية تركيب وزراعة الألغام، وعندما يتعلمون يشترطون عليهم أن يدفعوا للواحد خمسين ريالاً مقابل زراعة اللغم، فيرسلون معه أحد جواسيسهم للتأكد من قيامه

بالمهمة، فكان يذهب معه رجل متخفٍ ليرى بنفسه اللغم فى الطرقات التى تمر منها مدرعات الجيش الثورى والمصرى.

وفى اليوم التالى يذهب زارع اللغم إلى الجيش الجمهورى والمصرى ويقول لهم: هل أدلكم على أماكن الألغام التى زرعها الملكيون فى طريقكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: أعطونى خمسين ريالا وسوف أفعل، فيأمرون له بخمسين ريالا ويستدعون اللجان المتخصصة بنزع الألغام، فيقترح عليهم الرجل خدماته مقابل خمسين ريالا أخرى، وهكذا كان الكثير من الرعية يستثمرون جميع الأطراف، ويجعلون من اللغم ثروة تدر عليهم الدخل. ولم يُكشَف أمرُهم إلا بعد أشهر من الخدعة، وبالرغم من ذلك كان الجيش الجمهورى والمصرى محتارين فى حل هذه المشكلة، ففى حال لم يدفعوا لشراء المعلومات قد يكتفى الطرف الآخر بزراعتها وعدم إفشاء مواقعها [١].

حرب الفوانيس

من المعروف أن اليمنيين يتميزون بالبراءة والطيبة والعفوية فى تصرفاتهم، وغالبا ما يؤدى بهم التصديق الأعمى والعفوية إلى الوقوع فريسة للغش والخداع. وهذه الحكاية نموذج للمواقف التى حصلت بعد الإمامة بأكثر من خمسين عامًا، ونتيجة للجهل الذي خلفه ذلك العصر فى القرى بين غالبية الناس فى اليمن [٢].

ذات يوم انتشر خبر بين الناس بأن هناك من يشترى الفوانيس القديمة التى كانت تعمل على إضاءة المنازل بالزيت أو الجاز، وكانت هذه الفوانيس قد أخذت في الاندثار بفعل دخول الكهرباء والغاز، فانتشر خبر أن هناك من يشترى هذه الفوانيس القديمة بمئات الآلاف، وانتشر الخبر كالبرق بين القرى فذهب الجميع للبحث عن

(١) إنظر كتاب يوميات ضابط مصري في حرب اليمن.

(٢) وقد عايشت تفاصيلها أيام دراستى فى الجامعة، وكنت قد كتبتها فى دواوينى التى احتفظ بها وقررت أن أعرضها فى هذا الكتاب كونها تعكس الثقافة الشعبية التى ترسبت من أيام الإمامة فى اليمن، وظل الناس يصدقونها إلى وقتنا الحاضر.

الفوانيس القديمة فى مخازن الأعلاف وإسطبلات الأبقار وأماكن النفايات القديمة وبين التين الشائك فى غالبية القرى حيث ترمى النفايات الزائدة، فكان الجهلة من الناس يتجولون فى القرى يبحثون عن هذه الفوانيس ويشترونها ويبحثون عن المشترى "أبو مليون" الذى سمعوا عنه إلى درجة أن هناك من باع الجنبية مقابل إستبدالها بفانوس قديم أو شر وقد عايشت تفاصيلها أيام دراستى فى الجامعة، وكنت قد كتبتها فى دواوينى التى احتفظ بها وقررت أن أعرضها فى هذا الكتاب كونها تعكس الثقافة الشعبية التى ترسبت من أيام الإمامة فى اليمن، وظل الناس يصدقونها إلى وقتنا الحاضر.

وهناك من باع أرضًا مقابل الحصول على فوانيس من القرى. ووصل الحال إلى خناقات بين الرعية والقبائل على الفوانيس التى ورثوها عن أسرهم أو أخذها طرف منهم وحرم البقية منها، ووصلت قضايا التحاكم على الفوانيس إلى المحاكم وربما استُخدمت الأسلحة النارية وسقط بعض الضحايا والجرحى فى حرب البحث عن الفوانيس، ولكن الجميع يتحدث أن هناك من يشترى الفوانيس فى صنعاء بمليون ريال، وكان أن جمع أحدهم عددًا من الفوانيس وسافر بها إلى صنعاء، وعندما وصل هذا التاجر إلى صنعاء لم يجد من يشترى الفوانيس، وبحث كثيرًا فلم يهتدِ لشىء، وقال له البعض إن هذه القصة مجرد شائعة وربما تكون كذبة أبريل، فبحث الرجل كثيرًا فى كل الأسواق واكتشف أنها مجرد شائعة، وأن الشهر كان فعلا أبريل، فرجع بلده خائبًا حزينًا يزف إليهم قصة الفوانيس، وأخذ يطالب الناس بإرجاع الأموال التى اشترى بها الفوانيس منهم، وبدأت الحكاية رحلة جديدة فى كل القرى فى البحث عن استعادة قيمة الفوانيس المفقودة، وبدأت معارك أخرى وسقط جرحى وقتلى آخرون لاستعادة قيمة الفوانيس.



الفصل السابع

(حكايات شعبية فكاهية)



تمهيد

يشتهر اليمنيون بحب الفكاهة والنكات، ونلمس ذلك فى تعاملهم مع كل الأمور من حولهم، فيحولون كل ما يمر بهم إلى نكات وطرائف مسلية ترسم البسمة، وإن كانت تسخر من واقع أو مفهوم ما. وإذا تتبعنا التراث الشفوى وجدنا الكثير من الحكايات الفكاهية التى يتسامر بها الناس فى مجالس القات، ويتسلون بها أثناء العمل فى الحقول والمزارع، وهم يتناولون كؤوس البن والقهوة ويستظلون بالأشجار الخضراء بين المزارع الغناء والمدرجات ساحرة الجمال. وهذه الحكايات التى سوف نسرد البعض منها فى هذا الفصل تعكس جزءًا من ثقافة الشعب العريق الذي يملك تراثًا غنيًا ومتنوعًا، وإليكم بعض هذه الحكايات.

الفقيه والطالب

كان هناك فقيه يعلم الطلاب فى أحد الكتاتيب فى منطقة تجمع بين عدد من القرى، وكان له الكثير من طلاب العلم من القرى المجاورة، وأراد أن يمنع طلابه من النوم بعد الأكل خاصة عندما تكون المعدة ممتلئة، فرأى أن يخوفهم من تلك العادة فقال لهم: من ينَم بعد الأكل أربعين يومًا أصابه الجنون. وكان أحد هؤلاء الطلاب عنيدًا، فقال فى نفسه: سوف أنام أربعين يومًا، وعندها أرى أقول معلمنا حقيقى أم كذب.

فنام الفتى أربعين يومًا بعد الشبع، فأراد الذهاب إلى قرية الفقيه لإبلاغه بأنه بخير ولم يحصل له شىء رغم نومه أربعين يومًا بعد الشبع، واستغرقت رحلته عشرة أيام، حتى وصل إلى دار الفقيه ودق الباب فتفاجأ الفقيه بأنه أحد طلابه، فسأله عن سر مجيئه كل هذه المسافة، فقال له الطالب: لقد قلت لنا إن من ينام أربعين يومًا وهو شبعان يصيبه الجنون، وقد نمت أربعين يومًا ولم يصبنى شىء مما قلت! فضحك منه الفقيه وقال: لو كنت عاقلاً ما قطعت كل هذه المسافة لإبلاغى بهذا الخبر التافه[1].

(١) وردت هذه الحكاية على لسان الأخ الأكبر للباحث خالد أبو عمر.

مكوى حسان

هذه الحكاية يقال إنها حصلت فى حضرموت، إذ كان هناك شيخ اسمه الشيخ حسان، وكان طبيبًا شعبيًا يعالج الناس بالكى بالنار، وكان هذا الشيخ كريمًا جدًا إلى درجة أنه كان يقدم لكل من يفد إليه للتداوى وجبة كبيرة من أجود الطعام واللحوم فى حضرموت، وقد سمع بكرمه أحد المحتالين فوفد إليه مدعيًا المرض والحاجة إلى الكي. فاستجاب له الشيخ حسان ودعاه إلى منزله وأجلسه فى المجلس، ووضع أمامه أجود أنواع الطعام، فبدأ الرجل يأكل بلهفة وشره، وكان الشيخ حسان تعود على وضع سيخ الحديد فى النار بجواره حتى إذا أكمل المريض تناول الأكل كواه بالميسام، والمحتال ينوى تناول الوجبة والفرار بسرعة، فلما فرغ منه انتهز فرصة انشغال الشيخ ووثب فارًّا، ولكن الشيخ كأن قد أحس بخداعه فلم يمكنه من الفرار، فلحق به وكواه على مؤخرته وهو مدبر يركض، وأصبح (مِكوى حسان) مثلاً يضرب لمن يحاول الفرار من أمر لا مفرَّ منه مهما اتخذ من الحيل [1].

كرامات الأولياء

نسج اليمنيون الكثير من الحكايات والروايات الشعبية حول الأولياء، ويبدو أن المستفيدين أو المقربين من هؤلاء الأولياء هم من ينسجون هذه الحكايات حتى يضمنوا استمرار ولاء الناس لهم، فيحكى أن الهادى بن حسين كان إمامًا على صعدة، وكان يخرج ليلاً يتفقد أحوال الرعية ويرد مظالمهم ويتجوّل بين القرى.

وذات مرة خرج ليتفقد القرى فوجد عرسًا وسامرًا وقد تجمع فيه الناس من القرى المجاورة لمشاهدته، فدخل معهم دون أن يعرفوه يتفرج كما يتفرجون، وكان الناس يتجمعون حول منشد يتغنّى، فأصاب المنشد ألم فى بطنه فجأة فذهب إلى الحمام وتأخر فى العودة، فانتظر الناس مجيئه حتى يئسوا منه عودته، فنادى رجل فيهم: من

(١) انظر الطب الشعبي في حضرموت– بحث للدكتور عبد العزيز جعفر بن مقبل– الثقافي العدد ١٧ –٢٠٠٢م

ينشدنا فى سامرنا هذا حتى يأتى منشدنا؟!! فقام الإمام الهادى من بينهم وقال لهم: أنا أنشد لكم شرفًا كلام ولى الله عبد الرحمن البرعى، وأنشد يقول:

صلوا على النور الذي عرج السما..... ليلاً على ظهر البراق مكرّما.

واستقبل الأملاك فى ذاك الحما..... فبحقه صلوا عليه وسلموا.

وكان الناس يرددون البيت الأول وراءه كلما انتهى من إنشاد بيتين، وطال الإنشاد بهم حتى انشق سقف السماء، وخرج طائر كبير كالنور مشرقًا وهبط عليهم وبسط جناحيه، وركب الإمام الهادى على ظهره والحاضرون على أجنحته وطار بهم مسافرًا حتى مكة، فصلوا الفجر فيها ثم عاد بهم الطائر إلى القرية، وأنزل الناس حيث كانوا عند بيت العرس، ولم يعرف أيٌّ منهم أين ذهب ذلك المنشد الغريب! حتى ذهب أحدهم يومًا للاحتكام إلى الإمام فعرف أنه الإمام الهادى.

الحاج الذي حج من منزله

يروى فى إحدى القرى من جبل بعدان بمحافظة إب، حكاية غريبة عن رجل فقير عاش فى القرون الماضية، وكان يحلم بالذهاب إلى الحج ولكنه لم يتمكن من ذلك، فذهب أهل القرية من أصدقائه وجيرانه إلى الحج وتركوه فى القرية حسيرًا، فودعهم على أمل أن يوفقه الله للحج فى وقت لاحق. فمر الحجاج بكثير من المصاعب فى طريقهم، ولم يصلوا إلى مكة إلا بشق الأنفس، فطافوا بالكعبة وزاروا المدينة المنورة ورأوا العديد من القصص والعجائب التى احتفظوا بها لكي يرووها لأهاليهم.

وعندما عادوا بعد أكثر من ثلاثة أشهر تجمعوا فى منزل هذا الرجل، وقبل أن يبدأ الحجاج برواية قصصهم التى مروا بها إذا بهذا الرجل الحكيم يروى لهم كل ما مرّوا به، بل وقص عليهم ما حدث وكأنه كان يمشي معهم، فاستغرب الحجاج وسألوا أهل القرية، عن وجوده بينهم فقالوا لهم: إنه لم يغادر القرية ولو يومًا واحدًا، فاندهشوا من هذا الحكيم كيف عرف كل ذلك! فرد عليهم بأنه كان معهم بروحه التى

حجَّت، وحكى لهم ماذا حصل بالطواف فى الكعبة، بل وحكى لهم أسرارًا كان يخفونها بعضهم عن بعض، فتفاجأوا وأسموه "الحاج". ويقال إن هذا سبب تسمية أسرة بيت الحاج بهذا الاسم فى محافظة إب اليمنية في منطقة جُرانه بعدان [1].

الحاج وعجائب الطريق

حكى لى الراوئين كبار السن[2] حكاية مشابهة فى مضمونها لهذه الكرامات التى يهبها الله للحجاج بعنايته وإكرامه، فقال لى إنه يعرف شخصًا من كبار السن كان رجلاً فقيرًا وملتزمًا وخلوقًا ومحبوبًا لدى كل من يعرفونه، وكان يسعى إلى الحج وظل سنوات يجمع مبلغًا من المال لما يعول أسرته ويكفيه للذهاب إلى الحج، حتى بلغ به العمر أرذله، إلا أنه كان مازال قادرًا على المشى بخفة مع الحجاج، فذهب إلى الحج لوحده، ولم يجد من يرافقه فى رحلته من قريته أو القرى المجاورة، واستطاع من خلال معرفته بنقطة انطلاق الحجاج المشى مع الوفود والوصول إلى مكة. وعند العودة كان الحجاج يعودون إلى بلدانهم على شكل جماعات صغيرة من عدة أشخاص معروفين بعضهم لبعض، ولم يكن هو قادرًا على مضايقتهم فى خصوصياتهم فقرر المشى لوحده بجمله فى نفس الطريق الذي يعود به إلى اليمن، فكان يتوقف للشرب والأكل ويرعى جمله فى أماكن العشب، ثم يتتبع آثارهم ويلحق بهم.

وهكذا تمر الليالى والأيام حتى وصل إلى مفترق طريق يؤدى إلى تفرعات كثيرة، ووجد أن كل جماعة منهم اتجهت فى طريق، فمنهم من اتجه إلى عمان، ومنهم من توجه إلى حضرموت، ومنهم من توجه إلى عدن، فسألهم عن طريق يؤدى إلى أقاليم وسط اليمن فأخبروه أن عليه سلوك أحد هذه الطرق، فتوكل على الله وسلك طريقه فكان الطريق طويلاً جدًا، وبلغ به التعب مبلغًا ولم يجد فيه مأوًى ليرتاح وينام، فوجد أحد الكهوف فى الجبال فذهب إليه ليحتمى به من وحشة الطريق ومن مهاجمة الوحوش،

(١) وردت الحكاية على لسان عمي والد زوجتي وهو من نفس العائلة بيت الحاج بعدان.

(٢) وهو جارى العزيز الحاج قاسم رحامى حفظة الله وآطال في عمره.

وتوكل على الله وربط جمله بجوار هذا الكهف ونام الليلة ولم يشعر بنفسه إلا فى الصباح الباكر، حيث استيقظ على صوت الجمل بجواره، فوجد أن بالكهف أسدًا كبيرًا رابضًا داخله، وأن الأسد نائم بجواره لم يؤذِه أو يؤذِ جمله الذى كان مربوطًا بجواره، فتملكه الرعب ونظر إلى الأسد مستغربًا وهو يبادله النظر كما لو كان حيوانًا أليفًا، فسلم عليه وفك رباط جمله وذهب متعجبًا مواصلاً السير فى طريقه.

ومرت بالرجل العديد من المصاعب، ومنها أنه أصابه الجوع الشديد إلى درجة لم يعد يحتملها، فظل يمشى فى طريقه ويدعو الله أن ينقذه مما هو فيه، فإذا به يجد قافلة لحجاج آخرين يسلكون نفس الطريق وقد توقفوا للأكل تحت شجرة يستظلون بها، فمر بهم فقال أحدهم: هلا دعوتم هذا الرجل للأكل معنا! فدعوه وهم لا يعلمون ما قد بلغ به من الجوع، فأكل معهم حتى شبع، وسألهم عن وجهتهم فكانت مدينة أخرى، ووجهوه إلى مواصلة طريقه فى اتجاه آخر، وأبلغوه أن هناك بئرًا بها ماء، ولكنها تبعد كثيرًا عنه، فأعطوه بعض الماء وذهب مواصلاً السير.

واستمر يمشى فى طريقه ونفد الماء، فبلغ به العطش مبلغًا عظيمًا حتى جَنّ عليه الليل، فسار فى ضوء القمر حتى وجد إسطبلاً قديمًا على الطريق، وهو من السبل التى كانت تبنيها الدولة حينها ليرتاح فيها الحجاج والمسافرون، فربط جمله ودخل إليه ولم يجد فيه أحدًا، فقرر النوم فيه حتى الصباح، وعندما استلقى لمس بيده شيئًا فوجد حوضًا كبيرًا به ماء وبجواره وعاء، فأدخل الوعاءَ بيده إلى الحوض واغترفَ فشربَ ماءً عذبًا نقيًا حتى امتلأ جوفه، ثم روى جمله ووضع الباقى بجواره واطمأن ونام.

وفى الصباح الباكر استيقظ وتلفَّت حوله فوجد أنه فى مكان مقفر يملؤه التراب والغبار، ولا أثر لحوض ماء مع أنه بات مرتويًا، فخرج مستغربًا من أين حصل على ذلك الماء! وكأنه حوض نزل من السماء ليشرب منه مع جمله، ولم يشعر بالعطش بعد ذلك حتى مشى لأكثر من يومين، ووصل إلى إحدى القرى التى استقبله أهلها بالكرم والجود والطعام، فواصل بعدها مسيرته حتى عاد إلى قريته سالمًا غانمًا.



بورتريه من أعمال الكاتب لوجه رجل مسن من اليمن

الأعمى والزوجان المسافران

سافر فلاح بسيط هو وزوجته إلى صنعاء من إحدى القرى المجاورة لها، فأخذوا معهم حمارًا يتداولون ركوبه بين الحين والآخر، وفى الطريق شاهدوا رجلاً أعمى مُسِنًا يتعثر فى الطريق لا يحسن المشى، فأشفقا لحاله فاقترب منه الرجل وسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال الأعمى: إلى صنعاء. فأشفقت المرأة عليه ونزلت عن الحمار وقالت لزوجها: سنفعل لهذا المسكين خيرًا ونأخذه معنا إلى صنعاء، فنُركِبُه الحمارَ ونمشى أنا وأنت ولن يضرنا شىء ما دمنا نريد الخير، ففعلوا حتى وصلوا إلى صنعاء ودخلوا إلى السوق، فنزل الأعمى عن الحمار وأمسك بخطامه يقوده فى اتجاه آخر، فمنعه صاحب الحمار من اقتياده بعيدًا، فصرخ الأعمى فى الناس: هذا حمارى، فرد الرجل وزوجته: بل حمارنا!! فتعاطف الناس مع الأعمى وقالوا له: إن الرجل وزوجته يدعيان أنه حمارهما!! فقال الأعمى: هذا الرجل يريد أن يأخذ منى زوجتى وحمارى.

هنا اشتعل شجار كبير بين الزوج والأعمى المحتال، فقال الناس: ألقوا القبض على الجميع واقتادوهم إلى القاضى، فاستجوبهم فكان الرجل يقول: هذه زوجتى، والمرأة تقول: هذا زوجى، والأعمى يقول إن الحمار حماره والزوجة زوجته. فقرر القاضى سَجن الثلاثة، وقال لجنوده: ضعوا كل واحد منهم فى غرفةٍ منفردًا، وطلب من جنوده التنصت عليهم، وإبلاغه بما يقولون. فقالت المرأة تخاطب نفسها: قد كنت أمشي مع زوجي بخير سالمين فقلت: "نساعده عشان أعمى ونزلت من الحمار وطلبت من زوجى يركبه مكانى". وقال الرجل يحدث نفسه: "قد كنا مسافرين بخير قالت اعمل فى الاعمى هذا خير وهذا جزاء الذي يصدق النسوان".

وقال الأعمى يحدث نفسه: (سبرت مره وحمار وإلا فهى كلام وهدار) [1].
فرجع الجنود إلى القاضى وحكوا له ما سمعوه من أقوالهم فقال لهم: أخرجوا الرجل وزوجته واتركوا الأعمى فى السجن فإنه كاذب ويريد سرقه الحمار ويتجرأ على زوجة الرجل. وهكذا اكتشف القاضى بحنكته وذكائه من هو الكاذب منهم.

ضرطة الفقي

يقال إن أحد فقهاء صنعاء المشهورين كان يخطب فى جوامع صنعاء الكبيرة والمشهورة بازدحام الناس، وكان الناس ينتظرونه فى كل المساجد ليلقى عليهم الخطب، وذات جمعة وقف على منبره وكان قد أصابه انتفاخ فى المعدة فى ذلك اليوم، وبينما الناس فى هدوء يستمعون الخطبة إذ تحمس الفقى فخرجت منه ضرطة مدوية سمعها كل من فى الجامع، فأحرج الخطيب وأعلن إقامة الصلاة، وخرج ذاهبًا للوضوء فتخفى فى حمامات المسجد وجلس يتجسس على المصلين بعد فراغهم من الصلاة، فكانوا يتبادلون الضحك، وكأنهم لم يعوا من خطبة الجمعة إلا ضرطة الفقيه، وقال أحدهم: سنسميه فقيه الضرطة. فأصيب الفقى بالإحباط وترك الناس حتى خرجوا جميعًا وهرب

(١) أصبح بيت الشعر هذا يقال كمثل شعبي عند مصادفة من يقوم بالمكر بغرض الحصول على شيء ليس ملكه.

من صنعاء إلى مدينة إب وسط اليمن، وقرر ألا يعود إلا بعد عشر سنوات بعد أن ينسى الناس الحادثة.

مرت عشر سنوات وقرر العودة إلى صنعاء، فمر بطريق سمارة فوقف فى مقهى إحدى النساء اللاتى يعملن بخدمة المسافرين فى منتصف الجبل، فجلس ليشرب الشاى فدار بين اثنتين من النساء حديث، فقالت إحداهما للأخرى: كم عمر ابنك؟ فقالت: لا أتذكر، ولكنه ولد فى سنة ضرطة الفقيه فى صنعاء. ففزع الفقيه فزعًا شديدًا وقال فى نفسه: لقد جعل أصحاب صنعاء من الضرطة تاريخًا شهيرًا وتقويمًا يحسبون به أعمارهم ومواقيتهم! فرجع إلى حيث كان ولم يعد إلى صنعاء قط.

عبده عفشو والتاجر البخيل

كان هناك تاجر بخيل جدًا يقتر على عائلته ولا يطعمهم شيئًا رغم مقدرته؛ فقد كان منزله مليئا بالأغنام والكباش، ودكانه مليئا بالبضاعة، ولكنه لا يعطى أهله شيئا منها، فلم يذبح خروفا فى حياته ولم يطعم أهله ما يشتهون مما فى دكانه إلا القليل. وكان له صديق تاجر بخيل مثله فى أحد الأسواق المجاورة، فكان يذهب إلى ذلك التاجر ويتعلم منه خطط البخل ويعود إلى أهله ودكانه لينفذ هذه الخطط [1].

ومرت الأعوام وهما يجمعان المال ولا يفرطان منه فى شىء حتى أصاب صديقه المرض فمات، ثم مرت الشهور فقال البخيل فى نفسه: سأزور أسرة صديقى لأطمئن على أحوالهم بعد وفاته. وأخذ هديةَ بخيلٍ صغيرة معه، فدق الباب وسمع أصواتَ ضحكِ زوجة صديقه تعلو بدلال أنثوي، وتخالطها نغمات وأصوات قُبَل، ففزع وقرر العودة، فإذا بزوجة صديقه تخرج إليه وبجوارها رجل قوى البنية عريض المنكبين فدعته للدخول ورحبت به، فسألها مستغربًا: من هذا؟ فقالت: إنه زوجى (عبده عفشو) فذهل وتذكر كيف كان حال صديقه فى حياته، وما آلت إليه أمواله التى كان يبخل

(١) سمعت هذه الحكاية من أحد التجار بينما كنا في جلسة مقيل مع بعض في منطقة شبان من محافظة إب.

بها على نفسه، فاستاذن للخروج فطلبت منه زوجة صديقه البقاء وقالت له: لقد ذبحت خروفًا للغداء، لكنه اعتذر وغادر عائدًا إلى منزله مذهولاً، فلم يذبح صديقه كبشًا فى حياته، وها هى زوجته وزوجها الجديد يذبحان كبشًا للغداء!

وصل صاحبنا إلى المنزل فأخرج أحد الكباش السمان من الحظيرة فذبحه، ودعا إليه أولاده، وأمر زوجته أن تطبخه للعشاء، وذهب إلى دكانه وأحضر منه كل ما طاب ولذ، وأكلوا جميعًا وشبعوا مستغربين تحوُّل حاله وهو الذي لم يذبح كبشًا فى حياته، ولم يسبق أن أكرمهم هكذا، فسأله أحد أبنائه عن سر تحوله فقال لهم: "قبل ما يجى (عبده عفشو) يأكل ما نحوشو".

أى أنه يريد أن يأكل من ماله ويستمتع بما عنده ويكرم أهله قبل أن يحصل له ما حصل لصديقه التاجر البخيل فيتمتع بأمواله غيره مِن بعده.

أنت من طريق وأنا من طريق

كان هناك زوج يعيش فى إحد القرى مع زوجته فى هناء وسعادة، وفى يوم من الأيام اختلف الزوج وزوجته على أمر ما، فغادرت الزوجة حانقة إلى دار أهلها، ولما طال مقامها عندهم اشتاقت إلى زوجها، وكان زوجها أيضا يعرف أنها لا تصبر على فراقه، فغاب عنها مدة ولم يذهب لإرجاعها، ولكنه شعر أن الوقت قد طال عليه أيضا فذهب إلى دار والد زوجته لإرجاعها، فلما وصل إلى البيت استضافه حموه إلى الغداء وطلب أن تدخل زوجته لتأكل معهما، فلما أن قال لها زوجها مصالحًا: نتغدَّى ونرجع إلى دارنا وعفا الله عما سلف، أمسكت بيدها الملعقة وأدخلتها فى العصيدة التى يتوسطها السمن والعسل، وقالت له: "انت من طريق وانا من طريق" وشقت للسمن والعسل مجرى إلى الجهة التى يأكل منها زوجها، ففهم الوالد أنها راضية عن زوجها فقال لهما: أنتما سمن على عسل. وعرف والدها انها قامت بهذه الحيلة لتحويل مكان السمن والعسل إليها وإلى زوجها، فقال لهما فى حيلة ذكية: أنتما متصالحان وما فى بينكما شىء، "فإما ترجعوا لعقولكم وإلا نعصد أبوها عصيد" وحرّك العصيد بشكل

دائرى ووزع السمن والعسل على الجميع، وهكذا حلّ التفاهمُ بين الجميع وضحكوا وعادت الزوجة مع زوجها وانتهت المشكلة [١].

دجاجة القاضى

كان هناك رجل لديه دجاج بلدى يربيه فى منزله، فذات يوم قام بذبح دجاجة وذهب إلى محل سلخ الدجاج وطلب من صاحب المحل سلخها وتقطيعها له، فقال له صاحب المحل: اتركها وعد إلىّ بعد ساعة، فذهب الرجل وبعد لحظات مر قاضٍ أمام محل بيع الدجاج وشاهد الدجاجة التى تركها الرجل، فدخلت فى نفسه فقال لصاحب المحل: أريد هذه الدجاجة، فقال: إنها لرجل جاء بها لنسلخها له، فقال له القاضى: اسلخها لى لغداء اليوم وقل له إنها طارت وهربت. فقال له الرجل: كيف وقد جاء بها مذبوحة؟ فطمأنه القاضى قائلاً: افعل فإذا اشتكاك إلى القاضى فسوف يقابلنى وأحكم حينها بأنك برىء من فرار الدجاجة وليس عليك شىء، فوافق صاحب محل الدجاج وسلخ له الدجاجة وأخذها القاضى.

مر الوقت وجاء الرجل لأخذها فلم يجدها، فأبلغه صاحب الدجاج أنها طارت وهربت من القفص، وعرض عليه واحدة أخرى مكانها، فرفض صاحب الدجاجة وقال: كيف تطير وهي مقطوعة الرأس؟ وطلب منه أن يذهب معه إلى القاضى ليحتكما إليه، وعند مرورهما بالطريق مرا باثنين من التجار اليهود وهما يتشاجران فتدخل صاحب الدجاج لفك المشاجرة وبالخطأ دخلت إصبعه فى عين اليهودى وفقأتها، فلحق به الناس فحاول الهرب منهم، فدخل إلى مسجد وصعد إلى أعلى منارة الجامع فلحقوا به فقفز من المنارة ووقع على رجل كبير فى السن فمات، فأمسك الناس بصاحب الدجاجة وجروه إلى القاضى، وعندما دخل به الناس إلى القاضى تذكر القاضى قصة الدجاجة التى أخذها منه فضحك لما حل بالرجل، ومن تجمع الناس عليه وهو لا يدرى أنه قادم فى ثلاث قضايا لا قضية الدجاج فقط. وعندما سمع القاضى بالقضايا الثلاث وحكى له

(١) من الحكايات التي يرويها لنا والدي حفظة الله وأطال في عمره.

الرجل القصة عرف أن المشكلة بدأت بسبب الدجاجة التى أخذها منه، فندم القاضى وشعر أنه مشارك فى الذنب، ولكنه فكر فى حل يُخرج هذا المسكينَ من هذا المأزق، فنادى القاضى على المدعى الأول مالك الدجاجة، وقال له: ما شكواك؟ فقال له الرجل: لقد أعطيته دجاجة مذبوحة ليسلخها لى فسرقها وقال إنها هربت من المسلخة فكيف يحدث ذلك وهي مذبوحة يا سيدي القاضى؟ فقال له القاضى: هل تؤمن بالله؟ فقال: نعم، فقال له: إن الله يحيى العظام وهي رميم، فكيف لا تؤمن بذلك! فخذ منه أى دجاجة عنده مقابلها. وذهب الرجل مقتنعًا.

ثم أمر بدخول المدعى الثانى، فكان اليهودى، فسأله: ما شكواك؟ فقال: هذا الرجل فقأ عينى. فقال له الحاكم: إن الشرع يقول (العين بالعين والسن بالسن) ولكن الشرع أيضًا يقول إن لأهل الذمة النصف من ذلك، فلك عنده نصف عين واحدة، ولنحكم عليه بفَقء عينه نفقأ عينك الثانية ليكتمل النصاب مقابل عين واحدة. فاحتار اليهودى وتنازل عن دعواه.

ثم نادى القاضى على القضية الثالثة، فجاء ابن الرجل المسن وقال: هذا الرجل قفز من رأس منارة الجامع ووقع على والدي العجوز فمات بسببه، فقال القاضى: ونحن نحكم عليه بأن يقف فى المكان الذي كان يجلس فيه والدك، وأن تصعد أنت إلى أعلى المنارة حيث كان، وتقفز عليه مثلما قفز على والدك. فقال الشاب: ولكننى قد أقع بعيدًا عنه وأموت. فقال له القاضى: أنت ونصيبك. فرفض وتنازل عن قضيته وسامح الرجل ▪

من طلبه كله فاته كله

يقال إن فلاحًا كان له الكثير من الأغنام وكان لديه مزرعة فى أحد الجبال، فكان يبيت فى حراستها طوال الليل، وفى إحد الليالى أحس بحاجته إلى تناول اللحم ليعوض ما أصابه من تعب وشقاء فى الرعى حول الجبال والعمل فى الحقول، فقال فى نفسه: سوف أذبح شاة وأطبخ لى عشاء لهذه الليلة وأعتنى بنفسى من أغنامى التى أربيها. فذبح طليًا صغيرًا وأشعل النار فى الإسطبل وطبخ لحمه، وبينما هو ينتظر نضوج

اللحم جاءه جنى على شكل قطة صغيرة، وقال له: خذ هذا الكيس من الذهب وأعطنى القليل من اللحم. فقال له الفلاح: أعطنى كيسًا ثانيًا وسوف أعطيك نصف اللحم، فأعطاه القط كيسًا ثانيًا، فطمع الفلاح أكثر وقال له: أعطنى كيسًا ثالثًا وأعطيك كل اللحم. فلطمه الجنى وأخذ اللحم والذهب واختفى.

فلما أصبح وبينما كان يعمل فى الحقل كان يردد قائلاً:

من طلبه كله ..... فاته كله

فسأله أحد المارة عن سر هذه المهاجل، فحكى له القصة وأصبحت مثلاً يقال فى عاقبة الطمع.

التاجر التركى

يقال إن أحد الأتراك جاء إلى اليمن فى أيام الحكم العثمانى، وقرر العمل فى التجارة، فذهب إلى صنعاء واشترى دكانًا وظل يستشير الناس فيما يمكن أن يوفر لهم من البضائع وما هى التجارة الأنسب له. فعلم التجار بأفكاره الكثيرة وأمواله الطائلة فخافوا من منافسته لهم وإكساده لتجارهم، فوضعوا له خطة وأرسلوا له الكثير من الدلالين والسماسرة الذين يعرفونهم يشيرون عليه بتوفير التبغ، وقالوا إن أكثر شىء مطلوب ومرغوب فى السوق هو التبغ والتمباك، فذهب التاجر التركى إلى عدن وجلب الكثير من التبغ وصرف عليها الكثير من المال حتى عاد مسرورًا إلى صنعاء ووضع هذا التبغ فى دكانه، وفى اليوم الثانى فتح الدكان وجلس ينتظر الزبائن متوقعًا الازدحام لشراء البضاعة، إلا أنه لم يجد أى زبائن تُذكر، حتى أولئك الذين نصحوه بالتبغ، واستمر على هذا الحال أشهرًالم يبع سوى القليل جدًا، فسأل الناس عن الأمر فقالوا له إن الناس هنا يفضلون القات، وليس التبغ، فأخذ البضاعة وباع الدكان وعاد من حيث أتى.

قد درينا وقد سمعنا وقد جاء من يقول لنا

يقال إن شاعرًا شعبيًا سمع أن الملك قد أعد مسابقة شعرية يكافئ فيها من يمدحه بقصائد شعرية بالكثير من المال، وكان هذا الشاعر الشعبى محتاجًا للمال، ولكنه يهاب قول الشعر أمام الناس، فلا يستطيع تذكر بيت شعر واحد وقت إلقائه، ونظرًا لحاجته إلى المال فقد قرر المشاركة، وعندما حان دوره ليلقى قصيدته ارتجفت فرائصه وانعقد لسانه من الخوف، وقال مطلع الأبيات فقط وعجز عن إكمالها، ولم يفهمه أحد فقال:

قد درينا.. وقد سمعنا.. وقد جاء من يقول لنا.

فضحك الحضور وضحك الملك معهم على خذلان قصيدته له، واتهموه بالغباء فترك المكان وغادر حزينًا، وظلت هذه الكلمات على لسان الملك يرددها طوال الوقت يضحك منها ويسلى نفسه.

وكان الوزراء قد خططوا لاغتيال الملك عن طريق الحلاق، فقاموا بالاتفاق مع الحلاق على أن يغدر بالملك مفاجأة وقت الحلاقة، ووعدوه بأنهم سوف يحمونه بعد نجاح الخطة ويكافئونه بما يريد، وقبل أن يشرع الحلاق فى حلاقة الملك، كان قد أخفى سكينًا وراء ظهره، وهم بأن يفعلها، فتذكر الملك مقولة الشاعر وردد قائلاً بصوت عالٍ : "قد درينا وقد سمعنا وقد جاء من يقول لنا" وضحك بأعلى صوته فارتعب الحلاق وأوقع السكين من يده ظنًا منه أن الملك قد عرف بأمره لما كان مقتضى العبارة يوحى بذلك، فارتعد الحلاق خوفًا واعترف للملك بالخطة وسط ذهول الملك نفسه، فما كان من الملك إلا أن أمر بالقبض على الوزراء وأودعهم السجن ثم أرسل من يبحث عن ذلك الشاعر، وأعطاه مكافأة كبيرة على قصيدته التى ضحكوا منها فى ذلك اليوم؛ فقد أنقذت حياته تلك الكلمات.

شربة هنية

يقال إنه كان هناك ثلاثة أصدقاء دعاهم صديق لهم فى قرية بعيدة لحضور حفل غداء لمناسبة له، وعندما وصل الأصدقاء الثلاثة إلى منزل صديقهم كان الجوع والعطش قد فتك بهم لما لاقوه من التعب فى طريق السفر بين الجبال، وكما هى عادة اليمنيين أن يحضروا للضيوف آنية من الفخار مملوءه بمرق اللحم قبل الغداء ليشرب منها الضيوف، خاصة فى أيام البرد والأمطار، فكان أن قرَّب أهل المنزل إناء واحدًا فقط من المدر ووضعوه أمام الأصدقاء الثلاثة، فلم يطيقوا صبرًا فأخذ الأول الوعاء وعب منه ما ملأ فمه، وكان المرق حارًا فشعر أنه قد انخدع بهذه الشَّربة التى أحرَقت جوفه وفمه، فتبسم ابتسامة المخدوع وقال: آه شربة لذيذة من المرق لم أشرب ألذ ولا أطيب منها إلا فى حياة والدتى رحمها الله.

وقرب الإناء إلى صديقه الثانى فشرب شربة أطول من شربة صديقه الأول وحرق فمه ودواخله، ولكنه تحمل ذلك وفهم الخدعة، وقرر خداع صديقه الثالث، وقال فى هدوء: آه يالها من شربة مرق لذيذة لم أشرب مثلها إلا فى أيام زوجتى رحمها الله. وأعطى الإناء لصديقه الثالث، فأخذها وشرب شربة أكبر منهما جميعًا لما لاقاه منهم من تشويق فأحرقت فمه ودواخله فرمى الإناء على الأرض فانكسر، وصرخ قائلا: وأنا لم أشرب خدعة مثل هذه الخدعة فى حياتى إلا وأنا معكم. فضحك الجميع للحيلة التى استخدمها زملاؤه لإيصال الجميع إلى نفس الموقف، ولذلك يقال فى اليمن للشخص الذي يقع فى فخ الحيلة (شربتها كما شربها الذي قبلك) أى وقعت فى الفخ كما وقع الذي قبلك [1].

(١) – حكى لي الحكاية أحد الزملاء في محافظة إب.

اللى مش عارف يقول بلسن

يقال إن (حمادى بنواس) كان يعيش فى إحدى القرى، وكان رجلاً حكيمًا يستغل حكمته وذكاءه فى المكر والخداع، وعادة ما ينسب إليه الكثير من حكايات المكر فى اليمن، ومنها هذه الحكاية مع أن لها أشباهًا فى غالب الدول العربية.

يقال إن أحمد بنواس كان دائم التجول بين الأسواق والحقول والمزارع، وبينما كان بين الحقول يسلم على الفلاحين إذ رأى ابنة أحد الفلاحين وهى فى نوبة حراسة المزرعة، تجلس وبجوارها الماء والطعام، وكانت جميلة جدًا، فأعجب بجمالها وتحدث معها وعرفها بنفسه، وقال لها إنه صديق والدها الحميم وإن والدها لا يرده فى شىء مهما كان طلبه صعبًا، وقد تمنتها نفسه وود لو يحصل منها على قُبلة، فحاول أن يغازلها ويلاطفها ويستدرجها حتى قال إن والدها لا يمانع فى أن تعطيه قُبلة، وقال: إن لم تصدقى فسأذهب إليه الآن وأستأذنه فى ذلك، وسيناديك بنفسه ويأذن لى بذلك. فوافقت الفتاة على تحديه فذهب حمادى بنواس إلى والدها وهو فى الطرف الآخر من الحقل، فسلم عليه وتظاهر بالتعب والجوع والعطش الشديد، وقال لوالدها: إنى جائع جدًا وبحاجة إلى الماء والطعام، وقد مررت بابنتك فى نوبة الحراسة ولم تعطنى حتى شربة ماء، فهل يرضيك أن أموت من الجوع والعطش! هلا ناديتها أن تعطينى ما أطلب منها! وأنت أهل الكرم والجود، وسأعود إليها فى الخيمة وأشير لك بيدى فأرجو أن تناديها بصوت عالٍ كى تسمع.

فذهب أحمد بنواس إلى الخيمة فى الجهة الأخرى ورفع يديه ونادى على الأب: هل تأذن لى؟ بلِّغ ابنتك. فنادى الأب بصوت عال: أعطيه ما يريد ولا تمنعيه هذا واجبنا نحوه. فدخل حمادى بنواس معها إلى نوبة الحراسة وأكل الطعام وشرب الماء ثم قبل الفتاة وحصل منها على ما يريد، ولاحظ الأب أن أحمد بنواس تأخر مع ابنته فى الخيمة، فترك العمل وذهب للاطمئنان، فاقترب من الخيمة فوجد أحمد بنواس يداعب الفتاة ويقبلها، فصرخ فيهما: ماذا تفعلان؟ فأدرك أحمد بنواس أنه وقع فى الخطر

فخرج من الخيمة مسرعًا. وسأل الأب ابنته: ماذا فعلتما؟ فقالت له: أنت قلت لى أعطيه ولا تمنعيه، وقد كان يطالبنى بقُبلة. فعرف الفلاح أنه قد خدعه فلحق به وأخذ بيده الفأس يريد أن يقضى عليه، فلما وصل أحمد بنواس إلى طرف الحقل انتزع بيده حزمة من شجرة البلسن، واتجه هاربًا ناحية السوق، فكان الفلاح يلحق به ويصرخ أمسكوه، وهو يصرخ يريد أن يقتلنى على حزمة بلسن، فيتركه الناس خوفًا من أن يقتله الفلاح، بل منهم من ساعده على الهرب وأمسك بالفلاح، فوجهوا له النصائح قائلين له: أتريد قتله على حزمة بلسن؟! فرد عليهم وهو يخفى ما فى نفسه من غيظ: (اللى مش عارف يقول بلسن) [1].

حمادى بنواس وزوجة أبيه

يقال إن حمادى بنواس كان فى صراع دائم مع زوجة أبيه التى طالما تحرض والده على طرده من البيت. وفى يوم من الأيام أقنعت والده بالخلاص منه نهائيا وقالت له: سوف نذهب إلى المزرعة فى الجبل ونعمل هناك حتى المساء، وسوف نطلب من أحمد بنواس أن يأتى للعمل معنا ثم تناول العشاء معًا، وعندما نكمل العشاء نمنعه من العودة للقرية ونتسامر معه حتى يأتى موعد النوم فنقنعه بالنوم معنا فى طرف الحيد[2] ونضع فرش نوم حمادى بنواس ناحية الخارج وسوف تنام أنت من جهة الداخل، وأنا بجانبك. وقالت له: عندما ينام سوف أعطيك إشارة لتقوم بدفعه ورمية فى هوة الجبل، وبهذا نكون قد تخلصنا منه، فعرف حمادى بنواس نواياهم فاستمر جالسًا وساهرًا ولم ينم، حتى تأكد من نوم أبيه ويئست زوجة أبيه من نومه فخلدت إلى النوم، فقام بسحبها بفراشها بهدوء إلى الجهة الخارجية باتجاه الجبل وذهب بفراشه إلى مكانها وقام بهمز والده بيده على جنبه كإشارة لوالده بأن يكمل المهمة ويرمى بأحمد بنواس، فقام والده من النوم ودفع بالفراش بما فيه إلى هوة الجبل فسقطت زوجته وماتت، وقال

(١) قرأت ذات مره الحكاية في كتاب حكايات شعبية من مصر بنفس الصيغة.

(٢) أى فى مكان تحته هوة كبيرة يموت من يسقط فيها.

والده: الحمد لله! تخلصنا من حمادى بنواس. وقال حمادى بنواس: الحمد لله تخلصنا من زوجتك يا أبى. وهرب، فكانت النتيجة كما يقال (من حفر لأخيه حفرة وقع فيها).

حكايات موالعة القات

هناك الكثير من الحكايات الشعبية اليمنية التى تروى عن القات ومجالس القات الذى أصبح جزءًا من ثقافة الشعب اليمنى، وإن كان شيئًا غير مرغوب فيه من غالبية المثقفين، إلا أنه لا يمكننا إغفال دوره فى تشكيل ثقافتنا الشعبية، ولا يمكننا إغفال الحكايات التى تحكى عن عجائبه وغرائبه وعن مجالسه، وخاصة أن غالبية الشعب اليمنى يقضون الكثير من الوقت وهم يمضغون أوراق هذه الشجرة ويتبادلون الأحاديث والنكات، ولا تخلو هذه الأوقات من الحكايات والغرائب حولها، وسوف نذكر هنا بعض هذه الحكايات التى تسرد لنا بعض هذه الموضوعات المملوءة بالواقع والخيال الشعبى الممتع.

حمادى فى بطن الجمل

حمادى أحد موالعة القات المشهورين، ومن الموالعة الذين يضرب بهم المثل فى الخروج عن الوعي والوصول إلى الساعة السليمانية التى لا يصل إليها إلا بعض موالعة القات الذين أصبح لهم خبرة طويلة فى اختيار نوع القات ونوع الأفكار وقت المضغ والتخزين. وذات مرة خزن المولعى حمادى بنوع فاخر من القات وجلس وسط جمع غفير من الموالعة الذين امتلأ بهم الديوان الكبير من مجلس أحد المشايخ الذي يزوره الكثير من الضيوف. وكان هذا الشيخ من المولعين بالشيشة والمداعة فقد كان مجلسه ممتلئًا بالبوارى التى توضع أمام كل مخزن للقات، ولكثرة المخزنين فقد كانت المدائع والبوارى تقف كالحراس متراصّة يلتف عليها الموالعة من كل جانب وتتشابك مواسيرها الملفوفة بالقماش المطرز، وتتداخل مع بعضها فى سيمفونية شديدة التعقيد كما هى حال الموالعة عند وصولهم إلى الساعة السليمانية التى يتحولون فيها إلى ملوك تطيعهم الجن والإنس

كما كان نبى الله سليمان، وهذا هو سر تسمية هذه الساعة الأخيرة من مضغ القات. ولما وصل هذا المولعى إلى الساعة السليمانية كان قد احتشر فى زاوية المجلس وبجواره الكثير من المدائع الطويلة يتوسطها صحن النحاس وأوعية الماء، فجلس حمادى متلحفاً بجسده متكئًا بجانبه يسبح فى خيالاته ثم بدأ رحلته مع الخيال الذى صور له بأنه قد تحول إلى حزمة من العلف رمى بها أحدهم أمام جمل جائع يمشى فى الطريق، فالتقطه هذا الجمل والتهمه بلقمة واحدة، فوجد نفسه بين أسنان الجمل يدفعه يمنة ويسرة، حتى نفذ إلى بلعوم الجمل وسقط فى بطنه تدعكه وتهضمه معدته من كل جانب، حتى أصبح جسده مثل الكرة المفوفة تلتف وتمشى بين أمعاء الجمل، فشعر باختناق شديد وبدأ يبحث عن مخرج ينفذ منه فنظر يمينًا وشمالاً فوجد فتحة من بعيد ينفذ منها الضوء، فإذا هى مخرج بعر الجمل، فكلما مرت بعرة تمر بمقص مخيف يقص كل من يخرج منه إلى أجزاء صغيرة، فخاف أن يتم تقطيعه إلى أجزاء فقرر الخروج والقفز بنطة واحدة يطير فيها إلى الخارج أثناء انفتاحها وقبل هبوط المقص، فانفتحت النافذة فقفز حمادى بكل ما أوتى من قوة دفعة واحدة قبل أن يغلق المقص، وفجأة سمع أصوات الموالعة المخزنين ووجد نفسه وسط المجلس مرميًا على الأرض بين المدائع والشيش التى تطايرت وأحرقت بما فيها من الجمر المشتعلة كل الجالسين، فالتفت إليهم ووجدهم يصرخون من حوله: ماذا جرى لك يا حمادى! أفسدت علينا الساعة السليمانية ودمرت علينا المقيل وأحرقت ملابسنا وملابس الشيخ. وكان الجمر قد سقط على الفراش فاستغرب الحاضرون وسألوه عن السبب فقال لهم: (كاد المقص أن يقصنى إلى نصفين) وحكى لهم القصة، فما كان من الشيخ إلا أن حمَّله قيمة الفرش، وقال له: أنا قلت لك اجلس خزن بالمجلس وليس في بطن الجمل، فضحك الجميع وأصبح حمادى مضرب المثل فيقال للمولعى المندمج مع القات (انتبه تخزن مثل حمادى).

يا شيخ ثوبك حرق

يقال إن أحد المشايخ كان يحب الشعر، وكان الناس يتجمعون لحضور مجلسه من كل القرية، وكان الشعراء يقولون الشعر والناس يرددون القصائد وراء الشعراء، وعندما وصل الموالعة المخزنون إلى مرحلة الانسجام مع القات والقصيدة قال أحدهم قصيدةً أحبها الشيخ وانسجم معها الجميع، فكان الكل يردد وراء الشاعر ما يقوله فى آخر البيت، فوجد الشاعر ثوب الشيخ قد مس الجمر المعَدَّ للشيشة، فقال ينادى على الشيخ: ياشيخ ثوبك حرق، فيردد الحاضرون: حرق حرق حرق، فأعادها: يا شيخ ثوبك حرق، فيرد الحاضرون: حرق حرق حرق.

فأدرك الشاعر أنهم يظنونها جزءا من القصيدة فقال لهم: يا شيخ ثوبك حرق والله حرق! فرددوا: والله حرق والله حرق. فقفز الشاعر إلى وعاء من الماء فأطفأ الثوب قبل أن تصل النار إلى جسد الشيخ، وهو منسجم فى ساعته السليمانية يردد مع الحاضرين [1].

برأسى نهقة

كان لأحد الفلاحين حمار وجمل، وكان دائمًا ما يظلمهما فيثقل عليهما الأحمال دون أن يعتنى بهما، فكان يطعمهما بالقليل من الحشائش التى لا تسد رمقهما، وذات يوم قرر الحمار والجمل أن يهربا من الفلاح بحيث يجدان مكانًا يختفيان به عن أنظاره، ففعلا وذهبا إلى مكان بعيد عن القرية، فوجدا غابة كثيفة الأشجار فجلسا على أطرافها بالقرب من وادٍ كثير العشب وفير والماء، فكانا يأكلان ويشربان ويستمتعان بالنوم والراحة.

وبينما هما كذلك في راحة ودعة، شعر الحمار بارتياح شديد ناحية الجمل ورغبةٍ فى إطلاق نهقةٍ تعبيرًا عن سعادته الغامرة، فقال له الجمل: إذا فعلت فسيسمعنا الفلاح

(١) وردت الحكاية على لسان الشيخ امين سبأ إبن عم الباحث. من أبناء منطقة الشعر محافظة إب .

ويعرف بمكاننا، وقد يسمعنا الأسد أو الضبع فيأتى لأكلنا. لكن الحمار لم يستطع كَبْح رغباته فنهق نهقة شديدة دوّت فى المكان حتى سمعها الفلاح، فجاء من القرية مسرعًا وأمسك بالحمار والجمل، ففكر الحمار بحيلة تمكنه من البقاء فى مكانه فتظاهر بالمرض، فلم يجد الفلاح حلا إلا أن يقوم بتقييد أرجله وحمله على ظهر الجمل، وانطلق عائدًا إلى القرية، فكان الجمل يحمل الحمار بمشقة وعناء حتى أرهقه ثقل الحمار، فقال فى نفسه مخاطبًا الحمار: لقد كنا فى نعمة، فأفسدتها علينا بنهقتك، والآن تتوسد ظهرى منعمًا! فخطر على باله أن يقوم ببرطاعة [1] فكان يجرى ويقفز بقوة حتى أوقع الحمار فى هوة الجبل فتكسرت عظامه، ثم عاد الفلاح بهما إلى القرية والحمار لا يقوى على الحراك، فقال الجمل للحمار: لقد كنا فى نعيم فقلت خطر على بالك نهقة.

وهكذا انتقم الجمل من الحمار الذي أفسد حياتهما، فأصبح مثلاً يُقال لمن لا يصبر على الهدوء فى المواقف التى تتطلب الصمت فيقال: (قال جاءت على بالى نهقه.. قال جاءت على بالى برطاعة).

المغترب وزوجته

ذهب رجل يمنى إلى السعودية واختفى هناك سنوات طويلة، وكان يبحث عن عمل يحقق منه مكسبًا، ولكنه لم يُوَفق فى عمل مناسب يكسب منه، وظل هكذا حاله لفترة الغربة كلها، وكان يرسل مع زملائه دوما إلى أسرته رسالة يقول فيها (رُدوا سلامى لأهلى شقائى ما جاء بأكلى) وكان يرسل لهم ما يكفي من المال لمصاريفهم الشهرية، فكانوا يعتقدون أنه يكذب عليهم، وتوقعوا أنها حيلة منه كما يفعل المغتربون الآخرون الذين يجمعون المال لعمل مشروع يعيشون منه بعد سنوات الغربة.

ومرت السنوات وعاد إلى قريته، وبينما هو فى طريق العودة فكر مليًا كيف يقابل أهله بيد فارغة! وماذا سيكون ردة فعلهم وردة فعل أهل القرية عندما يعرفون أنه غاب لسنوات وعاد بدون أى مكاسب! ففكر فى حل، فاشترى حقيبة فارغة وملأها أحجارًا وأوراقَ شجر وأغلقها جيدًا بقفل واتجه إلى القرية، فكان كلما التقى أحدًا من أبناء القرية رحب به وحمل معه الحقيبة قليلاً فيستثقلها، فيقابل شخصًا آخر فيحملها عنه

(١) البرطاعة الجرى والنط بقوة فى الهواء.

وهكذا، وكانوا يلقون إليه ببعض الكلمات لئلا ينسى هديتهم، إلى أن بلغ المنزل، وقد تبادل الناس الأخبار بأن فلانًا قد عاد من الغربة، وهو يحمل شنطة ثقيلة لا يُعرف ما فيها، فأعد الجيران له السمن والعسل، وذبحت له زوجته الخروف، وقطف له أصدقاؤه من مزارعهم أجود أنواع القات الفاخر، وجهزت له زوجته كل وسائل الرفاهية فلم تترك شيئًا مما ادخرته إلا وبذلته للضيف القادم، وهكذا ظل الرجل سعيدًا بهذه الخطة التى آتت ثمارَها، بينما كانت زوجته تحاول إقناعه بفتح الشنطة فيقول لها: ليس هذا وقتها، دعيها تكن مفاجأة لوقت لاحق، فقد نقيم بها مشاريع وأشياء كثيرة.

واستمر الوضع على حاله يخرج إلى السوق صباحًا ويعود ظهرًا، فيجد الزوجة قد جهزت له كل ما طاب من الطعام والبخور وعود القات مما كان يأتيها به الجيران على أمل العطايا المأمولة من هذا العائد بحقيبته العجيبة التى اعتقد الجميع أن سر ثقل وزنها هو الفلوس والذهب الذي اكتنزه فى غربته.

وفى يوم من الأيام نفد صبر زوجته لمعرفة ما فى هذه الحقيبة التى أثقلت كاهلها وهى تخفيها وتحرس المنزل خوفًا عليها، فتركته حتى خرج إلى السوق فكسرت القفل وفتحتها، فصُدم لمرأى ما فيها، مجرد مجموعة من الأحجار مغطاة بأوراق وأغصان الأشجار، حينها أدركت أنه قد خدعها وأنه فعلاً لم يكن يعمل فى الغربة، وأنه قام بهذه الحيلة لإخفاء حالة التعاسة التى لازمته فى الغربة، فقررت عقابه عقابًا شديدًا وأقسمت أنها ستجعله يدفع كل الديون التى كلفتها هذه الخدعة، ولما سبب لها من الألم والحزن بهذه الصدمة، فانتظرت حتى عودته من السوق وعلقت الفأس والمعول وأدوات العمل أمام باب غرفته، وعندما عاد إلى المنزل وجد الفأس والمعول معلقين على باب غرفته، فصاح بأعلى صوته: واللّه لقد فتحتِ الحقيبة، وفهم القصة فأخذ المعول والفأس وخرج من المنزل وانطلق للعمل وسداد ما عليه من دين.

الدعوة مقلوبة من أسفل النقيل

هذه الحكاية تعكس الواقع المعاش فى غالبية القرى، وقد لمست روح الفكاهة واستمعت إلى الكثير من هذه الطرائف التى يتداولها الناس فى اليمن، حيث تقول الحكاية إنه كان هناك رجل فلاح يعمل طوال العام فى الحقل دون توقف أو ملل، وفى يوم من الأيام قرر زيارة أخته التى تعيش فى قرية مجاورة، ولكن هذه القرية كانت بعيدة فى أعلى أحد الجبال التى يحتاج الصعود إليها جهدًا كبيرًا، ولم يكن آنذاك

مواصلات حديثة ومازالت الطرق البدائية هى السائدة فى الجبال. وعندما وصل الرجل إلى أسفل الجبل جلس يستظل بجوار شجرة ونظر إلى قمة الجبل، وقال فى نفسه: أتمنى أن يسخر الله لى جملاً أو حمارًا يوصلنى إلى قمة هذا الجبل، وبينما هو جالس إذا بشيخ القرية قادمًا من بعيد ومعه حمار، فسلم عليه الشيخ ورحب به، وقال له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: إلى زيارة لأختى فى نفس القرية التى تذهب إليها، فقال له الشيخ: إن الحمار قد عثر فى الطريق وألتوت ساقه ولم يعد قادرًا على صعود الجبل، فطلب منه أن يساعده فى حمل كيس القمح إلى القرية التى فى رأس الجبل، فحصل عكس ما يتمنى فبدلاً من أن يحملًه الشيخ معه على الحمار حَمَّله ما على الحمار من أثقال، وهكذا لم يكن بوسعه رفض طلب الشيخ، فحمل الفلاح كيس القمح، وانطلق باتجاه الطريق إلى قمة الجبل يصارع الطريق ويرتاح فى منعطفاتها بين الحين والآخر، وعندما وصل إلى منتصف المسافة قرر أن يرتاح قليلاً من حراة الشمس على صخرة كبيرة، وقال: (يا الله لو فى سحابة تجى تضللنى من هذه الشمس) وما هى الا لحظات وجاء صقر أو حدأةٌ تحمل بقايا عظمة حيوان بحجم الحجر، فأسقطها على صلعة الفلاح المسكين فنزف دمه من رأسه فقال فى نفسه: يبدو أن اليوم منحوس! من أول الجبل كلما دعوت بشىء جاء عكسه.

وواصل المسير إلى قمة الجبل وكله حسرة وألم، وعندما وصل إلى القرية ودخل منزل أخته سمع صراخًا وسط جمع من نساء القرية فى منزلها، وقالوا له إن أخته فى حالة ولادة، وإن حالتها متعسرة وطلبوا منه أن يدعو الله بأن يفرج عنها، فما كان منه إلا أن دعا عليها بصوت عال (الله لايفك عليها ولا يسهل ولادتها) فاستغربت النساء له كيف يدعو على أخته بهذا الدعاء! فقال لهن: (الدعوة مقلوبة من أسفل النقيل)، وما هى إلا لحظات وأبلغتهم القابلة أن أخته قد ولدت بسلام. فقال لهم: لقد قلت لكم (الدعوة مقلوبة من أسفل النقيل) [(١)] .

(١) وردت الحكاية على لسان الوالد عبده محمد سبأ حفظه الله ولأطال في عمره.

المراجع والمصادر

١- القران الكريم.

٢- عباس على السوسوة – دراسات فى المحكية الشعبية – وزارة الثقافة والسياحة اليمن – ٢٠٠٤م.

٣- عبد الله البردونى – فنون الأدب الشعبى فى اليمن- ط٥ بيروت – دار البارودى ١٩٩٨م.

٤- عبد الله البردونى _ الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل – ط ١- القاهرة– دار المأمون للطباعة والنشر – ١٩٨٨م.

٥- أحمد على الهمدانى – الفولكلور اليمنى – بعض الحقائق والملاحظات– إصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء – ٢٠٠٤م.

٦- عصام على ناجى الشومى – أقوال المزارعين فى محافظة حجه – ط٢- صنعاء – الهيئة العامة للكتاب – ٢٠١٠م .

٧- زيد على عنان – اللهجة اليمانية فى النكت والأمثال الصنعانية، ط١– صنعاء – دار الكلمة شارع القصر الجمهورى- بلا تاريخ.

٨- عبد الله خادم العمري – اللهجة التهامية فى الأمثال اليمنية- ط١- صنعاء – المؤسسة اليمنية للدراسات والأبحاث – مطابع دار اليمن للطباعة والنشر – ١٩٩٣م.

٩- وليد فكري أساطير مقدسة- اساطير الأولين في تراث المسلمين – الطبعة الأولى- القاهرة – الرواق للتوزيع والنشر ٢٠١٨م

١٠- يحيى محمد جحاف – الأدب الشعبى فى حجة – ط١- صنعاء – إصدارات مؤسسة حجة الثقافية – ٢٠١٥م.

١١- أحمد بن ناجى الصوفي- شذا الورود فى ذكر الآباء والجدود- ط١- صنعاء – ٢٠٠٢م – مؤرخ فى مقدمة الكاتب ١٥-٧-١٤١٧هـ.

١٢- عصام ناجى الشومى – الحكم والأمثال الشعبية فى محافظة حجه – ط٢– صنعاء – الهيئة العامة للكتاب – تنفيذ مطابع اليمن الحديثة ٢٠١٠م.

١٣- محمود مبوك – ط١– يوميات ضابط فى حرب اليمن – القاهرة – الهيئة العامة المصرية للكتاب– ٢٠١٤م.

١٤- حمد العودى – التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية – دراسة تطبيقية على المجتمع اليمنى – ط٢– بيروت – درا العودة بيروت – ١٩٨٦م.

١٥- يحيى بن يحيى بن محسن العنسى – التراث الزراعى ومعارفه فى اليمن– الجزء الثانى– ط ١– صنعاء– الهيئة العامة للكتاب – شارع القصر الجمهورى – ٢٠٠٨م.

١٦- حمزة عبد الله محمد على الناشرى – انتهاز الفرص فى الصيد والقنص– تحقيق عبد الله محمد المحبشى– ط١– بيروت – شركة دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٦م.

١٧- صالح أحمد ناصر الحارثى– شدو البوادى – ط١– صنعاء – مطابع مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة– عدن– ١٩٩١م.

١٨- شوقي عبد الحكيم – مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية– القاهرة – دار ابن خلدون – ١٩٧٤.

١٩- على محمد عبده – حكايات وأساطير يمنية – ط٢– دار الكلمة –شارع القصر الجمهورى– ١٩٨٥م.

٢٠- فيتالى ناومكين –سقطرى جزيرة الأساطير– ترجمة خيري جعفر الضامن– أبو ظبي – هيئة أبو ظبي للسياحة– ٢٠٠٩م.

٢١- الطب الشعبي في حضرموت– بحث للدكتور عبد العزيز جعفر بن مقبل– الثقافي العدد ١٧ –٢٠٠٢م.

الأخباريون

١- والدي الغالى حفظه الله وأطال فى عمره: عبده محمد أحمد سبأ- قرية حى الثجة محافظة إب.

٢- اأحمد جزيلان الجهمى الجبري – قرية دار الشرف- إب.

٣- أحمد على الأموى- قرية السرايم- محافظة إب.

٤- قاسم أحمد رحامى– حى الثجة– سائلة جبلة- محافظة إب.

٥- الوالدة حفظها الله: فاطمة بنت سعيد على الحسام- حى الثجة- محافظة إب.

٦- الحاج العم: على محمد عبده قايد الحاج – سائلة جبلة- محافظة إب.

٧- الحاجة صفية بنت محمد أحمد سبأ- سائلة جبلة – محافظة إب.

٨- دولة محمد قايد اللفيت– حى الثجة- محافظة إب –جدة الكاتب حفظها الله وأطال فى عمرها.

٩- يحي عبد الله قاسم الحسام – صديق الوالد.

١٠- احمد ناجي الرجوي عمدة قرية ضرن- عزلة المعشار محافظة إب.

١١- احمد علامي شخصية حكائة من قرية المقطح صهبان ٠- محافظة إب.

١٢- الصديق ماجد عبد الله القفري من أبنا قرية السرايم محافظة إب عزلة المكتب.

١٣- محمد ناجي سبأ قرية حي الثجة.

١٤- فيصل عبد الله محمد يحيى منطقة سائلة جبله.

١٥- ابراهيم درهم الحاج قرية القريات.

١٦- أمين ماعر المرهبي حفظه الله- أحد كبار السن من منطقتنا قرية الحيثجة.

١٧- الأستاذ لطف العمراني وهو من أشهر خطباء المساجد في قريتنا حي الثجة والقرى المجاروة.

١٨- – امين سبأ إبن عم الباحث. من أبناء منطقة الشعر محافظة إب.

١٩- علي محمد ناجي قرية حي الثجة.

٢٠- حسن محمد قايد اللفيت قرية حي الثجة.

٢١- الحاج يحيى المفتى— قرية رديع صهبان- محافظة إب.

٢٢- رامي الشيباني من أبناء محافظة عدن.

٢٣- الباحث المصري: محمد جمال سباق الحويطي مؤلف كتاب — لمحة عن صعيد مصر أوجة التنشابه بينه وبين الجزيرة العربية.

٢٤- مجموعة من رواة متفرقون من قرى مختلفة عاشرهم الباحث بالصدفة أثناء حضوره مناسبات كالزواج والأعياد حيث يتجمع الناس فس الدوايين ويحكون حكاياتهم وفي الغالب يكون الجالسون من قرى مختلفة وقد مرت بالباحث بعض الحكايات الواردة في فترات مختلفة من العمر لم يعد يتذكر من اسمائهم سواء القليل منهم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سيرة ذاتية للكاتب



الاسم :محمد عبده محمد سبأ

البلد :اليمن– محافظة إب الخضراء

مواليد: ١٩٨٥/٦/٢٤م

- حاصل على البكالوريوس من قسم التربية الفنية جامعة إب في اليمن ٢٠٠٧م
- باحث ماجستير في أكاديمية الفنون القاهرة – المعهد العالي للفنون الشعبيه٢٠١٧م.
- حاصل على دبلوم المعهد العالي للفنون الشعبية في القاهرة بمرتبة إمتياز– ٢٠١٩م
- حاصل على جائزة مؤسسة لوتس للتنمية الإنسانية والثقافية في القصة القصيرة جدا ٢٠١٨م.
- فنان تشكيلي وله العديد من المعارض الشخصية في اليمن وجمهورية مصر العربية كاتب في بعض الصحف والمجلات العربية.
- حاصل على درع ضمن الشباب الاكثر فاعلية في الوطن العربي في مؤتمر الشباب العربي ٢٠١٧م القاهره.
- لدية مجموعة قصصية بعنوان (المهرب) عن دار روافد للتوزيع والنشر في القاهرة ٢٠١٩.
- كتب فنون التشكيل الشعبي في اليمن _ صادر عن دار مكتبة خالد بن الوليد اليمن ٢٠٢٠م
- كتب جماعية مع بعض الاساتذة والزملاء.





لعب ظهور وسائل التواصل الإجتماعية الحديثة إلى فقدان الكثير من حكاياتنا الشعبية فلم يعد الناس يتجمعون وقت فراغهم مع السامر والحكواتي لسماع الحكايات وبرحيل كبار السن نفقد الكثير منها ، وما لا يدركة الكثير أن هذه الحكايات نابعه من حكمة الشعب وتاريخه ومعتقداته ومعارفة .

وتعكس ثقافته وعاداته وتقاليده عبر منظومة توارثتها الأجيال بهدف التهذيب وزرع القيم النبيلة وحب الخير وترك الشر وقد عملت جاهدًا أن اجمع ما استطعت من الحكايات الشعبية الاصيلة من بيئتها المطية. وأفردت فصلا للحكايات التاريخية وآخر لحكايات الحكمة والتهذيب وفصلاً لحكايات الارض وحكيم اليمن على ولد زايد وفصلاً لحكايات الجن والكواكب وآخر لحكايات الحب والعشق وفصلا أخر لحكايات عصر حكم الإمامة وآخر للحكايات الفكاهيه .

ويجمع الكتاب 130 حكاية شعبية لم ترصد غالبيتها من قبل وقد اعتمدت فى الدرجة الأولى على الرواة والأخباريين ، وعلى بعض المراجع القديمة بهدف حفظ هذه الحكايات من الإندثار.



تصميم غلاف : د/ إيناس فوزى